مجلة القُلزم

العلمية للدراسات السياحية والآثارية

ISSN: 1858 - 9928

علمية دورية دولية محكمة - تصدر بالشراكة مع جامعة شندي- السودان

في هذا العدد

- لـوح النصـر للملـك السـوداني بيعنخى؛ إعادة قراءة
  د. الحسن أحمد محمد الحسن
- العمـل الآثـاري بولايـة القضارف: الواقع والمسـتقبل (2006 ـ 2013م)
  د. فخري حسن عبد الله حسن
- المنشـآت الدينيـة في عصـر الدولـة الرسـولية (626 ـ 858هـ/1229 ـ 1454م) المسـجد (الدافـع والـدور) أنموذجاً
  د. علي عبد الكريم محمد بركات
- مقاربـة أولية لمعضلة زارح الكوشـي
  د. خالد محمد فرح
- منهجيـات الحفـاظ على المـوارد الثقافيـة في مدينة الخرطوم)
  أ. آمنه عبد الرحيم النور محمد

العدد الرابع والعشرون -رمضان 1446هـ - مارس 2025م

مجلة القُلزم للدراسات السياحية والآثارية - العدد الرابع والعشرون رمضان 1446هـ - مارس 2025م

ISSN: 1858 - 9928 ردمك

دار آريثيريا للنشر والتوزيع
Arrythria for Publishing and Distribution

مجلة القلزم العلمية للدراسات الآثارية والسياحية

هيئة التحرير

الإشراف العام: د. أحمد علي أحمد عبد الله

رئيس هيئة التحرير : أ. د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير : د.عوض أحمد حسين شبا

مدير التحرير: د.ندى بابكر محمد إبراهيم

التدقيق اللغوي : أ. الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني: د. محمد المأمون

التصميم الفني: أ. عادل محمد عبد القادر

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان

مجلة القلزم: Al Qulzum Journal for archeological and tourism studies

الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2024

تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع السودان

ردمك:1858-9928 الخرطوم- السودان

الهيئة العلمية و الإستشارية

أ.د. علي عثمان محمد صالح - جامعة الخرطوم رئيس الهيئة

أ.د. يوسف مختار - جامعة افريقيا العالمية - السودان

أ.د. عبد الرحيم محمد خبير - جامعة بحري - السودان

أ.د. خضر آدم عيسى - جامعة الخرطوم - السودان

د. هانم العزب - جامعة الزقازيق

جمهورية مصر العربية

د. محمد علي الحاج - جامعة صنعاء - اليمن

د. محمد خير محمد العطا - جامعة شندي - السودان

د. فائز حسن عثمان أحمد - جامعة جيزان - السعودية

د.محمد الفاتح حياتي عبد الله الطيب - جامعة الخرطوم - السودان

د.عبد المنعم أحمد عبد الله - جامعة افريقيا العالمية - السودان

د. سامي شرف محمد غالب الشهاب - اليمن

د. أماني نور الدائم محمد مسعود - الهيئة العامة للآثار والمتاحف - السودان

د. محمد فاروق عبد الرحمن علي - جامعة افريقيا العالمية - السودان

د.أحمد حامد نصر حمد - جامعة النيلين - السودان

د. حرم ابو القاسم مدير - جامعة شندي - السودان

د.محمد البدري - جامعة الخرطوم - السودان

د. علي محمد عثمان العراقي - جامعة الملك سعود - اللملكة العربية السعودية

د.جعفر محمد مصطفى ابوزيد - جامعة الزعيم الأزهري - السودان

د. هيفاء بنت حمود بن صالح الشمري - جامعة حائل -المملكة العربية السعودية

د. نهى عبد الحافظ - جامعة الخرطوم - السودان

د.هاشم عوض فضل السيد - جامعة شندي- السودان

د. يوسف العبيد السيد - جامعة شندي - السودان

د. ليلى محمد بوعزة -المتحف العمومي الوطني الجزائري - الشلف- الجزائر

ترسل الأوراق العلمية على العنوان التالي:

هاتف: ٢٤٩٩١٠٧٨٥٨٥٥ - ٢٤٩١٢١٥٦٦٢٠٧١ - بريد إلكتروني: rsbcrsc@gmail.com

السودان - الخرطوم - السوق العربي - عمارة جي تاون - الطابق الثالث

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات السياحية والآثارية مجلة علمية مُحكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التي تخص حوض البحر الأحمر والدول المطلة عليه والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين، وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشار إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية، أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

لـوح النـصر للملـك السـوداني بيعنخـى؛ إعـادة قـراءة .....(7-34)

د. الحسن أحمد محمد الحسن

العمل الآثاري بولاية القضارف: الواقع والمستقبل (2006 - 2013م).....(53-64)

د. فخري حسن عبد الله حسن

المنشـآت الدينيـة في عـصر الدولـة الرسـولية (626 - 858هـ/1229 - 1454م) المسـجد (الدافـع والـدور) أنموذجـاً.....(56-92)

د. علي عبد الكريم محمد بركات

مقاربـة أوليـة لمعضلـة زارح الكـوشي.....(39-102)

د. خالد محمد فرح

منهجيـات الحفـاظ عـلى المـوارد الثقافيـة في مدينـة الخرطـوم.....(103-132)

أ. آمنه عبد الرحيم النور محمد

كلمة التحرير

القارئ الكريم:

إن من دواعي سرورونا أن نطل عليكم من خلال العدد الرابع والعشرون من مجلة القُلزم العلمية للدراسات السياحية والآثارية العلمية الدولية المُحكمة والتي تصدر بالشراكة مع جامعة شندي- السودان وقد تميز هذا العدد بموضوعات علمية ورصينة تناولة لوح النصر للملك السوداني بيعنخى؛ إعادة قراءة، العمل الآثاري بولاية القضارف: الواقع والمستقبل (2013-2006م)، المنشآت الدينية في عصر الدولة الرسولية (626 - 858هـ/1229 - 1454م) المسجد (الدافع والدور) أنموذجاً، مقاربة أولية لمعضلة زارح الكوشي، منهجيات الحفاظ على الموارد الثقافية في مدينة الخرطوم، وفي الختام نسأل سبحانه وتعالى التوفيق والسداد للجميع.

هيئة التحرير

لوح النصر للملك السوداني بيعنخى : إعادة قراءة

د. الحسن أحمد محمد الحسن
مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر

مستخلص :

لـوح النـصر؛ هـذا اللـوح الشـهير للملـك السـودانى بيعنخـى (747 ـــ 716 ق.م) ؛ الـذى تـم العثـور عليـه فى العـام 1862 فى معبـد آمـون بجبـل الـبركل ، وتـم ترحيلـه إلى مـصر بنـاءاً عـلى أوامـر الحاكـم الـتركى المقيـم هنـاك ، حيـث الآن يعـرض بمتحـف النوبـة فى أسـوان . اللـوح يعتـبر أحـد أهـم الوثائـق التاريخيـة عـلى الإطـلاق ؛ يصـف بالهيروغليفيـة المصريـة غـزو وإحتـلال الملـك السـودانى الكـوشى بيعنخـى لمـصر فى حـوالى عـام 727 قبـل الميـلاد. وعـلى الرغـم مـن أن هـذا اللـوح منـذ إكتشـافه لا يـزال إلى الآن موضوعـاً للكثـير مـن البحـوث العلميـة ؛ إلا أننـى أود فى هـذه الورقـة أن أتطـرق لـشرح هـذه القطعـة الأثريـة الهامـة مـرة اخـرى ، وأعمـل عـلى إبرازهـا لـكل المواطنـين السـودانيين الذيـن هـم الملاك الحقيقيـون لهـذه القطعـة الأثريـة . تهتـم الورقـة بإبـراز تفاصيـل الحملـة العسـكرية وتلقـى الضـوء عـلى تاريـخ الشـخصية الملكيـة غـير المكـررة للملـك بيعنخـى مـن حيـث : أنـه حاكـم سـودانى وطنـى ، قـاد فى العـام العشريـن مـن حكمـه حملـة عسـكرية ضـد تحالـف ملـوك مـصر الوسـطى ، اللذيـن هـددوا مدينـة طيبـة (البيـت الشـمالى الإلـه آمـون) وواصلـوا تقدمهـم جنوبـاً . نصـوص اللـوح تلقـى الضـوء عـلى شـخصية الملـك بيعنخـى القويـة المتدينـة ، أوامـره الإنسـانية الصارمـة لجنـوده ، حرصـه عـلى تجنـب إراقـة الدمـاء ، عفـوه الكامـل عـن جميـع أعدائـه ، وحرصـه عـلى تقديـم الكثـير مـن الهبـات لمعابـد الآلهـة فى المـدن الشـمالية التـى أسـقطها ، وإظهـار عطفـه ورعايتـه للخيـول . وفى الخاتمـة تسـتعرض الورقـة جمـلاً معينـة وردت فى نـص اللـوح ؛ تسـاهم هـذه العبـارات فى محاولـة توضيـح كيـف كانـت شـخصية الملـك بيعنخـى ، وأخـيراً تـورد الورقـة توصيـات بشـأن مـا يجـب عـلى الباحثـين القيـام بـه تجـاه الألـواح الكوشـية الموجـودة فى المتاحـف العالميـة ، هـذه التوصيـة مشـفوعة بقائمـة لهـذه الألـواح والنصـوص الملكيـة فى المتاحـف الخارجيـة والداخليـة .

كلمات مفتاحية: بيعنخى ، كوش ، مصر السفلى ، تاف نخت ، نملوت ، طيبة ، الإله آمون .

Re-reading The Triumphal Stela of the Sudanese king Piankhy

Dr. El-Hassan Ahmed Mohamed El-Hassan

Abstract:

The famed triumphal stela of the Sudanese king Piankhy (747-716 BC), now exhibited in Aswan Museum, Egypt; found in 1862 together with other stelae by an Egyptian officer of the Turkish army, inside the first courtyard of the Great Amon Temple at Jebel Barkal, at

the ancient city of Napata. Then after transported to Cairo according to the order of the Turkish ruler. The stela is one of the most remarkable historical texts ever found, describes in literary Egyptian language the military campaign of the Sudanese king Piankhy and his conquest of Egypt ca. 727 BC. Although the stela has been subject of endless studies since it was recovered, I would like through this paper to review the texts of this important monument once again, in Hieroglyphs and Arabic translation, to present its contains for the benefit of the Sudanese citizens to whom the stela is truly belongs.The paper will present an overview of Piankhy's character, as a brave native Kushite king, derived from Kushite ruling family. Piankhy, in the 20th year of his reign led his army into Egypt in order to maintain his rule there, he got victory over an alliance of petty Egyptian kings of Lower Egypt, who were threatening the city of Thebes (the northern home of God Amon) and marched southward. The text of the stela shows Piankhy's powerful yet generous character, his strict religious beliefs, his humanistic orders to his army, his desire to avoid bloodshed, his forgiveness of his conquered foes and his great love of horses. The paper concludes with comment on the meaning of some phrases mentioned in the text, to describe the character of king Piankhy, recommendations concerning the Kushite's stelae displayed in the other world museums, and present list of these stelae.

Key words: Piankhy, Kush, Lower Egypt, Tef-nakht, Namlot, Thebes, god Amon.

مقدمة تاريخية :

الملك بيعنخى ([1]) (747 ـــ 716 ق.م) هو إبن الملك كاشتا وخليفته على عرش كوش ، وقد تزوج من بكساتر و إبار (والدة تهارقا) ، كما تزوج كلا من الملكات خنسا وتابيرى . ومن أبنائه المعروفين خاليوت ، تهارقا وبيي حر ، ونعرف من بناته العابدة الإلهية شبنوبه الثانية ، وكذلك من بناته زوجات الملك تهارقا الثلاثة تابكن آمون ، نبرايا وتاكهات أمانى ، ومن بناته أيضاً أرتى التى تزوجها الملك شبتكو([2]).

عمل الملك بيعانخى على توحيد مملكة كوش ، و توطيد حكمهاعلى وادى النيل مستلهماً من الإله آمون قوته وسلطانه . وقد عاش حياةً عامرة بالإنجازات العسكرية والمدنية ، توفى الملك بيعانخى ودفن فى جبانة الكرو الملكية فى المقبرة (Ku. 17) أول مقبرة هرمية حقيقية بالسودان. ويمكن وصف الوضع السياسى فى وادى النيل قبل حملة الملك بيعنخى المنتصرة ؛ بأنه وحتى العام

العشرين من حكمه كان الملك بيعنخى يسيطر على مصر العليا وله جيش متمركز هناك ، وكان الملك نملوت حاكم هيرموبوليس فى مصر الوسطى يخضع لبيعنخى ، وفى ذات الوقت كان فى غربى الدلتا الحاكم الأعلى وزعيم المـا (ـــ شاوش) تاف نخت ، العدو الرئيسى للملك بيعنخى ، حيث بدأ يمد نفوذه شرقاً ، فأخضع وسط وشرق الدلتا، ومن ثم أحكم قبضته على كل الدلتا ، وتمادى تاف نخت فى تقدمه جنوباً على طول النيل مهدداً لمقاطعة هيراكومبوليس فى مصر الوسطى . عندها أرسل حكام مصر الوسطى وقادة جيش الملك بيعنخى المعسكر فى مصر رسلاً إلى الملك بيعنخى طالبين المدد والعون لمواجهة طموح تاف نخت . لكن الملك بيعنخى لم يتدخل فى بادئ الأمر فيما يحدث فى مصر الشمالية . ولما رأى نملوت تقدم تاف نخت إنضم إليه ، وعاونه على حصار هيراكومبوليس ، وهنا فقط ؛ قرر الملك بيعنخى التدخل ، وعلى الفور أرسل لقادة جيشه فى مصر أن يتحركوا نحو مقاطعة هيرموبوليس وأن يحاصروا عاصمتها ويقطعوا عنها المؤن([3]) ، وتتسلسل الأحداث التى نتناول سردها هنا ، وفقاً لترجمة النصوص التي نقشت على هذا اللوح .

اللوح هو نصب تذكارى ، يوثق الحملة العسكرية المنتصرة التى قام بها الملك بيعانخى ضد حكام مصر السفلى فى العام العشرين من حكمه ، ويعتبر على الإطلاق أحد أروع الوثائق الملكية التى سجلت بالهيروغليفية المصرية ([4])، وبموجب هذه الحملة بسط الملك بيعنخى نفوذ دولة كوش على وادى النيل بأكمله . ومن المرجح أن الملك بيعنخى أمر بنقش هذا اللوح وتنصيبه فى بهو الأعمدة الأول بمعبد آمون الكبير بجبل البركل فى العام الحادى والعشرين من حكمه ، ولاحقاً أضيفت إليه النصب الملكية الأخرى وظلت فى موقعها هذا حتى مجيء الحملة العسكرية التى شنها الملك المصرى بسامتيك الثانى ، ضد مملكة كوش فى حوالى عام 593 ق.م ، أثناء حكم الملك الكوشى أسبلتا. وينسب إلى هذا الملك المصرى أنه كان شديد العداء للكوشيين ، قد قام أثناء حملته هذه بتحطيم النصب الملكية التى كانت قائمة فى موقع جبل البركل([5]) ، فكسر التماثيل الملكية الكوشية وكشط وشوه الأسماء والمناظر من على الألواح الحجرية ، كما يبدو جلياً فى هذا اللوح . وبعد مغادرة الجيش المصرى الغازى قام الكوشيون بجمع كسارة تماثيل ملوكهم المحطمة ودفنوها فى مواقع مختلفة خارج معبد آمون ، حيث ظلت فى هذه المواضع إلى أن كشفت عنها بعثة آثار جامعة هارفارد ومتحف بوسطن للفنون الجميلة الأمريكية عام 1916([6]) .ويبدو كذلك أن الكوشيين قاموا بجمع ودفن الألواح الحجرية الملكية التى كانت منصوبة مع التماثيل فى هذا البهو ، وبقيت كذلك حتى عام 1862 م ، حيث تم العثور على مجموعة منها بواسطة ضابط فى الجيش التركى كان معسكراً أو منقباً فى منطقة جبل البركل([7]) ، بإرشاد من بعض المواطنين الذين كانوا يستعملون تراب الموقع كسماد للأرض الزراعية (ماروق) ، وبناءاً على أمر من الحاكم التركى المقيم بالقاهرة ؛ تم نقل هذه الألواح ومن بينها لوح النصر هذا إلى القاهرة العاصمة الملكية التركية فى ذلك الزمان ، حيث كان السودان محتلاً بواسطة الأتراك من عام 1821 حتى قبيل قيام الثورة المهدية فى 1885م ، فأخذت هذه الألواح أرقام المتحف المصرى وأضيفت إلى مقتنياته ، ويعرض لوح النصر الآن بمتحف النوبة بأسوان (بالرقم J 48862) . والذى حدث فور وصول هذا

اللـوح إلى القاهـرة عـام 1862 ؛ أنـه تـم نسـخه ونـشره لأول مـرة بواسـطة Mariette Auguste عـام 1872([8]) ومـن ثـم توالـت الدراسـات المفصلـة عـن هـذا اللـوح والألـواح الكوشـية الأخـرى.

لوح النصر للملك بيعنخى :

اللـوح مـن حجـر الجرانيـت الرمـادى ، يبلـغ أرتفاعـه 1,80 مـتر ، وعرضـه 1,84 مـتر ويبلـغ سـمكه 0,43 سـم . (صـورة رقـم1 وشـكل رقـم 1) ويـزن 2,5 طـن ، وهنالـك أجـزاء أخـرى مـن اللـوح كشـف عنهـا فى مكانهـا الأصـلى أثنـاء حفريـات بعثـة جامعـة هارفـارد ومتحـف بوسـطن للفنـون الجميلـة بقيـادة جـورج أنـدرو رايزنـر بمعبـد آمـون بجبـل البركل بـين عامـى 1915 ـــ 1920([9]) ، وتمـت إضافتهـا ليكتمـل بهـا شـكل اللـوح ، وقـد سـجلت عـلي اللـوح ملحمـة الإنتصـار فى 159 سـطراً أفقيـاً مـن اليمـين إلى الشـمال فى جوانـب اللـوح الأربعـة ، ويلاحـظ فى المنظـر العلـوى للـوح الكشـط المتعمـد لصـورة الملـك بيعانخـى ، والـذى كـما سـبق ذكـره أن هـذا الكشـط وأعـمال تخريبيـة أخـرى ؛ تنسـب للحملـة العسـكرية التـى شـنها الملـك المـصرى بسـامتيك الثـانى (الإسرة السادسـة والعـشرون) ضـد كـوش.

وصف المنظر العلوى:

Imn-R' nb nswt t3wy ḥnt Ipt-[swt] [ḥr-ib] W'b Dw

Nsw-bity S3-R' P'nḫy فى منتصـف المنظـر العلـوى للـوح نـرى قـرص الشـمس تتـدلى منـه حيتـا الكوبـرا (صـورة رقـم 2 وشـكل رقـم 2) ، وعـلى اليمـين منـه نـرى مـا بقـى مـن صـورة الملـك بيعنخـى ، تمثلـه واقفـاً (وإسـمه فـوق رأسـه ملـك الشـمال والجنـوب إبـن رع بيعنخـى) ، الملـك بيعنخـى يقـف أمـام الإلـه آمـون رع جبـل البـركل ، الـذى يجلـس عـلى كـرسى (وإسـمه فـوق رأسـه أى آمـون رع سـيد عـروش الأرضـين رئيـس الكرنـك الـذى (فى قلـب) الجبـل المقـدس) ، عـلى رأسـه تاجـه المميـز ذو الريشـتين ، يرتـدى إزاراً طويـلاً ويحمـل بيـده اليـسرى عصـا الـواس وباسـطاً يـده اليمنـى عـلى فخـذه ، خلـف الإلـه آمـون تقـف زوجتـه الإلهيـة الإلهـة مـوت ، رافعـةً يدهـا اليـسرى إلى كتـف الإلـه بينـما تتـدلى اليمنـى إلى جانبهـا وهـى تحمـل علامـة الحيـاة ☥ . نلاحـظ أن منظـر الآلهـة يحتـل مسـاحة مقـدرة و يمثـل المنظـر الرئيـسى. ناحيـة اليمـين نـرى (*Imnwt nsw*) الملـك بيعنخـى يسـتقبل شـخصين رجـل وإمـرأة ، المـرأة هـى زوجتـه و النـص أعلاهـا يذكـر أى زوجـات الملـك ، رافعـة يدهـا اليمنـى فى وضـع تعبـدى بينـما تتـدلى اليـسرى إلى جانبهـا ، والجمـع ليـس خطـأً إذ هـى فى نظـر الملـك تمثـل عـدداً مـن نسـائه ، والرجـل هـو نملـوت حاكـم هيرموبوليـس يحمـل الشخشـيخة (Sistrom) (آلـة إيقـاع تسـتخدم فى الإحتفـالات) بيـد ويقـود حصانـاً بيـده الأخـرى وإسـمه نملـوت (كـما يظهـر فى الخرطـوش فـوق رأسـه) حاكـم هرموبوليـس يظهـر بحجـم أصغـر وقيادتـه للحصـان خلـف المـرأة هـذا الوضـع يظهـره كخـادم بسـيط فيـه إهانـة لـه ([10])، وتحـت هـذا المنظـر ثـلاث أشـخاص حـكام راكعـين يقبلـون الأرض أمـام الملـك بيـى (بيعانخـى) (أى كـما سـيأتى فى النـص الرئيـسى عبـارة يجلسـون عـلى أمعائهـم([11]) 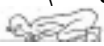 ، وعـلى ذات الهيئـة نـرى خمسـة حـكام آخريـن خلـف الإلهـة مـوت وهـم أيضـاً يقبلـون الأرض ، وهـؤلاء

الشخوص الثمانية تعرفهم النصوص بأنهم ملوك وأمراء مصر وهم : الثلاثة أسفل نمرود وزوجة بيي هم أوسركون الرابع ، إوبوت الثانى ، و بيفتيأواويباست ، الخمسة خلف الإلهة موت هم الحاكم بيتيسي و الأمراء الليبيون زعماء الما (المشاوش سكان الصحراء الليبية) : ما بتينفى ، بيموى ، أكانوش و جدنيف عنخ ([12]). كما ستظهر أسماؤهم فى النص الرئيسى .

المنظر العلوى هذا يشرح محتوى اللوح و روح النصر الذى بلغه الملك بيعانخى المتمثل فى فتح مصر وإخضاع ملوكها وأمرائها .

أحداث المعارك من خلال ترجمة النص الرئيسى :

يقع النص الرئيسى للوح النصر فى 159 سطراً موزعة على واجهات اللوح الأربعة على النحو الآتى:

الواجهة الأمامية (السطور من 1 إلى 34) ، واجهة سمك اللوح ناحية اليمين (السطور من 35 إلى 76) ، الواجهة الخلفية للوح (السطور من 77 إلى 117) وواجهة سمك اللوح ناحية اليسار (السطور من 118 إلى 159 نهاية اللوح) ، ويشمل المواضيع الآتية :

1/ تأريخ اللوح ، وتعريفاً بصاحب اللوح : كما هو مألوفاً فى كل الألواح الملكية ، يبدأ اللوح بالتعريف بتأريخ الحدث و أسماء وألقاب صاحب اللوح ، فيوضح السطر الأول:

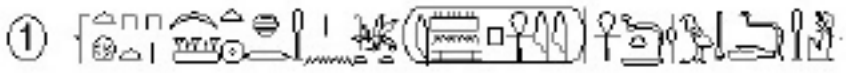

h3t-sp 21t 3bd (tpy) 3ht ḫr ḥm n Nsw-bity Mr(y)-Ỉmn-P-(ʿnḫ)y ʿnḫ ḏt wḏ ḥḏ(w) ḥm.i

(سطر 1) العام الواحد وا لعشرون ، الشهر الأول من الفيضان ، تحت (حكم) جلالة ملك الأرض العليا و الأرض السفلى محبوب آمون بيعانخى ليحيا للأبد ، المرسوم الذى قاله (أصدره) جلالتى :

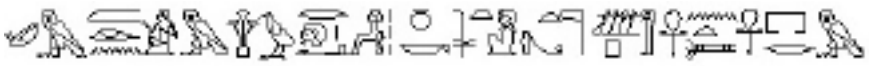

sḏm m ir(t).n.i m-ḫʿw-r tp(w)-ʿw(y) Ỉnk nsw tit nṯr ḥsp ʿnḫ n Ỉtm pr(y) m

إسمع لما فعلته بالزيادة لأسلافى ، أنا ملك ، صورة الأله ، الصورة الحية لآتوم ، الذى خرج من ...

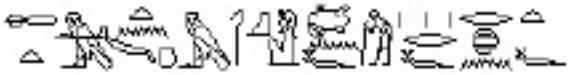

ḫt mtnw m ḥk3 snḏ(w).n.f wrw r.f rḫ(w).n it.f

الجسد (أى جسد الإله آمون) ، المعمول (ليصبح) حاكماً ، يخاف منه العظماء ، (الذى والده كان يعرف

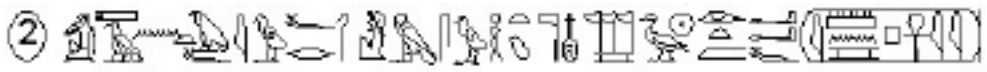

sꜣ.n mwt.f ỉw.f r ḥḳꜣ m swḏꜣt nṯr nfr mr(y) nṯrw sꜣ Rʿ irt m ʿwy.f Mr(y)-Ỉmn-P-(ʿnḫ)y

(السطر 2) ووالدته كانت تعرف أنه سيصبح ملكاً منذ أن كان فى البيضة ، الإله الطيب محبوب الآلهة ، إبن رع الذى يعمل بيديه محبوب آمون بيعانخي ...

عبارة منذ أن كان فى البيضة (تمثل أن الملك فى حياته يمثل الإله حورس (الصقر) الذى يخرج من البيضة ، وفى حال أبوته من الإله آمون يشير إليه بالخروج من الجسد).

2/ تقدم تاف نخت جنوباً و بداية العمل العسكرى:

يبدأ العمل العسكرى بالعبارة التقليدية المبنية للمجهول (السطر2):

ỉw.n.tw ḏd.n ḥm.f ỉw wn n Ỉmntt ḥꜣty-ʿ wr m Nṯr Tꜣ-ḥnti m .....

جاء أحدهم ليقول لجلالته إن أمير الغرب سيد نشرت تاف نخت فى .....

حيث جاء شخصٌ ما ليخبر الملك بيعنخي ؛ بأن تاف نخت حاكم سايس وزعيم الما (أى الماشاوش ، قبائل الصحراء الليبية) الذى يحكم كل الدلتا الغربية ؛ قد مد نفوذه جنوباً واستولى على عدد من المدن ، حيث وصلت جيوشه إلى مدن ومقاطعات يجد الباحثون صعوبة فى تحديد مواقعها الجغرافية ، وهى إلى الآن مجالاً للبحث والدراسة . حيث وصل تاف نخت فى تقدمه جنوباً إلى مدن مثل حعبى التى ربما كانت مدينة سايس ، آنى ، وبر نوب وهى مدن غير معروفة الموقع ، وقد أخضع تاف نخت كل الغرب من سواحل البحر الأبيض المتوسط إلى مدينة إيثت تاوى (اللشت) جنوب ممفيس ، وهى تمثل الحدود الجنوبية لنفوذ تاف نخت ، التى إنطلق منها مبحراً بجيشه جنوباً والأرضين متوحدتين من خلفه أى خاضعة له وزعماء وحكام هذه المناطق (حرفياً المعابد) كالكلاب تحت قدميه *ḥḳꜣw-ḫwwt m ṯsmw m ỉry-rdwy.f* ، وكانت كل المدن التى يمر بها تفتح بواباتها فى وجهه مثل مدن بر آتوم (الفيوم) ، اللاهون ، مدينة التمساح ، متروبوليس وعدد من المدن الأخرى ، وهو مسيطراً على هذه المدن كالثعبان لا يترك الداخلين إليها يدخلوا ولا الخارجين منها يخرجوا ، وهو يقاتل كل يوم أى تاف نخت . وعقد حلفاً مع عدد من زعماء هذه المناطق بمافيهم نملوت حاكم هيرموبوليس[13]. وكان جلالة الملك بيي (بيعانخي) يستمع إلى هذه الأخبار وهو يضحك عالياً (ساخراً) ، وأصبح زعماء وحكام هذه المدن والمقاطعات يرسلون لجلالته له كل يوم (السطر 6):

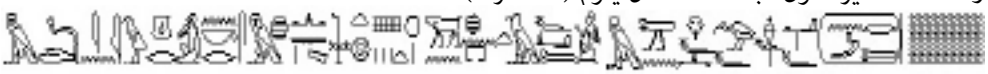

m ḏd ḥa-ỉw gr.n.k snḏ Tꜣ-Šmʿw sptwt nw(t) Ỉbn-(n)-Ỉm Tḥ(y)-nḫt m ỉt n ḫr.f n gm.f ḫrp(ʿ).f

(سطر 6) قائلين هل توقفت (حرفياً صمت) وتجاهلت الأرض الجنوبية أقاليم خن نخن

(النوبة العليا) بينما تاف نخت يغزو كل ما فى وجهه ولا يجد من يصده [14].

حتى أن نملوت حاكم هيرموبوليس وهو واحد من أربعة حكام مصريين إتخذوا لقب ملك، قد قام بهدم جدران نفروسى وأسقط مدينته خوفاً من تاف نخت ، ومن ثم ذهب إليه بنفسه وإنضم إليه واضعاً نفسه تحت قدميه وأصبح أحد رجاله .

2/ الملك بيعنخى يرسل جيشاً إلى مصر:

أرسل بيعنخى جيشاً إلى مصر ، وأرسل لحكام وقادة جيشه الموجودين فى مصر أمراً يطلب منهم الإنضمام والمشاركة فى الحرب ، والإستيلاء على مدن ومواطنى تاف نخت وسفنه على النهر ، وأن لا يدعوا المزارعين يذهبون لحقولهم ولا حارثى الأرض أن يحرثوها ، ففعلوا ما أمرهم به .

3/ تعليمات الملك بيعنخى لجنوده :

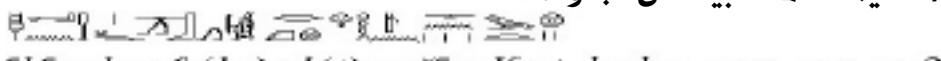

ḫ°.n ḫm.f (ḥr) sb(t) mš° r Kmt ḥr ḥn n.sn wr sp 2

ḫ°.n ḫm.f (ḥr) sb(t) mš° r Kmt ḥr ḥn n.sn wr sp 2

(سطر 9) الآن جلالته أرسل جيشاً إلى الأرض السوداء (مصر) ، وأمرهم (أى أمر الجيش) أمراً مهماً :

tm(r) ḥsy m grḥ m ẖbr n ḥb° ḫ3 tn ḫft ms ir n.f ḫ3 m w3(w) ir dd.f

لا تهاجموا العدو ليلاً ، مثل خطة (الذى يلعب) لعبة ، قاتلوهم حينما ترونه (ويرونكم) وتحدوهم للقتال من بعيد وإذا قال (وإذا طلب)...

sin n mš°w ḥrt-ḥtr n kt niwt ib ḥms.tn r iw mš°.f ḫ3.tn ḫft dd(t).f

العدو إعطائه مهلة لحين وصول مساعدات عسكرية من مدينة أخرى ، عندها أجلسوا وإنتظروا حتى تصل قواته (المساعدة) ، حاربهم بعد أن يقول (أى عندما يكونوا مستعدين) .

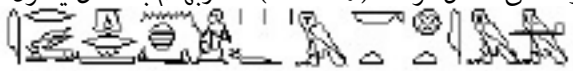

ir wn gr(t) nḫw.f m ḫt niwt imy

وإذا كان للعدو حلفاء يساعدونه موجودون فى مدينة أخرى ...

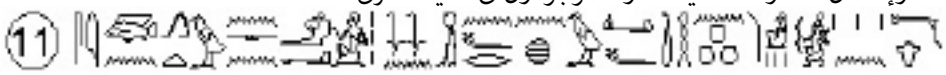

sin.tw n.sn ḫ3t(w)=f ini in(w).n.f r nḫw.f ḥbsw mš°w n niw=ib

(سطر 11) إنتظرهم ، هؤلاء الزعماء الذين أحضرهم لمساعدته الليبيون الجيوش النخبة (حرفياً المتلئة القلب).

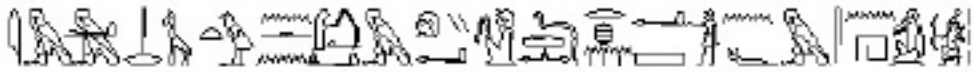

imy sr.tw n.sn ḫꜣ m tpy-ʿ ḏd n rḫ.n ʿ3(w) n.f m snḥ(y) mꜣʿw

أترك من يعلن لهم الحرب أولاً قائلاً : « يا من لا نعرف كيف نخاطبه فى حشد الجيوش .

nḥḥ ḳnw tp(yw) n iḫ(w).ḳ

جهز أفضل خيول إسطبلاتك ...

i. ir(ḥ) sk m ḫꜣ rḫ.n.k ỉmn pꜣ nḏr (ḥ) wḏ.n ỉr spr.n r ḫnw n

(سطر 12) إعمل المعركة كالحرب ، وإعلم أن آمون هو الأله الذى أرسلنا ، وعندما تصلوا إلى داخل

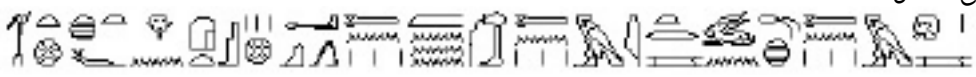

W3ḏt ḥḥ-ḥr-n ỉpt-swt ʿḳ.n m mw wʿb.n m ỉtr(w) wnḫ.n m tp-mr

طيبة (الأقصر) ، قبالة (حرفياً أمام وجه) الكرنك ، أدخلوا فى الماء و إغتسلوا من النهر ، ألبسوا أحسن الكتان .

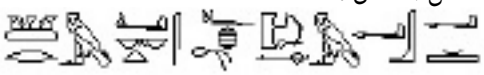

ḫrm pḏt sḫḏ ḫ3w m ʿbʿ

أريحوا الأقواس وضعوا السهام جانباً ولا تتفاخر ...

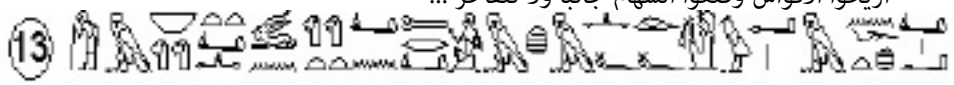

m nḏ pḏty n(ỉ) wrr pḏty n ḏ(ỉ)r m-ḫnn.f ỉr.f ꜣ3w-ʿ m nḫt-ʿ

(سطر 13) بأنك سيد القوة ، (حيث) لا توجد قوة للأقوى بدونه (أى بدون آمون) ، هو (أى الإله آمون) يجعل الضعيف قوياً.

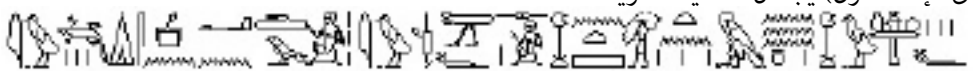

iw ʿ3w dỉ.sn sꜣ n ʿnḏw iw wʿ ỉt.f s ḫꜣ nṯꜣ tn m mw mw ḫ3w.f

حيث أن الكثيرون يهربون (حرفياً يعطون الظهر) للقليلين . والواحد يهزم ألف رجل ، أنثروا أنفسكم بالماء (بـــ)أكواب موائد قرابينه .

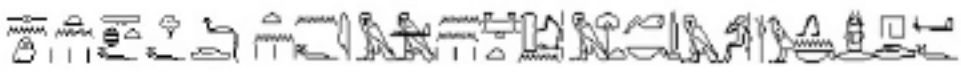

قبلوا الأرض أمام وجهه ، (سطر 14) وقولوا له : « إعطنا الطريق لنقاتل تحت ظل يدك القوية ، (أما عن) القوة (الجنود) التى أرسلتها سيحدث هجومها ...

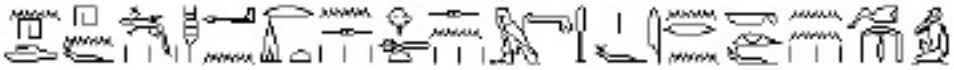

رعباً كثيراً لهم ، بعد ذلك سيجعلهم (يجلسون) على أمعائهم أمام جلالته (قائلين): « إن إسمك سيجعل لنا أيد قوية ...

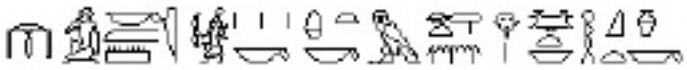

مجلسك (مستشارك) سيكون موحداً جيشك ، وخبزك فى بطوننا على كل الطريق ، وجعتك ...

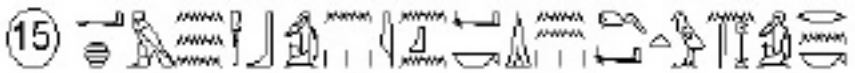

(سطر 15) تروى ظمأنا، وقوتك تمنحنا قوة أيدينا، و الواحد (الشخص) يرتعد عندما يتذكر إسمك.

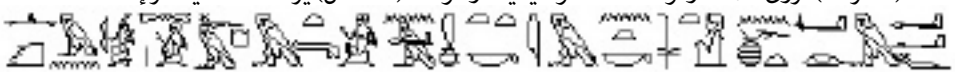

لا ينجح الجيش (أى لا ينتصر) إذا كان قائده جبان ، من هو مثيلك ؟ أنت ملك قوى يعمل بيديه «.

ثم أبحر الجيش شمالاً ووصل إلى طيبة وفعلوا كل التعليمات التى أمر بها الملك بيعنخى ، وواصلوا إبحارهم شمالاً ، وقابلوا عدداً من السفن النيلية وقوات مقاتلة من مصر السفلى مجهزة بمعدات الحرب للقتال ضد جيش جلالته ، عندها قاموا بمهاجمتهم و أحدثوا بينهم مذبحة كبيرة وقتلوا منهم أعداداً كثيرة ، وتم أسر قواتهم وسفنهم وأخذهم كأسرى إلى الملك بيعنخى .

ثم تقدم جيش جلالته بإتجاه هيراكليوبوليس وهم جاهزون ومتحدين عدوهم للقتال . وتشمل قائمة أعداء الملك بيعنخى حكام وملوك مصر الوسطى ومنهم الملك نملوت ، الملك

يووبيت، زعيم الما ، شاشونق حاكم بر أوزير نب جدو ، الملك أوسركون ملك برباست (تل بسطة) ومنطقة رع نفر وغيرهم . فتقدمت جيوش جلالته نحوهم وأحدثت فيهم مجزرة ضخمة ، وتم أسر عدد منهم و أخذ سفنهم ، وفر البقية منهم عابرين للنيل وعسكروا على الضفة الغربية . أما نملوت فقد فر جنوباً بعد أن قال له أحد (الأشخاص) أن مدينته هيرموبوليس قد واجهت العداء على أيدى جيش جلالته .

4/ مجىء الملك بيعنخي بنفسه إلى مصر وحصار هيرموبوليس :

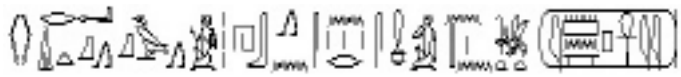

h(3)b.nsn r smi(t) n ḥm n Nsw-bity Mr(y) Tmn P-ʿnḫy

(سطر 23) أرسلوا قولاً (تقريراً) لجلالة ملك الأرض العليا والسفلى محبوب آمون بيعنخى ...

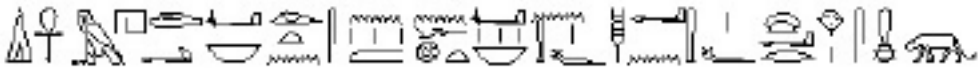

dī(w) ʿnḫ m ḥd nb irt.n.sn m rḫt(w) nb n ḥm.f ʿḥʿ.n ḥm.f ḥrr ḥr.s mi ỉbḥy

ليعطى الحياة ، بخصوص كل ما فعلوه من إنتصارات لجلالته ، فصاح جلالته بسببها (أى الإنتصارات) مثل النمر :

ḥs-ỉw rdỉt n.sn ỉp.ỉqy m mḏꜣ nw Tꜣ-mḥw (ḥr) rdỉt pr pr(yw) ỉm.sn r ꜥ

(سطر 24) هل تركتم بقية جيش الأرض الشمالية ليبقى (أى على قيد الحياة) ؟ وسمحتم للخارجين منهم أن يخرجوا ليقولوا (ليخبروا) ...

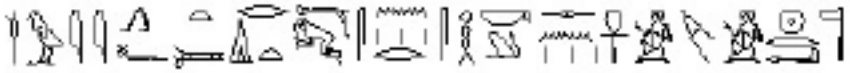

wḏ(y)(t).f (ḥr) ỉnn rdỉt mnnt.sn r ỉrỉ(yt) pḏ(wy).sn ʿnḫ.ỉ mr(wt).ỉ

(ليخبروا عن) حملته ولا يتسبب فى جعلهم يموتون من أجل إبادة من بقى منهم ؟ (قسماً) كما أعيش أنا والإله رع يحبنى ...

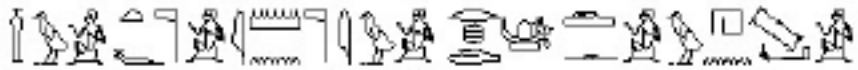

ḥs(y) wi it.i Tmn iw.i r ḥḏ(yt) ḏs.i whn.i

... (و) أبى آمون يفضلنى (حرفياً يفضلنى أبى أمون) وأنا سأبحر شمالاً بنفسى لأهدم ...

(أهدم) ما قام بفعله ، وأنا سأجعله (أى تف نخت) يهرب محارباً هارباً للأبد . ثم بعد فعل الإحتفالات الخاصة بالسنة الجديدة أنا سوف أُقَّدم ... لأبى آمون إحتفاله الجميل .

ثم بعد القيام بالإحتفالات الخاصة بالسنة الجديدة وعيد الأوبت . وفى اليوم التاسع من الشهر الأول من الموسم الأول ؛ (السطور 26 ـــــ 58) تقدم جلالة الملك بيعنخى شمالاً نحو طيبة ، وقام بأداء طقوس عيد آمون وعيد الأوبت[15] ، ثم أبحر شمالًا إلى أن وصل ميناء هيرموبوليس، وقاموا بحصارها ، وبمرور الأيام أصبحت رائحة مدينة هيرموبوليس نتنة للأنف كما يذكر النص أى إشتم الأنف رائحتها النتنة ، وأصبحت بدون رائحتها الطبيعية (فقدت رائحتها الطبيعية) . ثم إستسلمت مدينة هيرموبوليس متوسلةً أمام ملك الأرضين العليا والسفلى ، وتم تقديم الجزية والهبات التى تسر العين من الذهب وكل الأحجار الكريمة . وجاء نملوت الذى كان قد شارك فى حصار هيراكليوبوليس مع حلفاء تاف نخت تائباً يتوسل إلى الملك بيعنخى . ثم جاءت زوجة (نملوت) ، زوجة الملك وإبنة الملك جاءت لتتوسل لزوجات الملك ، محظيات الملك ، بنات الملك وأخوات الملك ، هى (أجلست نفسها على أمعائها) أى تضرعت وتوسلت فى بيت زوجات الملك أمام زوجات الملك ، (قائلة) « تعالوا إلى يا زوجات الملك ، بنات الملك وأخوات الملك هلا إسترضيتن (الإله) حورس (أى الملك بيعنخى) ، سيد القصر ، صاحب القوة العظيمة ، يا لعظمة صدق صوته . وهنا يفترض أن نساء الملك تحدثن إليه ، مما أدى لقبول الملك بيعنخى لتوسلات نملوت وحريمه والصفح عنهم وإنهاء تمرد نلموت (16)، الذى جاء بنفسه وضع نفسه على أمعائه أمام جلالته (أى ركع مستسلماً) وهو يقول « أرضِ عنى يا حورس سيد القصر ، إنها قوتك التى فعلتها لى ، أنا أحد خدمك الذين يدفعون الضرائب للخزينة . ثم قدم لجلالته الفضة ، الذهب ، حجر لازورد ، تركواز ، برونز والعديد من الأحجار الكريمة ، فامتلأت الخزينة بهذه البضائع . و أحضر حصاناً بيده اليمنى و شخشيخة من الذهب وحجر اللازورد بيده اليسرى(17) (كما يبدو منقوشاً فى المنظر العلوى للوح).

5/ بيعنخى يعف عن نساء نلموت ويعنفه بسبب خيوله:

بعد زيارة الملك بيعنخى لمعبد جحوتى سيد هيرموبوليس ، وتقديمه للقرابين ؛ ذهب إلى قصر نلموت ، ودخل إلى معظم غرف القصر وخزائنه ، وقدمت زوجات وبنات الملك كل فروض الطاعة (بطريقة النساء) :

(السطر 63) زوجات الملك وبنات الملك له ، و هن قمن بعمل ولاء لجلالته على طريقة النساء ، ولكن جلالته لم يدر وجهه إليهن (لم يلتفت ناحيتهن) .

wḏȝ pw ir.n ḥm.f r ỉḫ(w) nw sṯmwt wḏfw nt nfr(w) m3.n.f

(السطر 64) وذهب جلالته إلى أسطبل الخيول وحظائر المهور (عندما) رأى ...

sḫkr.n ḏd.f ˁnḫ.i mr(y) (w)i Rˁ ḥwrw ḥnḏ.i m ˁnḫ ḥsw.w(y) mn ḥr ỉb.i

(السطر 65) الخيول والمهور قد تركت للجوع ، صاح قائلاً : « كما أعيش أنا و رع يحبنى ، وكما أنفى يتجدد بالحياة ، (هنالك) كم هائل من الحزن (الشر) فى قلبى ...

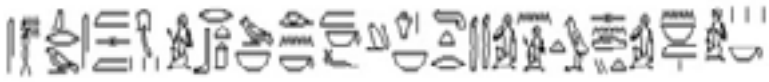

sḫkr smsmw.i r ḥtỉ nb ỉr(w)n.k m ḫfȝ ỉb.k mtr n.i ḥr snḏm n.k gs[r]w.k

(السطر 66) لأن خيولى (تركتها) للجوع ، (الذى يمثل) أكثر من أى حقارة أنت عملتها فى قلبك ... وبعد ذلك تم رصد كل ممتلكات نملوت إلى الخزينة ، و مخازن قلاله إلى الدخل المقدس للإله آمون فى طيبة ، ومن ثم ظل كاتب اللوح يضيف جملة إرسال الغنائم لمعبد آمون فى طيبة، وهى عبارة فى غاية الأهمية تشير إلى نقل الغنائم للمعبد([18]).

6/ حاكم هيراكليوبوليس يعلن تأكيد ولائه :

وتسجل السطور (71 ـــــ 75) مجىء حاكم هيراكليوبوليس حاملاً جزيته من الذهب ، الفضة وكل أنواع الأحجار الكريمة ، وأحسن خيول الأسطبل ، إلى الملك بيعنخى وركع أمام جلالته وقال « مرحباً بك ، حورس الملك القوى ، الثور (الذى) يهاجم الثيران ، أنا لم أجد صديق واحد يقف (إلى جانبى) فى يوم الضيق يوم المعركة إلا أنت أيها الملك القوى الذى طرد الظلام عنى ، أنا سأخدمك مع ممتلكاتى ، ومدينتى ستصبح تابعة لك .

7/ إبحار الملك بيعنخى شمالاً وستسلام مدن ميدوم إيثيت تاوى (بلدة اللشت):

الآن ملك مصر العليا والسفلى بيي (بيعنخى) ليحيا للأبد ، أبحر شمالاً إلى القناة بجانب (بلدة اللاهون عند المدخل للفيوم) ، وهو وجد مدينة بيت سخم خبر رع وجدارها الدائرى تمت تعليته ، وبوابتها مغلقة ، وكانت مليئة بكل المقاتلين الجنود التابعين للأراضى الشمالية . فأرسل جلالته لهم رسلاً يحذرونهم ويدعونهم لفتح البوابة وإلا سيكونون فى عداد الأموات ، وأن يتجنبوا الذبح فى هذا اليوم إن لم يتركوا البوابة فاتحة ، فاستسلموا له قائلين : إن كل أوامرك ستنفذ فى الحال مثل ما يخرج من فم الإله ، وأنت حقيقة مولود كوجه الإله ، أدخل إلى مدينتك وحصنها ودع الداخلين إليها يدخلون والخارجين منها يخرجون . ودخل جيش جلالته إلى المدينة ، ولم (يقم) بذبح

أى شخص من كل الناس (الذين) وجدهم . وأمر أمناء الخزانة ليودعوا ممتلكاتها وكنوزها وقلالها فى خزينة ومخازن هبات والده آمون رع (طيبة) سيد عروش الأرضين. وواصل بيعنخى أبحاره نحو الشمال حيث وجد مدينة مر أتوم (ميدوم) ، قد قفلت أبوابها فى وجهه (رغم أنه) لم يقم بمهاجمتها . وحاصرهم الخوف ، وختمت الرهبة أفواههم ، ثم أرسل جلالته لهم قائلاً « إنتبهوا (هنالك) طريقان لكما إختاروا ما تحبون ، إفتحوا ستحيون ، (أو) إقفلوا ستموتون أى إن فتحتم أبواب مدينتكم ستعيشون (سأترككم) ، وإن لم تفتحوها ستموتون (سأقتلكم) ، فجلالتى لن يمر عبر مدينة مقفولة . ثم فتحوا له فى الحال ، فدخل جلالته إلى داخل المدينة ، وقدم خزائنها وصوامع قلالها هبة لآمون فى طيبة .

ثم أبحر جلالته شمالاً إلى إيثت تاوى (بلدة اللشت) فوجد قلعتها مغلقة ، وجدرانها ملئت بجيوش كثيرة تتبع للأرض الشمالية . ثم هم فتحوا القلعة وركعوا مستسلمين لجلالته ، قائلين : « إن والدك (أى الأله آمون) إئتمنك على ميراث عرشه ، فالأرضين كلها لك ، ولك كل ما هناك ، وأنت سيد كل ما على الأرض « ، ثم أخذ كل القرابين والكنوز إلى معابد الإله آمون فى طيبة .

8/ إستسلام ممفيس :

(السطور 84 ـــــ 85) تذكر إبحار الملك بيعنخى إلى مدينة ممفيس (Inb-HDالجدار الأبيض) ، ثم أرسل إليهم قائلاً (لسكان ممفيس):» لا تغلقوا على أنفسكم ، ولا تقاتلوا ، (يا) ساكنى شو (إله الهواء) منذ البداية أى الأزل ، دعوا الذى يود الدخول أن يدخل ، والذى يود الخروج دعوه يخرج ، أنا سأقدم القرابين للأله بتاح إله الآلهة الموجودين فى ممفيس . و أنا سأقدم القرابين للإله سوكر فى مقصورته ، وسأنتبه للإله بتاح فى جداره الجنوبى ، وسوف أبحر شمالاً فى سلام ، وستكون ممفيس بخير وسلام ، لا تجعلوا الأطفال يبكون فقط أنظروا إلى مقاطعات الجنوب ، فهم مطيعون وليس هنالك شخص واحد ذُبح ، ماعدا المتمردين الذين كفروا بالإله ، والذين ذُبحوا . ولكنهم لم يعيروا طلب جلالته أُذناً صاغية . وأغلقوا بوابة قلعتهم .

9/ ظهور تاف نخت فى ممفيس وإستعداده للقتال :

بعد أن أقفل سكان ممفيس قلعتهم . تذكر (السطور 86 ـــــ 89) أن الجيوش بدأت تأتى إلى ممفيس لتحارب ضد جيش جلالته ، وكذلك الفنانون ورؤساء البنائين والبحارة .

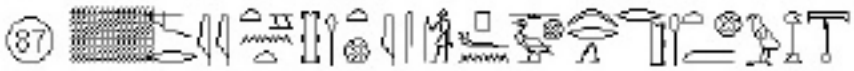

(السطر 87) ... (الذين جاءوا إلى) ميناء ممفيس ، الآن زعيم سايس (تاف نخت) قد وصل إلى ممفيس فى الليل (وصول تاف نخت ليلاً فيه إشارة لإستفادته من توجيهات الملك بيعنخى لجنوده بأن لا يحاربوا العدو ليلاً[19])) .

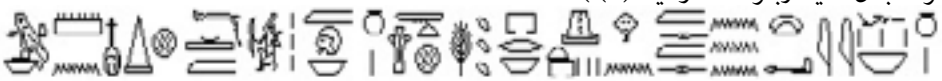

mk Mn-nfr mk m mȝ˚ m ỉp nb nw T3-mḥw it pdt pr nbỉmwt ḥr ngngw ḥ˚w nb nw

(تابع سطر 87) بالتأكيد ؛ إمتلأت ممفيس بأحسن قوات الأرض الشمالية (وبـــــ) الشعير وكل أنواع الحبوب ومخازن قلالـ(ها) تفيض ، وكل أنواع السلاح .

و تم بناء شرفات ضخمة عالية ، بفعل عمال البناء المدربون ، وحظائر الماشية هنا فى ممفيس مملوءة بالأبقار ، والخزانة (بيت المال) مملوءة بالفضة ، الذهب ، النحاس ، القماش ، البخور ، العسل والراتينج . وبعد أن وفر كل المؤن التى تساعد فى حال حصار المدينة ، أبحر تاف نخت شمالاً على أمل أن يعود على رأس جيش عرمرم قبل أن يصل بيعنخى إلى ممفيس ، ليباغته عند جدران المدينة ([20]).

10/ معركة ممفيس :

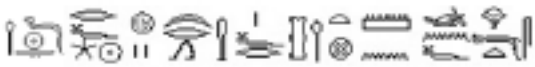

ḥd t3 rf dw3 (sp-sn) spr ỉm.f r Inb-ḥd mn.n.f ḥr mḥt.s

(مع) أول ضوء (خيط) أبيض من الفجر، وصل جلالته إلى ممفيس ، ربط (أى عسكر) عند شمالها ... وعند وصوله رأى جلالته جدار ممفيس أصبح أكثر قوة وقد بنى حديثاً ، والشرفات تمت تقويتها و سدها بقوة ، ولا يوجد طريق لمهاجمتها ، وكل رجل بين قوات جلالته سيقول رأيه عن كيفية القتال ، فقال أحدُهم دعونا نحاصرهم ، وقال آخرون إنتبهوا إن قواتهم كثيرة العدد ، دعونا نكوم الأرض ونعمل طريقاً مرتفعاً إلى مستوى الشرفات ، و لنفرد الأشرعة ولنبحر من حدود خارج المدينة إليها ، ولنفعل نفس هذا الأسلوب على كل جوانبها حتى نجد الطريق إلي داخلها .

(السطور 92 ـــ 98) تصور هزيمة تاف نخت وحلفائه ودخول الملك بيعنخى مدينة ممفيس وتطهيرها :

صاح جلالته مثل النمر قائلاً :» أقسم كما أنا أعيش والإله رع يحبنى ويفضلنى والدى آمون ، أنا وجدت هذا يحدث لها (أى لممفيس) بسبب أمر الإله آمون ، ولهذا يقول كل الناس فى الشمال مع مقاطعات الجنوب دعهم يفتحوا له (بواباتها) ، ولكنهم لم يفعلوا ، ولم يضعوا الإله آمون فى قلبهم (أى لم يؤمنوا به) ، وأنا سأستولى عليها مثل الإعصار كما أمرنى أبى الإله آمون .» ثم أرسل أسطوله وجيشه لمحاربة ميناء ممفيس . هم أحضروا له كل سفن الجايي والسهرى (نوع من أنواع السفن) وكل القوارب العبارة ، و أمر جلالته جيشه (قائلاً) « تقدموا نحوها ، تسلقوا الجدران . أدخلوا البيوت التى على شاطىء النهر ، وعندما يدخل أحدكم داخل هذه البيوت وعند شرفاتها لا يقف أحدكم بجوار الآخر ، فلا يوجد متمردين يصدونكم ، لأنهم جبناء ، يجب أن نضع ختمنا على أرض الجنوب و على أرض الشمال ، ولتجلس (الأرضين السفلى والعليا) بسرعة فى ميزان الأرضين (ممفيس) ، ثم تم إخضاع ممفيس والإستيلاء عليها كالإعصار. وتم ذبح الكثير من الناس بداخلها ، مع إحضار الأسرى الأحياء إلى مكان جلالته ([21]).

والآن بعد أن جاء اليوم التالى ؛ أرسل جلالته الناس إليها (أى ممفيس) لحماية معابد الإله،

إنه هو الذى رفع يده فوق معابد الآلهة (بمعنى كفل لها الحماية) ، ومد بالسوائل معبد روح الإله بتاح وطهر ممفيس بالنطرون والبخور ، وعين الكهنة فى وظائفهم . ثم مضى جلالته إلى بيت الإله بتاح وتم تطهيره ، وأقيمت له كل الطقوس ، وهو قام بتقديم القرابين العظيمة لوالده بتاح تشمل الماشية ، الطيور وكل شىء جميل ، و جلالته ذهب إلى بيته .

11/ إستسلام مناطق ممفيس وأمراء الدلتا :

(السطور من منتصف 98 ـــــ إلى منتصف السطر 101) تذكر إستسلام مناطق ممفيس وتقديم الجزية بواسطة أمراء الدلتا :

بعد سقوط ممفيس ؛ سمعت كل المقاطعات التى فى منطقة ممفيس الذى حدث ، وكيف هرب زعماء الشمال وكأنهم طائرين (من شدة السرعة) ، ولا يعرف أحد المكان الذى ذهبوا إليه ، وجاء الملوك والأمراء : الملك إووابت و زعيم الما أكانوش و وريث العرش (الأمير) باديس إبن وخليفة الملك باكننفى الذى قتلته جيوش بيعنخى فى هيراكومبوليس[22] ، وكل حكام المقاطعات التابعين للأرض الشمالية (مصر السفلى) يحملون جزيتهم لرؤية جمائل جلالته ، ثم بعد ذلك تم تخصيص الخزائن ومخازن القلال التابعة لمنفيس كهبة إلهية لآمون بتاح ، و للتاسوع الموجودين فى معبد حوت كا بتاح . ومع طلوع الشمس ذهب جلالته إلى الشرق وتم تقديم القرابين لآتوم فى ساحة الحرب ، وللتاسوع فى بيت التاسوع تشمل الماشية والطيور التى قد تعطى الحياة والإزدهار والصحة لملك الأرضين العليا والسفلى ، بيعنخى ليعش للأبد .

12/ الملك بيعنخى فى إونو (هيليوبوليس ـــ عين شمس) وأتريب :

ثم ذهب جلالته إلى إونو (هيليوبوليس) ، حيث أدى بعض الشعائر والطقوس أمام الإله رع (قرص الشمس) عند شروقه وقدم له القرابين . ومع ضوء الفجر أبحر جلالته فى أجمل سفنه إلى ميناء أتريب ، حيث نصبت خيمة جلالته ناحية جنوب الميناء ، وجاء ملوك و زعماء الأرض الشمالية ، و كل الزعماء الذين يضعون الريش ، وكل وزير ، زعيم ، كل ملوك الغرب ، والشرق من الجزر فى الوسط ، كلهم جاءوا لرؤية جمائل جلالته ، و جاء الأمير الوريث (ولى العرش) باديس واضعاً نفسه على أحشائه كما يقول النص (أى متضرعاً) أمام جلالته قائلاً « تعال إلى مقاطعة أتريب ، لترى الإله خنتى ـــ ختى حيث الإلهة خويت سوف تحميك ، وأنا سوف أمد لك أملاك والدى ، و سأعطيك الذهب بما يرضى رغبتك ، وذهب جلالته إلى أتريب ، إلى بيت حورس خنتى ختى وقام بتقديم القرابين من الماشية والطيور لوالده حورس خنتى ختى سيد مقاطعة أتريب فى مصر السفلى ، ثم تقدم جلالته إلى بيت الأمير الوريث (ولى العرش) باديس ، وهو (أى باديس) قدم له الفضة والذهب و أحجار اللازورد ، المرمر الأخضر والكثير من لباس الكتان الملكى الفخم ، اللبان ومرهم (زيت) فى الجرار و خيول ذكور وأناث ، ثم إلتفت إلى جلالته قائلاً : إذهب إلى الإسطبل وإختار كل ماتحبه من أجود الخيول ، ففعل جلالته ذلك (23).

بل أقسم الأمير باديس أمام هؤلاء الملوك والزعماء لجلالته: (السطور 111 ـــــ 114) « {قائلاً} كل واحد منكم يخفى خيوله (أو) يخفى حقه (ممتلكاته) ؛ سيموت كموت والده ، أنا

أصدرت هذا لأجل أن تدعم هذا الخادم المتواضع لأنك تعرف كل شيء عنى ، لذا أنت ستقول (إذا) أنا أخفيت أى شئ عن جلالته ، أرسلنا إلى مدننا لنفتح خزائننا لتختار ما يحبه قلبك و لنحضر لك أحسن مخازننا وأوائل (أسرع) خيولنا « حينئذ فعل جلالته مثل هذا .

قائمة بأسماء هؤلاء الملوك والزعماء : الملك أوسركون من بيت باست منطقة رع ـــــ نفر، الملك إوبوت من مدينة السمك (بلدة تل المقدم الحالية) وتان ، زعيم جد أمن إف عنخ فى بيت الكبش سيد جد و مخازن قلال رع ، إبنه الأكبر قائد الجيش فى بيت جحوتى الذى فرق بين المتقاتلين عنخ حورس (حورس الحى) زعيم أكانتوش فى العجل المقدس (بلدة سمنود الحالية) فى بيت التى فى إحتفال (بلدة بحبيت الحجر الحالية) وفى سيما بحدت (بلدة تل البلامون الحالية) ، الزعيم وحاكم الما باتنفى فى فى بيت سوبد (بلدة صفط الحنة الحالية) وفى شنوت إن إنب حج (مخازن قلال الجدار الأبيض ، بلدة شونة يوسف الحالية) ، زعيم وحاكم الما با ما فى بر أوزير نب جد ، زعيم وحاكم الما با نس نا إسو فى ثور حسيب ، زعيم وحاكم الما نخت حر نا شنوت فى بيت قرر (بيت الضفدعة) زعيم وحاكم الما بنتاور ، زعيم وحاكم الما بنتى بخنت كاهن حورس سيد خم . با دي سما تاوى ، زعيم حو را با سا فى بيت (الإلهة) سخمت سيدة سايس ، وبيت (الإلهة) سخمت سيدة راحاساوى ، زعيم جد خى إيو فى (بلدة) خنت نفر ، زعيم باباسا فى مكان المعركة وفى بيت الفيضان (بر حعبى) (ربما بلدة أثر النبى 2 كيلومتر جنوب القاهرة القديمة) ، وهم يحضرون كل بضاعتهم (جزيتهم) الجميلة من الذهب ، الفضة والكتان .... وخلافه (السطور الأولى (118 ـــــ 123) من الجزء الأخير من اللوح مهشمة ولا يمكن قراءتها) .

13/ إستسلام تاف نخت :

ثم سمع زعيم الما تاف نخت بهذه الأحداث ، فأرسل رسولاً إلى جلالته فى المكان الذى فيه ، وجاء رسولُه متوداً ومتضرعاً ليقول لجلالته (السطور 127 ـــــ 140): « السلام عليكم أنا لا أستطيع أن أنظر إلى وجهك فى أيام الخزى بسبب الخزى والخجل من سيادتك ، وأنا لا أستطيع الوقوف أمام بأسك ، حقيقة أنا أخشى جمالك ، فأنت سيد الأرض الجنوبية منتو الثور القوى الأيدى ، الذى فى كل مدينة إذا أدرت وجهك نحوها لن تجد فقيراً هنالك ، أنا (هربت) وصلت جزر البحر (الأبيض المتوسط أى الأخضر العظيم) ، لأننى أخشى من غضبك ، إن غضب قلب جلالتك كاللهب وهو بمثابة عدو لى ، أنا فى الحقيقة شخص كريه ، وأنت لا تعاقبنى وفقاً لجريمتى ، قس بالميزان (أى أقم العدل) ، أحكم بالوزن (لكن حتى إذا) ضاعفته ضدى ثلاث مرات (على الأقل) أترك البذور لتجمعها فى الموسم (أى موسم البذور) ، لا تقطع البستان إلى جذوره (أشجار البستان) ، (حتى) لا تعش روحك إرهاباً منك فى جسدى ، خوفك فى عظامى ، وأنا لا أجلس فى قاعة الجعة ولا يُعزف لى الهارب (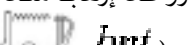 ألة وترية على شاكلة الربابة) ، (ولكنى) أكل الخبز عند الجوع ، و أشرب الماء عند العطش ، منذ ذلك اليوم عندما سمعت إسمى ؛ أصبح المرض فى عظامى وأصبح رأسى أصلع و أصبحت ملابسى خرقاً ، حتى الإلهة نيت إسترُضيَت لى ، و حضرت إلىَّ لفترة طويلة ، الآن هل يمكن لروحى أن تُطَّهر؟ ، لتُطَهِّر الخادم من خطئه ، واجْعل

ممتلكاتى أن توضع فى الخزينة (أى إستقبل ممتلكاتى فى بيت المال) حتى الذهب وكل الأحجار الكريمة وحتى أجود الخيول ، مكافأة من كل شىء ، دع الرسول (المبعوث) يأتى إلى بسرعة ، هو سوف يبعد الخوف عن قلبى ، عندئذ سأذهب إلى المعبد فى حضوره وسأطهر نفسى بالقسم «.

وبعد وصول الرسول (المبعوث) إلي تاف ـــــ نخت ؛ ذهب تاف ـــــ نخت إلى المعبد (أى معبد الإله) وعبد الإله و طهر نفسه بالقسم المقدس ، قائلاً (السطور 141 ـــــ 144) : « أنا لن أنتهك مرسوم الملك ولن أُهمل ما قاله جلالته ، ولن أفعل أذىً لزعيم دون علمك ، وسأفعل حسب قول الملك ، ولن أنتهك مرسومه (أوامره) «، و عندئذ أصبح جلالته راضياً عنه . السطور 145 و 146 ؛ تذكر أنه بعد خضوع تاف ـــــ نخت وإلتزامه بالقسم المقدس الذى قطعه على نفسه أمام الملك بيعنخى ، خضعت كل مقاطعات الجنوب والشمال ، الغرب والشرق والجزر ، فأصبحت جميعها خاضعة للملك بيعنخى ، وجعل ممتلكات هذه المقاطعات ترسل إلى المكان الذى فيه الملك بيعنخى .

14/ إكتمال النصر ومجىء الملوك والحكام لتقديم الولاء الأخير للملك بيعنخى :

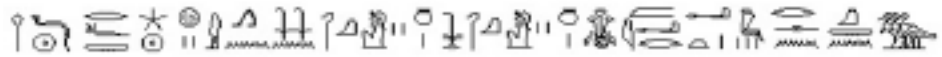

(السطور 147 ـــــ 148) عندما أضيئت الأرض (حرفياً أضاءت الفضة الأرض) أى إنبلاج يوم ثانى ، جاء هذان الحاكمان التابعان للجنوب والحاكمان التابعان للشمال وحيات الكوبرا على جباههم ليقبلوا الأرض لقوة ...

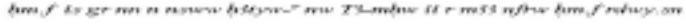

(السطر 149) جلالته ، الآن هؤلاء الملوك والحكام التابعين للأرض الشمالية جاءوا لرؤية جمائل جلالته و أرجلهم ...

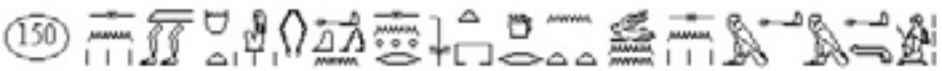

(السطر 150) (ترتعش) مثل أرجل النساء ، ولم يدخلوا إلى بيت الملك بسبب أنهم ليسوا مختونين ...

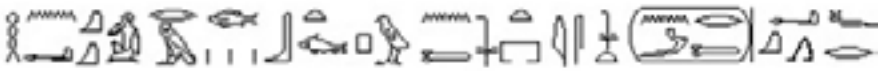

ḥnᶜ wnm-mw ḥwt pw nt pr-nsw ḥr nsw N-mi-r-t ᶜḳ.fr

(السطر 151) ومع (ذلك) آكلى السمك وهذا (يعتبر) إهانة لبيت الملك ، ولكن الملك نملوت دخل إلى ...

pr-nsw dr ntt wnm.f m wᶜb n wnm.f mw ᶜḥᶜ.n ḥmt r rdwy.sn wᶜ m ᶜḳ pr-nsw

(السطر 152) البيت الملكى لأنه طاهراً ولم يأكل السمك . ثم وقف ثلاثة (حكام آخرين) (سطر 153) على أقدامهم (بمعنى أنهم لم يدخلوا) وواحد (فقط) دخل إلى بيت الملك .

15/ الملك بيعنخى يعود منتصراً إلى نبتة :

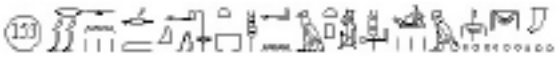

(بقية سطر 153) ثم حملت المراكب بالفضة ، الذهب ، النحاس ،

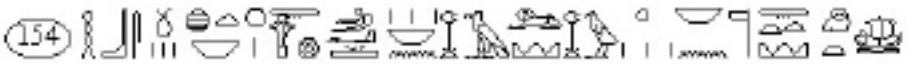

ḥbsw ḥt nb nw Ṯ-Mḥw mᶜw nb n Ḏfr ḥbsw nb n Ṯ-sp ḥnt(y)

(سطر 154) الملابس وكل الأشياء من الأرض الشمالية ، وكل منتجات سوريا ، وكل الأخشاب العطرية من أرض الإله جنوباً ...

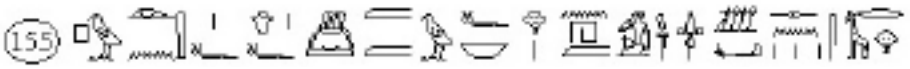

(سطر 155) أبحر جلالته (حرفياً الإبحار جنوباً فعله جلالته) وقلبه ملىء (حرفياً متورم) (بالبهجة) ، كل من على الصفتين كان يصيح (فى) الغرب والشرق موافقين على ما حدث ...

nhm m ḥtw ḥm.f ḥnw nhm dd.sn pt ḥkꜣ ṯ(n)r (sp-sn)

(سطر 156) يصيحون حول جلالته ، يغنون ويصيحون وهم يقولون : « يا أيها الحاكم القوى ، يا أيها الحاكم القوى (مرتين) ...

P-ʿnḫy p3 ḥḳ3 t(n)r tw ii.tw ḥḳ3.n.k T3-Mḥw ir.k k3w

(سطر 157) بيعنخى الحاكم القوى ، أنت جئت لتحكم الأرض الشمالية (مصر) أنت عملت الثيران ...

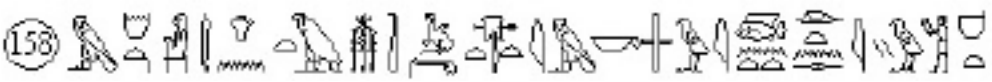

m ḫmwt nḏn ib n mwt ms ti t3 sti im.k imyw int irt n.s i3w idt

(سطر 158) داخل النساء (بمعنى جعلت الثيران داخل رحم النساء) ، سعيدٌ قلب الأم التى ولدتك ، (و) الرجل الذى أنجبك ، الذين بين الوادى (أى السكان الذين بين الوادى) يعشقونها ، البقرة ...

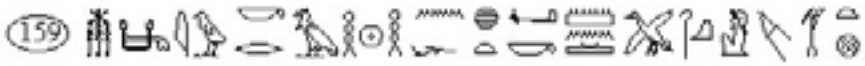

ms k3 tw.k r nḥḥ nḥt.k mn(w) p3 ḥḳ3 mr(y) W3st

(سطر 159) (التى) ولدت الثور ، أنت (ستبقى) للأبد ، قوتك ثابتة ، أيها الحاكم محبوب طيبة (حرفياً واست)»

ثم حملت المراكب بالفضة ، الذهب ، النحاس الملابس وكل الأشياء من الأرض الشمالية ، وكل منتجات سوريا ، وكل الأخشاب العطرية من أرض الإله . وأبحر جلالته جنوباً وقلبه ملىء بالسعادة ، و كل من على الصفتين فى الغرب والشرق كانوا يصيحون موافقين على ما حدث ، يهتفون ويغنون لجلالته قائلين : « يا أيها الحاكم القوى ، يا أيها الحاكم القوى بيي (بيعنخى) الحاكم القوى ، أنت جئت لتحكم الأرض الشمالية (مصر) أنت عملت الثيران داخل النساء (بمعنى جعلت الرجال الأقوياء داخل رحم النساء) ، كم هو سعيد قلب الأم التى ولدتك ، والرجل الذى أنجبك ، وسكان الوادى يعشقون أمك ، البقرة (التى) ولدت الثور ، أنت ستبقى للأبد ، وستظل قوتك ثابتة ، أيها الحاكم محبوب طيبة .» وبعد عودته من مصر شرع فى بناء الإضافات الكبيرة لمعبد آمون الكبير بجبل البركل ، حيث يعتبر المعبد حينها المعبد الأساسى لمملكة كوش ، فأضاف للمعبد الصرحين والفناءين الأول والثانى ، وهو أى بيعنخى الذى نقل تماثيل الكباش الثمانية التى تحمل إسم الفرعون أمنحتب الثالث من معبد صلب وزين بها مدخل معبد امون الكبير بجبل البركل[24]، و فى بهو الأعمدة الأول من الداخل بهذا المعبد نصب لوحه هذا المعروف بلوح النصر، وعلى الجدران الداخلية لهذا البهو نقش مناظر حملته العسكرية على مصر ، وللأسف لم يبق من هذه المناظر إلا النذر القليل الذى يوضح مناظر الخيول ، وكان ذلك على الأرجح عام 725 ق.م .

خـــــاتمة :

- تعتبر نصوص لوح النصر بمثابة شهادة تاريخية ومرسوماً عسكرياً ، يؤكد سلطة مملكة كوش فى عهد الملك الملك بيعنخى على وادى النيل ، من ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى ملتقى النيلين الأزرق والأبيض فى الخرطوم الحالية على الأقل ، و يعتبر هذا بمثابة أكبر وأول إتساع للملكة الكوشية على طول النيل تم تحقيقه فى الزمان القديم([25]) ، ولا شك فى أن الملك بيعنخى قد ترك نسخاً من هذا اللوح فى كبريات المعابد المصرية مثل معبد الكرنك وغيره ، ولكنها فقدت ولم تصل إلينا .
- ذاع صيت هذا اللوح فى العوالم الكلاسيكية ، بما يحتويه من عبارات فخمة تمتاز بمعانى الرجولة والعفو عند المقدرة ، والتعامل الإنسانى حتى مع الأعداء ، مما يجعله مثالاً يحتذى للعمل الإنسانى ، ووحياً للكثير من الأعمال الأدبية من بينها الأوبرا المصرية عايدة التى ألفت على نسقه عام 1871 م .
- فى شأن نساء الملك نملوت وتوسلهن لزوجات ولبنات الملك بيعنخى ، ثم قيامهن بتقديم الولاء للملك نفسه على طريقة النساء (سطر 63) ، ولكن جلالته لم يدر وجهه إليهن (أى لم ينظر إليهن) ، يشير إلى أن للنساء طريقتهن فى تقديم الولاء للملك المنتصر، وعدم إلتفات الملك إليهن فيه إشارة إلى عدم إهتمام الملك بهن أو لترفعه عن ما أشرن إليه .
- طبقاً لما ورد فى اللوح فإن جل الضرائب التى كان يدفعها الملوك والحكام للملك بيعنخى إن لم يكن كلها كانت تتضمن أحسن الخيول ، وهنالك الحادثة المشهورة (السطور 64 ـــ 67) ؛ عندما دخل الملك بيعنخى بنفسه إلى إسطبل الخيول الخاص بالملك المهزوم نملوت حاكم هيرموبوليس حوالى عام 728 ق.م ([26])، غضب غضباً شديداً بسبب إهمال الخيول وتركها للجوع ، وصاح معبراً عن هذا الشعور (كما أعيش أنا و (الإله) رع يحبنى ، وكما أنفى يتجدد بالحياة ، (هنالك) كم هائل من الحزن فى قلبى) ، إعتناء الملك بيعنخى بالخيول الخيول يظهر فى المنظر الرئيسى أعلى اللوح الذى يبدو فيه الملك نملوت يقود (أفضل) الخيول . وعند قيامه بالإضافات المعمارية الكبيرة على المعبد الرئيسى للإله آمون بجبل البركل ، حرص على تسجيل مناظر حملته العسكرية هذه على الجدار الجنوبى الشرقى وتمثل الخيول الجزء الأبرز من هذه النقوش . كما يتجلى الإعتناء بالخيول لدى الملك بيعنخى عندما بدأ عادة دفن الخيول فى المقبرة الملكية بالكرو([27]) (Ku.221-222).
- موضوع إعتناء الملك بيعنخى بالخيول ؛ يستشف من سرد الأحداث والوقائع التى حدثت فى هذه الحملة ، أن إهمال الخيول وعدم الإعتناء بها لم يكن سبباً رئيسياً فى قيام الحملة العسكرية كما يروج له .
- تختتم نصوص اللوح (السطور 148 ـــ 153) بأحداث تعتبر غريبة على المجتمع المصرى آنذاك ، فعندما جاء الحاكمان التابعان للجنوب والحاكمان التابعان للشمال وهم يضعون حيات الكوبرا على جباههم (فهم إذن ملوكاً) ، جاءوا ليقبلوا الأرض أمام قوة

جلالة الملك بيعنخى الجالس فى قصره وأرجلهم ترتعش من الخوف كأرجل النساء ، فلم يسمح لثلاثة منهم بالدخول للقصر الملكى ، لأنهم غير مختونين ومن آكلى السمك ، لأن فى هذا إساءة للقصر الملكى ، ما عدا نملوت الذى سمح له بالدخول لأنه كان طاهراً ولم يأكل السمك ، وإعتبار أن الآخرين ليسوا طاهرين لأنهم غير مختونين ، الختان كان أمراً مألوفاً فى مصر القديمة وبالتالى فى كوش كذلك ، وفيه إشارة لتطور المجتمع وفيه إشارة لدخول مرحلة النضج والطهارة . ثم بسبب أكلهم السمك الذى يعتبر مانعاً لدخول القصر الملكى ، وفى هذا إشارة لتقليد مصرى يمنع تقديم السمك للجهات المقدسة مثل الآلهة والموتى ، وعلى العكس من هذا فإن السمك يعتبر من الأطعمة المعتادة فى مصر ويقدم طعاماً للعاملين فى المعابد ، وعلى ذلك فذكر هذه الحادثة التى تعتبر أن : قصر الملك الكوشى مكاناً مقدساً يجب الدخول إليه وفق أوامر غير معتادة ، تعتبر حدثاً غريباً لدى المصريين ([28]).

توصية :

فى ختام هذه الورقة ، أود أن أشير إلى أن أكثر ما يمكن أن يكون فيه فائدة كبيرة للباحثين والمهتمين بالتراث السودانى ؛ هو موضوع نشر الترجمة الكاملة للعدد الكبير من النصوص الكوشية الملكية ، خاصة تلك المسجلة على الألواح التى أخذت من السودان موطنها الأصلى وتعرض الآن فى متاحف عالمية ، وقد بدأت هذا المشروع منذ العام 2019 ؛ واكتمل نشره فى أربعة أجزاء (الترجمة الكاملة للألواح الملكية الكوشية 1 ـــ 4) ومؤخراً تم نشر الأجزاء فى كتاب واحد ، نشرت جميعها بواسطة دار أريثيريا للنشر والتوزيع . ذلك لأهمية هذه النصوص السودانية القديمة ، والتى على كثرتها لا يمتلك السودان منها سوى القليل ، وفيما يلى حصراً قمت به للنصوص الملكية الكوشية بالمتاحف الوطنية والعالمية :

بمتحف السودان القومى :

- مسلة بيي (بيعنخى) ، من كدكول حوض لتى منطقة القدار ودنقلا العجوز .
- لوح للملك بيي (بيعنخى) من الحجر الرملى ، حوالى 747 ق. م ، من معبد آمون بجبل البركل بالرقم 1851 .
- لوح جنائزى صغير للملكة تابيرى 716 ق.م ، من الكرو ، بالرقم 1951 .
- لوح الملك تهارقا من العام السادس ، حوالى 685 ق.م ، من معبد آمون بالكوة ، بالرقم 2678 .
- لوح الملك تهارقا العام 8 ـــــ 10 ، من معبد آمون بالكوة ، بالرقم 2679 .
- لوح الملك أسبلتا بمناسبة بناء مقبرةً للأمير خاليوت ، نهاية القرن السابع ق.م ، من معبد آمون بجبل البركل.
- نقش الملكة كاديمالو ، حوالى القرن الثامن ق.م ، على جدار معبد سمنة غرب ، بحديقة متحف السودان القومى .
- بالمتحف المصرى بالقاهرة و متحف النوبة بأسوان :

- جزء من لوح للملك كاشتا (المصدر غير معروف).
- لوح التكريس Dedication Stela للملك كاشتا من إلفنتين (قبل عام 747 ق.م).
- لـوح النـصر للملـك بيـى (بيعنخـى) العـام 21 حـوالى 727 ق.م . أخـذ عـام 1862 إلى القاهـرة مـن بهـو الأعمـدة الأول بمعبـد آمـون بجبـل البركل ، المتحـف المـصرى بالرقـم J 48862 .
- جـزء مـن لـوح للملـك بيـي (بيعنخـى) بالرقـم J 47085 وهنالـك جـزء مـن هـذا اللـوح كان محفوظـاً بمتحـف برلـين بألمانيـا الآن مفقـود ، كان قـد أخـذه ليبسـيوس مـن جبـل البركل .
- لوح الملك تهارقا (سباق الجنود) حوالى 685 ق.م ، من دهشور ، بالمتحف المصرى ؟؟
- لـوح الحلـم للملـك تانـوت آمـون بمناسـبة تتويجـه وحملتـه ضـد مـصر ، حـوالى 664 ق.م ، أخـذ عـام 1862 إلى القاهـرة مـن معبـد آمـون بجبـل البركل ، بالرقـم J 48863
- لـوح الإنتخـاب للملـك أسـبلتا ، العـام الأول حـوالى نهايـة القـرن السـابع ق.م ، أخـذ عـام 1862 إلى القاهـرة مـن بهـو الأعمـدة الأول بمعبـد آمـون بجبـل البركل ، بالرقـم J 48866 .
- لـوح العقـاب للملـك أسـبلتا ، السـنة الثانيـة حـوالى نهايـة القـرن السـابع ق.م ، أخـذ عـام 1862 إلى القاهـرة مـن بهـو الأعمـدة الأول بمعبـد آمـون بجبـل البركل ، بالرقـم J 48865 .
- حوليـات الملـك حرسـيوتف ، العـام 35 النصـف الأول مـن القـرن الرابـع قبـل الميـلاد ، أخـذ عـام 1862 إلى القاهـرة مـن بهـو الأعمـدة الأول بمعبـد آمـون بجبـل البركل وأخـذت عـام 1862 إلى القاهـرة ، بالرقـم J 48864 .
- بمتحف نى كارلسبيرج بالدنمارك:
- لـوح الفيضـان للملـك تهارقـا ، العـام السـادس حـوالى عـام 685 ق.م ، مـن معبـد آمـون بالكـوة .
- لـوح إفتتـاح المعبـد للملـك تهارقـا ، العـام العـاشر حـوالى عـام 680 ق.م ، مـن معبـد آمـون بالكـوة .
- لوح التتويج للملك أنلامانى ، أواخر القرن السابع ق.م ، من الكوة .
- لـوح الملـك إرى أمـانى (الأعـوام 3 ـــــ 9 مـن حكمـه) بدايـة القـرن الثالـث قبـل الميـلاد، من بهـو الأعمـدة الأول لمعبـد A بالكـوة مسـتخدمة مـع قطـع بـلاط أخـرى ، موقعهـا الأصـلى غـير معـروف ، بالرقـم 1708 .
- بمتحف بوسطن للفنون الجميلة بأمريكا :
- كسـارة مسـلة للملـك سنكامنسـكن ، مـن معبـد B 700 بجبـل البركل ، النصـف الثـانى مـن القـرن السـابع ق.م .
- لـوح الملـك امـاني باخـى ، النصـف الثـانى مـن القـرن الرابـع قبـل الميـلاد ، مـن نـورى (مـن موقـع ثانـوى يعـرف بالكنيسـة) ، متحـف بوسـطن للفنـون الجميلـة بالرقـم 21.3236 .
- اللوح الجنائزى للملك أسبلتا من هرمه بنورى (Nu. 8)
- بمتحف اللوفر بفرنسا :

- لـوح التبنـى للملـك أسـبلتا ، العـام الثالـث ، حـوالى نهايـة القـرن السـابع ق. م ، مـن صنـم ؟ أخـذ عـام 1862 ، بالرقـم C257 .
- بمتحف برلين بألمانيا:
- لـوح الملـك نستاسـن ، العـام الثامـن مـن حكمـه ، النصـف الثـانى للقـرن الرابـع قبـل الميـلاد، مـن موقـع بمنطقـة حـوض لتـى ، حملـة ليبسـيوس ، بمتحـف برلـين بالرقـم 2268 .
- لوح الحدود ، من موقع سمنة ، حملة ليبسيوس ،
- بالمتحف البريطانى ببريطانيا: ـــــ

جـزء مـن لـوح مـن الحجـر الرمـلى (فى قطعتـين A و B القطعـة B تركـت فى موقعهـا بمعبـد A بالكـوة بهـو الأعمـدة الأول ، ينسـب للملـك إرى أمـانى (الأعـوام 9 ـــــ 24 مـن حكمـه) ، بدايـة القـرن الثالـث قبـل الميـلاد ، بالرقـم 1777.

الصور والأشكال :

صورة رقم 1 : لوح النصر للملك بيعانخى ، عن : (Grimal 1981 pl. I) and III

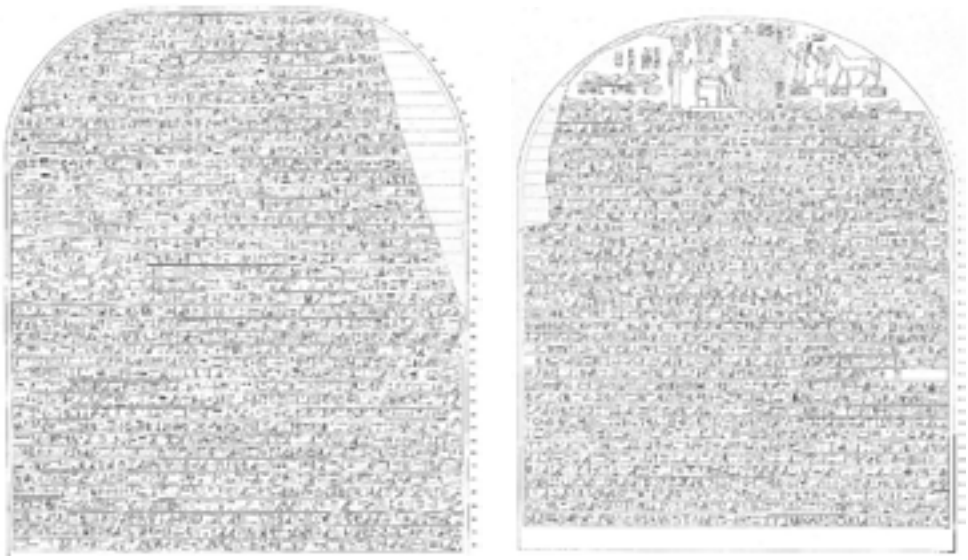

شـكل رقـم 1 : رسـوم نقـوش الواجهـة الأماميـة والخلفيـة (وكل رسـوم الواجهـات الأربعـة) عـن:
(Mariette, Auguste (1872)
http://digi.ub.uni-heidelgerg.de/diglit/mariette1872bd2/0005)

صورة رقم 2 الجزء العلوى من اللوح

شكل رقم 2 رسم الجزء العلوى من اللوح ، عن: (Grimal 1981, pl. V.)

الهوامش:

(1) عـرف هـذا الملـك بإسـم بيعنخـى وظـل هكـذا حتـى العـام 1966 عندمـا نـشر Parker لـوح حجـرى بالخـط الهيراطيقـى يذكـر هـذا الملـك بإسـم Piye بيـي (R. A. Parker, "King Py, a Historical Problem," ZÄS 93 (1966), 111–14) ، وعنـخ المضمنـة فى الخرطـوش الملـكى هـى بمثابـة دعـاء بمعنـى يحيـا ، ووافقـه الكثـير مـن العلـماء منهـم عـلى سـبيل المثـال: J. Leclant و N. C. Grimal وH. Goedicke و K. H. Priese وآخـرون ، وذكـروه Pey (Piankhy) و Pi (anch) و Piye و y ، ويذكـره آخـرون بيعنخـى Piankhy فقـط لكونـه الإسـم الأول المعـروف . وسـأذكره هنـا بإسـم بيعنخـى أيضـاً لـذات السـبب .

(2) FHN I, p. 53

(3) Kahn, 2008, p. 122.

(4) Torok, 2009. p. 327

(5) Torok 2009, p. 361. Ritner 2009, p. 467. Goedicke, 1981, p. 198

(6) Dunham 1970, p. 19.

(7) Reisner 1921, pp. 59-60, and 1931 p. 83

(8) Mariette, Auguste 1872. Monuments divers recueillis en Egypte et en Nubie (Tables). Paris.

(9) Dunham, 1970, p. 79

(10) FHN I, p. 63 (footnote). Ritner 2009, p. 467

(11) Gozzoli, 2001, p. 59

(12) Lichtheim, 1980, p. 67

(13) Lichtheim 1980. p. 67

(14) Ritner 2009, p. 469

(15) Torok 2009, p. 327

(16) Spalinger, 1979, p. 283

(17) Ritner 2009, p. 482

(18) Ritner 2009, 284

(19) Gozzoli, 2001, p. 63

(20) Spalinger, 1979, p. 28

(21) Lichtheim, 1980, p. 76

(22) Spalinger, 1979, p. 287

(23) Kahn, 2005-2006, p. 108

(24) Arkell 1955, p. 124

(25) Kendall & El–Hassan 2022, p. 36.

(26) Heidorn 1997. P. 105

(27) Dunham, 1950, pp. 116-17

(28) Fitzenreiter, 2011, p. 266.

المصادر والمراجع :

Arkell, A. J. 1955:

(1) A History of the Sudan. From the earliest Times to 1821. London 1955.

(2) Dunham D. 1950:

(3) The Royal Cemeteries of Kush, vol. 1, El Kurru (Cambridge, Mass., 1950.

(4) _____ 1970:

(5) The Barkal Temples, Excavated by George Andrew Reisner. Boston

(6) FHN I : Eide et al. 1994, Fontes Historiae Nubiorum. Textual sources for the history of the Middle Nile Region between the eighth century BC and the Sixth century AD. Vol. I. From the Eight to the Mid-Fifth century BC. Bergen.

(7) Fitzenreiter, M. 2011

(8) "Piye Son of Ra, loving horses, detesting fish." In: V. Rondot, F. Albi, and F. Villeneuve (ed.) La Pioche et la plume: autour du Soudan, du Liban et de la Jurdanie, Hommages archeologiques a Patrice Lenoble, Paris p. 261-268.

(9) Gozzoli R. B. 2001:

(10) "The Triumphal Stele of Piye as Sanctification of a King." GM 182, 2001, 59–67

(11) Grimal N.-C. 1981:

(12) La stèle triomphale de Pi(ankh)y au Musée du Caire JE 48862 et 47086–47089. Le Caire.

(13) Heidorn, Lisa A. 1997:

(14) "The Horses of Kush." In: Journal of Near Eastern Studies, Vol. 56, No. 2 (Apr. 1997), pp. 105-114. The University of Chicago Press.

(15) Kahn D. 2009:

(16) "I Swear to Pay (Only Part of) My Taxes: Padiese's Oath to Piankhy", in: JARCE 42, 2009, pp. 103-111.

(17) _____2015:

(18) "Piankhy's instructions to his army in Kush and their realization." Beiträge zur Sudanforschung Beihefte 9. (2015): 531–540.

(19) Kendall T. and E.-Hassan A. Mohamed 2017.

(20) A Visitor's Guide to the Jebel Barkal Temples. The NCAM Mission Jebel Barkal. Khartoum.

(21) Kendall T. and E.-Hassan A. Mohamed 2022:

(22) Sudan's Holly Mountain, Jebel Barkal and its Temples, A visitor's Guide, 2022 (online).

(23) https://rsbcrsc.net/books/eyJpdiI6InlIVzhQRGRrU205R2Q0ZU9zRWt-WYnc9PSIsInZhbHVlIjoiSXRaUys5ZEJFazJ2S2hCYTBDeVJHdz09Iiwib-WFjIjoiMmE0NTNhZjkwODRlMmMzZjEzOWYwNDhkNjI3NDA1ZmIzOT-M5OGIwODk2YmQ5Y2VkYTIzYTFhMzQ5MjNmYWM3NyJ9/download

(24) Lichtheim, M. 1980

(25) Ancient Egyptian Literature. Vol. III: The Late Period. Berkeley: University of California Press.

(26) Mariette, A. 1872:

(27) Monuments divers recueillis en Egypte et en Nubie (Tables). Paris.

(28) Reisner, G. A.

(29) 1921 Historical Inscriptions from Gebel Barkal. SNR 4 59-75.

(30) 1931 Reisner: Inscribed Monuments from Gebel Barkal. ZAS 66 76-100.

(31) Ritner, R. K. 2009

(32) "The Victory Stela of Piye." In: Society of Biblical Literature, Writings from the Ancient World No. 12. The Libyan Anarchy: Inscriptions from Egypt's Third Intermediate Period, Edited by Edward Wente. (pp. 465-492). Atlanta. USA. 2009

(33) Spalinger, A. 1979:

(34) "The Military Background of the Campaign of Piye (Piankhy)." Studien zur Altägyptischen Kultur, Bd. 7 (1979), pp. 273-301.

(35) Torok, L. 2009:

(36) Between Two Worlds: the frontier region between ancient Nubia and Egypt, 3700 BC–AD 500. Leiden–Boston 2009.

العمل الآثاري بولاية القضارف: الواقع والمستقبل (2006 - 2013م)

د. فخري حسن عبد الله حسن
الهيئة العامة للآثار والمتاحف – السودان

المستخلص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضُوء على واقع ومستقبل العمل الأثري الاستكشافي الذي أنتظم ولاية القضارف خلال الفترة ما بين 2006م وحتى العام 2013م، بواسطة فريق قسم الآثار والمتاحف الذي يتبع للإدارة العامة للسياحة بوزارة الثقافة والشباب والرياضة، تحت إشراف الهيئة العامة للآثار والمتاحف الإتحادية، وذلك بغرض الوقوف على إرث وحضارة إنسان السُّودان في إطار ولاية القضارف، من خلال تحديد مواقع الآثار ومسحِها ودراستِها واستخلاص النتائج منها، لمعرفة الهُوية الحضارية والثقافية للمنطقة وربطها بمنظومة الحضارات السُّودانية وإدراجِها ضمن خارطة السُّودان الأثرية.ولعل واقع الدراسة الأثرية هو محاولة لإزالة الغموض الذي يكتنف الفترة المعنية بالبحث بولاية القضارف، بإيجاد معلوماتٍ أوفى، لذلك اعتمد الباحث بصورةٍ أساسيةٍ على المنهج الوصفي التحليلي بكافة وسائله، من وصف وتحليل واستنتاج وفقاً للحوجه التي يقتضيها البحث. تتمركز معظم هذه المواقع بالقُرب من المناطق الجبلية وسفوحِها، وينتشر البعض الآخر على ضفاف نهري الرهد و أتبرا، وبالقُرب من مناطق السكن الحديثة. بجانب ذلك كشفت الزيارات التفتيشية الدورية للمواقع الأثرية بالولاية عن العديد من المهدِّدات البشرية والتي تمثلت: في عمليات التعدين الأهلي للذهب، بجانب العوامل الطبيعية من أمطارٍ وسيولٍ ومجاري الأنهار، مما أدى إلى دمارِ وطمسِ معالم الكثير من المواقع الأثرية بالمنطقة، وبناءً على ذلك استعرضت الورقة تحديات العمل الأثري (الرؤى المستقبلية) بالولاية والتي تُعتبر من أولويات الإدارة في المرحلة القادمة. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: ثراءِ الولاية بمخلفات إنسانِها عبر فتراتٍ تاريخيةٍ مختلفة ابتداءً من فترات ما قبل التاريخ، وحتى التاريخ الحديث. تميّزت مواقع عصور ما قبل التاريخ بالولاية بظاهرة انتشار الأدوات الحجرية، وكسارة الفخار بصورةٍ كثيفة على سطح المواقع. وتنوّعت مواقع العصور التاريخية ما بين فترات ما قبل مروي، وما بعدها، والفترة المسيحية، والإسلامية، وفترة التاريخ الحديث.يعود البعض الآخر من المواقع لفتراتٍ تاريخيةٍ غير معروفة.

Archaeological work in Gadarif State: recent surveys and future prospects (2006-2013 AD)

Dr.Fakhri Hassan Abdallah

Abstract:

This study aims to shed light on the recent surveys and future prospects for the archaeological exploration work that took place in Gadarif State during the period from 2006 to 2013, by the Antiquities

and Museums Department, Gadarif State, under the supervision of the National Corporation for Antiquities and Museums (NCAM). This project will bring this material to publication, identifying the sites across this poorly understood region in order to reveal how it fits with wider systems of cultural heritage across Sudan across history.The aim of this archaeological study is to attempt to remove the ambiguity surrounding the state of Gadarif. Therefore, the researcher will rely mainly on the analytical, descriptive, historical method to describe, analyze this information to the need required by the research.Archaeological surveys have revealed many archaeological sites in Gadarif State that indicate high levels of activity here from the Palaeolithic to the modern period. Some of these sites are located near mountainous areas and their foothills, while others are spread along the banks of the Rahad and Atbara rivers and near modern settlements areas. Few have been properly explored and documented, and so bringing the NCAM survey to publication is extremely important.In addition, periodic inspection visits to archaeological sites in the state revealed many contemporary threats, including damage from gold mining operations and looting, in addition to destruction from rain, rivers, and flooding, all of which are contributing to the loss of archaeological features in the region. This paper will also review these challenges and potential solutions for future work in this area in a future post-conflict scenario.

المقدمة:

لم يكن مُستبعداً أن تتركز المسوح والتنقيبات الأثرية في السُّودان حتى وقتٍ قريب على ضفتي النيل بحكم كونه المصدر الدائم للمياه الذي يتحكم لحدٍ كبير في مصادر الغذاء والثروة، ومن ناحيةٍ أُخرى فإنَّ العمل الآثاري قد تركز حوله بحثاً عن إمتداد أو جذور للحضارة المصرية. لذا بقيت مناطق شرق السُّودان بعيدة عن النشاطات الآثارية. وفي هامش اهتمام الآثاريين، وقد أهملت المراجع سكان شرق السُّودان القاطنين بمحاذاةِ الحدود الجنوبية والشمالية لإثيوبيا، من نهر الرهد وأتبرا وسيتيت والبحر الأحمر والهضبة الإثيوبية، وظلت هذه المنطقة غير معروفةٍ بالنسبة لعلماء الآثار والمؤرخين. ويضم إقليم شرق السُّودان من الناحية الإدارية ثلاث ولايات هي القضارف وكسلا والبحر الأحمر.

تُعتبر ولاية القضارف عبارة سودان مصغّر، فهي أنموذجٌ للوحدةِ الوطنية، وجسرٌ من جسور التواصل الثقافي بين مناطق السُّودان المختلفة، حيث تتلاقى فيها قبائل شرق وغرب السُّودان وشمال ووسط السُّودان في تمازج ثقافي فريد. مما أدى إلى تعدُّد وتنوع أجناس سكانِها وأعراقهم

وثقافاتهم في مجال يُؤطر للتعايش والتنوُّع الثقافي، خاصة وأنَّ الوحدة الراقية تأتي دائماً من خلال التنوع، وعندئذٍ تتضح معالم الطريق نحو مجتمعٍ أفضل تسودُه الثقافة السُّودانية بجذورِها التاريخية الضاربة في القِدم منذ عصور ما قبل التاريخ إلى يومِنا هذا، ما يُعرف بالسُّودانوية.

الموقع الجغرافي :

تقع ولاية القضارف بين الإحداثيات:(N/35°23'24.7" E "29.4'14°02) و بين خطى طول (30 33-) درجة غرباً و(30 - 31) درجة شرقاً وبين خطى عرض (40 - 12) درجة جنوبا و(40 15-) درجة شمالاً، (الشكل:1)، تحدها من الناحية الشرقية ولاية كسلا ودولة إثيوبيا، ومن الغرب والجنوب الغربي ولايتي الجزيرة وسنار، ومن الشمال الغربي ولاية الخرطوم.

الشكل (1) : خارطة ولاية القضارف من موقع Google Maps

المناخ :

تتميز ولاية القضارف بنطاقين مناخيين يُمثلان تنوعاً بيئياً حسب اختلاف معدلات الأمطار، وما يتبعها من تنوعٍ في الموارد الطبيعية، حيث تقع المناطق الشمالية والشمالية الغربية في نطاق المناخ شبه الجاف الذي يتميز بموسم أمطارٍ صيفيةٍ قصير نسبياً (يوليو – أكتوبر)، أما المناطق الشرقية والجنوبية فتقع في حزام المناخ الرطب، حيث تتراوح كمية الأمطار بين (500- 900) ملم. ويُمثل خط تساوى المطر (550) ملم حداً فاصلاً بين النطاقين. يبلغ متوسط درجة الحرارة الصغرى في هذه الولاية (17) درجةٍ مئويةٍ في يناير، ومتوسط درجة الحرارة العظمى (47) درجةٍ مئويةٍ في (ابريل- مايو) ومتوسط سرعة الرياح (10) كلم في الساعة (فخري وآخرون، 2008:3).

التربة والطبوغرافيا:

تمتاز طبيعة أرض ولاية القضارف بالتربة الطينية السوداء اللزجة (الزراعية)، والتي حالت دون ظهور المعالم الأثرية الشاخصة، كما أنَّها تعمل على زوال المواد العضوية وذلك بفعل العوامل

الطبيعة، ثم تليها مباشرةً طبقة طينية متماسكة بلونٍ بنيٍ فاتح، يُسيطر عليها الغطاء النباتي، ووجود سهول منفتحة بها غاباتٍ كثيفةٍ من أشجار الكتر والطلح والهشاب واللعوت (النور، 2010: 1).

يمكن تقسيم طبوغرافيا الولاية إلى ثلاث وحدات رئيسية:

-1 منطقة الأراضي المرتفعة (high lands) وتتركز في جنوب شرق الولاية مع الحدود الدولية مع إثيوبيا، بالإضافة إلى بعض الجبال المنعزلة (الشكل:2).

-2 منطقة السهول، وهي السائدة في الولاية وتتميز بإرتفاع نسبة حبيبات الطين حيث تتراوح نسبته بين (45-80%) عالية الخصوبة وذات قدرة عالية على الإحتفاظ بالمياه (الشكل:3).

-3 منطقة الأودية وتشمل الأرض الرسوبية حول الأنهار الموسمية (نهر أتبرا وسيتيت والرهد وبا سلام). والتربة الطينية السوداء (verity soil) هي السائدة في الولاية. وتتميز بارتفاع نسبة الطين، حيث تتراوح نسبته بين (45-80%) عالية الخصوبة (فخري وآخرون، 2008 :4). تتميز أسطحها بوجود ظاهرة الكرب (الشكل:4) وهو مصطلح محلى ويعنى الأماكن التي تُوجد فيها الأودية ذات الإنحدار الشديد، مع وجود أسطحٍ كثيرةٍ التموج أحدثتها عوامل التعرية الشديدة نتيجة لجريان مياه الأمطار نحو الأنهار. لاشك إنَّ هذه الظاهرة قد أحدثت دماراً شديداً وفقدان العديد من المواقع الأثرية في الماضي (النور، 2010:1).

الشكل (2): مسطحات التربة الطينية بالقضارف (عن: عبدالله، فخري حسن:2012)

الشكل (3): مناطق الأمطار والفيضانات بالقضارف (عن: عبدالله، فخرى حسن:2012)

الشكل (4): منظر عام لظاهرة الكرب بمنطقة الفشقة شرق القضارف (عن: النور، الطاهر آدم:2010)

الأعمال الأثرية السابقة بولاية القضارف:

تعُتبر منطقة شرق السُّودان فى مجال الدراسات الأثرية من المناطق الواعدة التي تنتظر تنقيب ودراسات الباحثين، لكشف الغموض الذى يكتنف تاريخ هذه المنطقة. إذ لم يحظ هذا الإقليم بنصيبٍ وافرٍ من الدراسات والبحوث الأثرية، ولعل السبب فى ذلك يعود لندرة، أو إنعدام وجود الآثار الشاخصة، وهو ما لا يُمكن أن نراه لطبيعة المناخ الممطر فى الإقليم. ولكن فى السنوات الأخيرة شهدت هذه المنطقة تطوُّراتٍ مهمة ساهمت فى تاريخ البحث الأثري فى المنطقة من قِبل المؤرخين الآثاريين. ومن بين هؤلاء نجد الإنجليزى كرو فورد (J.W.Crowfoot) وقد وصف أهمية القرى والمواقع الأثرية التى تقع فى الجزء الشرقي لمنطقة البطانة، وأشار إلي أنَّ معظم هذه المواقع تتمركز فى مناطق الحفائر(مكان تجمع وحفظ مياه الأمطار) وأهم هذه المواقع جبل قيلي وصفية

ألواطا والصِفية الدريشاب وأم رويشد وغيرها. وقد شهدت المنطقة استيطاناً مكثفاً، حيث تم العثور على أدواتٍ مختلفةٍ، ورسومٍ صخريةٍ تعكس الإستيطان البشرى المبكر فى المنطقة. واعتمدت هذه الثقافة على القبائل المترحلة فى المناطق المحيطة بالجبال، وتحتاج هذه المواقع إلى دراسةٍ أثريةٍ جادةٍ ومنتظمة ((Crowfoot,1920:85-92.

هنالك دراسة أركل ((A. J. Ark ell فى أربعينيات القرن المنصرم 1954م فى منطقة أغوردات بوادي بركة الأوسط. قام بها شاينر فى ستينات القرن الماضي (Shiner,1971) بالقرب من خشم القربة فى وادي أتبرا الأوسط وهي عبارة عن مسح إستطلاعي كشف عن بعض المواقع الأثرية (محمد علي، 2004 :1).

أجري في تلك المنطقة أيضا المسح الذى قام به معهد الدراسات المصرية بجامعة هامبولدت ببرلين فى منطقة شرق البطانة فى الفترة ما بين (1957م 1958-م)، حيث تم تسجيل العديد من المواقع الأثرية مثل جبل ريرة وجبل قيلي وصفية ألواطا والروة وغيرها من المواقع. تميزت هذه المواقع بوجود حفائر صغيرة تتجمع فيها المياه فى موسم الأمطار، وتم العثور في تلك المواقع على كميات كبيرة من حجارة الجرانيت والرحى، بالإضافة إلى وجود كمياتٍ كبيرةٍ من الفخار ذي الأنماط والأشكال العديدة،هذا بجانب الرسوم الصخرية (Fritz,1959:189-196). وخلال الثمانينات من ذات القرن تمت أعمال أثرية توزع خلالها العمل بين بعثتين: الأولى سودانية – أمريكية مشتركة عملت فى غرب ووسط البطانة والأخرى إيطالية عملت فى شرق البطانة حول نهر القاش. وهدفت البعثة المشتركة إلى معرفة دور سهل البطانة فى التطوُّر الحضاري لحقبٍ ما قبل التاريخ في السُّودان بوجهٍ عام، إضافة إلى دوره خلال تلك الحقب ذات السِجل الحضاري، أو تلك التي شهدت إنقطاعاً حضارياً فى منطقة النيل الأوسط بوجهٍ خاص (محمد على، 2005 :66). وما كشفت عنه الدراسات فى مجال فترات ما قبل التاريخ فى شرق السُّودان هي فرصةٌ طيبة لمعرفة نماذج لعمليات اقتصادية واجتماعية مغايرة، وطرق بديلة لاتجاه التطوير المُفضِي لمجتمعاتٍ مدينية (النور، 2004 :3).

قامت الهيئة العامة للآثار والمتاحف السُّودانية في العام 2010م بأجراء مسحٍ أثريٍ في المنطقة التي تقع فى شبه الجزيرة بين نهري أتبرا وسيتيت، إلى جانب مساحةٍ كبيرة من الأراضي الزراعية (الشكل:5)، وذلك لإنقاذ المناطق المتاثرة بقيام سدي وسيتيت وأعالي نهر أتبرا، والتي تقع فى الرقعة الجغرافية بين ولايتي القضارف وكسلا. ويهدف هذا الشروع إلى تسجيل الظواهر الأثرية الواقعة فى المناطق المتأثرة بقيام السد بتمويل من وحدة تنفيذ السدود التابعة لوزارة الكهرباء والسدود السُّودانية وتنفيذه بواسطة أفراد الهيئة العامة للآثار والمتاحف، وبمشاركة مختصين من إدارة السياحة والآثار بولايتي كسلا والقضارف، حيث تم تسجيل نحو (135) موقعاً أثرياً تضم معظم الفترات التاريخية (الحسن وآخرون، 2010 : 1- 2).

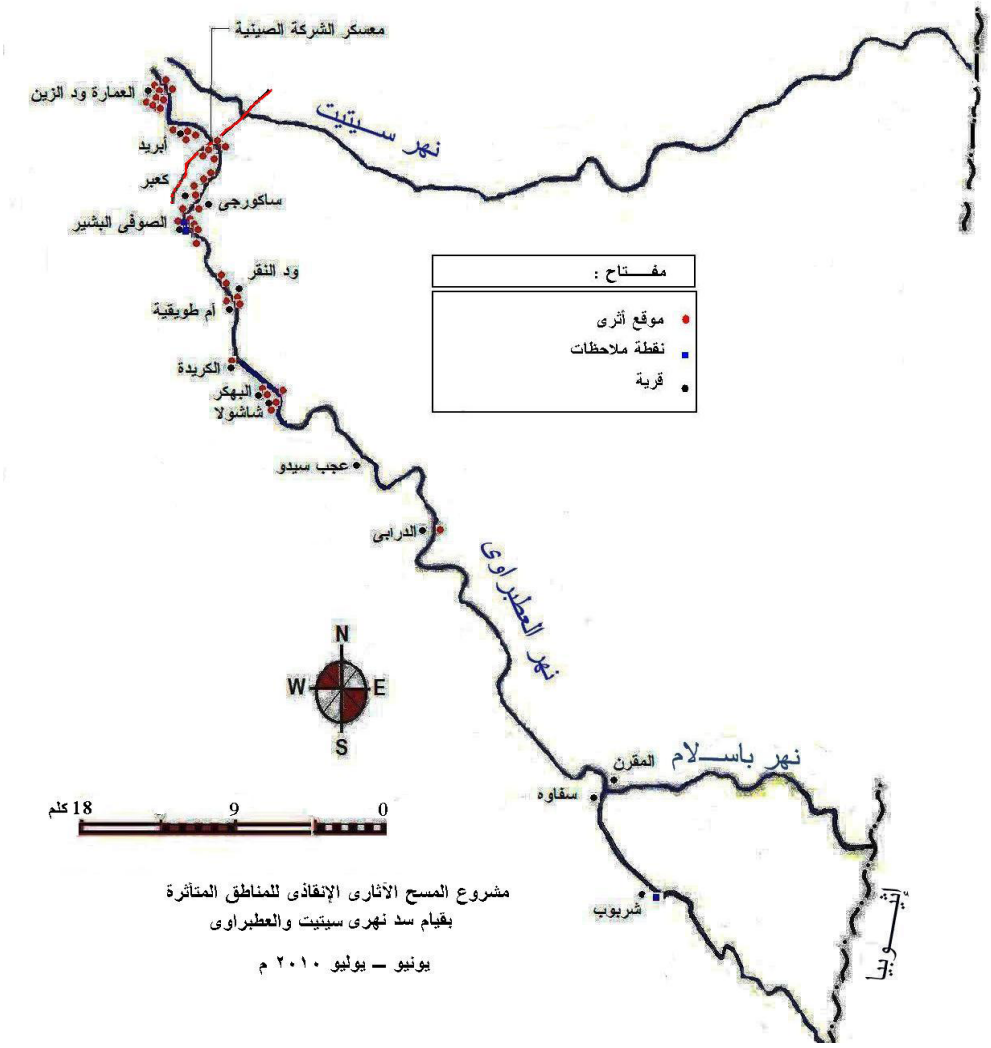

الشـكل (5): المواقـع المسـجلة بواسـطة المسـح الإنقـاذي للمناطـق المتأثـرة بقيـام سـد نهـري سـيتيت وأتـبرا

(عن: النور، الطاهر آدم:2010)

أُجريـت فى الفـترة مـا بـين 2 مـارس 20- مايـو 2013م حفريـاتٍ إنقاذيـةٍ للمناطـق المتأثـرة بقيـام سـدي سـيتيت وأعـالي نهـر أتـبرا، والـذي كان تحـت إشراف وتنفيـذ الهيئـة العامـة للآثـار والمتاحـف السُّـودانية. حيـث أشـتمل عـلى ثلاثـة محـاور رئيسـة وهـي: محـور الضفـة اليـسرى لنهـر أتـبرا، ومحـور الضفـة اليمنـي لنهـر سـيتيت، ومحـور الجزيـرة التـي تقـع بـين نهـري أتـبرا وسـيتيت (الشـكل:6). بلـغ عـدد المواقـع التـى تـم العمـل فيهـا نحـو (62) موقعـاً أثريـاً، وكان واقـع العمـل حفـرٍ كليٍ ولعـددٍ مـن

المواقع، وحفرٍ جزئيٍ واختباري، ودراسات سطح لعددٍ آخر من مواقع السكن، بالإضافة لأعمال التوثيق، وإعداد خُرط لهذه المواقع. وعلى الرُغم من محدودية نطاق العمل الذى تم إنجازُه إلاَّ أنَّ النتائج العلمية كانت واعدة، خاصة أنَّ المنطقة بكر، لم تنل حظاً وافراً من الدراسة والاهتمام من قبل.(عبدالحى وآخرون، 2013 :27 28-).

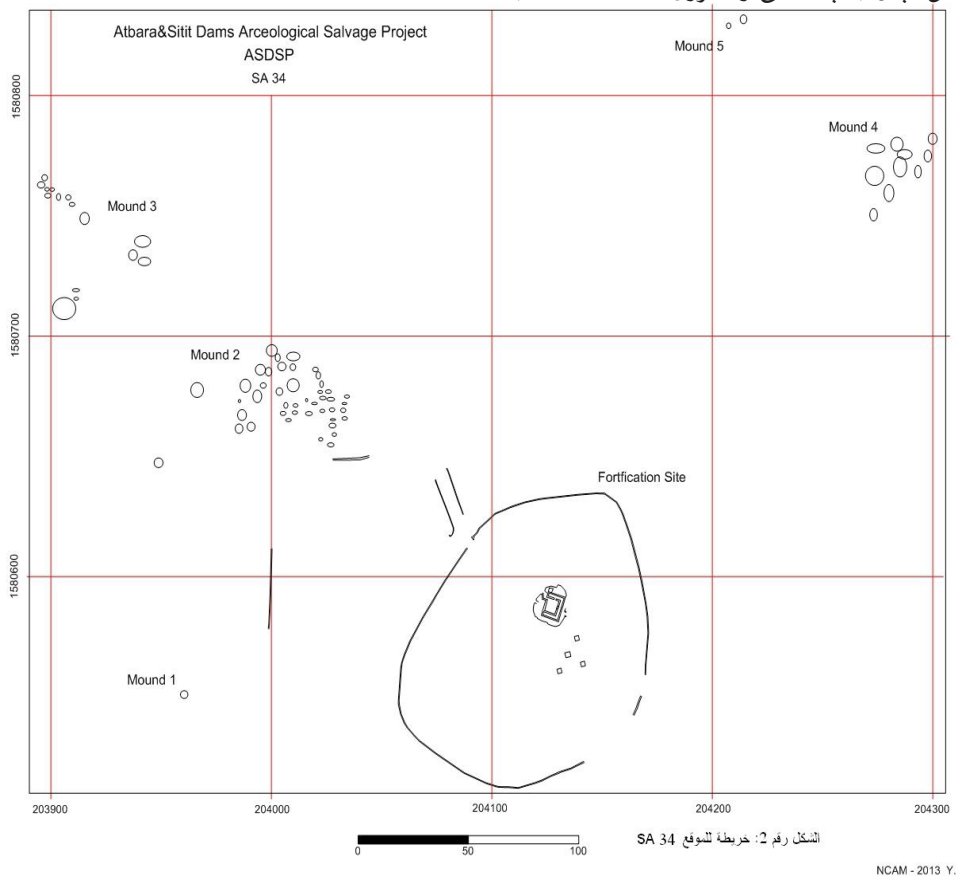

الشكل رقم 2: خريطة للموقع SA 34

الشكل (6): خريطة الموقع SA 34 الصروحي الوحيد فى المنطقة، فقد وردت الإشارة إليه فى خريطة مصلحة المساحة، وهو يُمثل بقايا حصن من عهد التركية يطل على نهر سيتيت من الناحية الشرقية

(عن: النور، الطاهر آدم: 2013،29)

المسح الآثاري بولاية القضارف في الفترة ما بين 2006م- 2013م :

بدأ الاهتمام بالآثار بولاية القضارف في أواخر القرن العشرين، عندما زارها في منتصف سبعينيات القرن الماضي فريقٌ من مصلحة الآثار السُّودانية على رأسه الأستاذ/ صلاح عمر الصادق، لتغطية البلاغ الوارد للمصلحة عن احتمال وجود آثار بمنطقة المقطّع التي تقع شمال شرق ولاية القضارف، على الضفة اليسرى لنهر أتبرا، على بعد حوالى سبعة كيلومترات شرق الطريق القومي

القضارف – بور تسودان، حيث تم تسجيلُه كأول موقعٍ أثريٍ بولاية القضارف ضمن خارطة المواقع الأثرية السُّودانية، تلتها زيارة وفد من الهيئة العامة للآثار والمتاحف السُّودانية على رأسه الدكتور/ محمد فاروق في النصف الأول من العام 2006م، إثر بلاغٍ ورد من أحد المختصين في مجال الآثار عن احتمال وجود آثار بمنطقة أم سنيبره، التي تقع علي بعد حوالى سبعة كيلومترات شمال مدينة القضارف، وأسفرت الزيارة عن تسجيل الموقع، ومن ثم تغطية البلاغات التي وردت إبان زيارة الوفد وهي: موقع شنقريرة الذي يقع شمال مدينة الشواك علي الضفة اليسرى لنهر أتبرا، ومن خلال المسح اتضح أنَّ الموقع عبارة عن جبَّانة مختلطة تعددت فيها طرق الدفن، حيث أُجريت فيها حفريةٌ اختبارية لأحد المدافن المهدّدة بفعل العوامل الطبيعية، وذلك من خلال طريقة الدفن القرفصائي الذي كان تقليداً لإنسان السُّودان في فترات ما قبل الديانات السماوية، وموقع وادي أبوقرع الذي يقع علي بعد حوالى أربعة كيلومترات جنوب غرب مدينة الشواك على الضفة اليسرى للوادي الذي يصب في نهر أتبرا، وموقع القلابات الذي يُوجد علي بعد 156 كيلومتراً جنوب مدينة القضارف عند الحدود السُّودانية الإثيوبية، وهو عبارة عن موقعٍ حربيٍ يضم مقابر الجعليين أحفاد الملك نمر، وضريح الشيخ الأرباب الذي يرجع للفترة التركية في السُّودان، ومقابر شهداء المهدية، وقبة الشيخ أحمد البدوي، والمعدات الحربية في فترة الحرب العالمية الثانية (عبد الرحمن، 2006: 4).

تُعتبر البدايات الحقيقية والمنظمة للعمل الأثري بولاية القضارف عندما تم إنشاء قسم الآثار والمتاحف الذي يتبع للإدارة العامة للسياحة بوزارة الثقافة والشباب والرياضة في أواخر العام 2006م، والذي بدوره شرع في وضع الخطط والدراسات التي تُمكن من تحقيق الأهداف المنشودة، حيث تم الاتصال بالهيئة العامة للآثار والمتاحف السُّودانية باعتبارها الجهة المنوط بها العمل في الآثار بالسُّودان، للتنسيق والمشاركة في إجراء عمل المسح الأثري الشامل بالولاية وتدريب كوادر القسم، وعلى الرُغم من حداثة القسم إلاّ أنَّه استطاع أن يقوم بالدور المنوط به والذي تمثّل في البحث الأثري العلمي، حاملاً بين دفتيه عمليات الكشف والمسح والتنقيب الآثاري والمحافظة على الموروث الثقافي والحضاري (فخري وآخرون،2،2012).

بدأت عمليات المسح الآثاري الأولى بالولاية فى العام 2007م عبر ثلاثة مراحل، شملت المرحلة الأولى تسجيل عدد (12) موقعاً أثرياً، والمرحلة الثانية عدد (8) مواقع أثرية. أما في المرحلة الثالثة فقد تم تسجيل عدد (22) موقعاً شملت المنطقة الجنوبية للولاية، ليُصبح عدد المواقع المسجلة (24) موقعاً أثرياً. ومن خلال عمليات تغطية البلاغات الواردة عن احتمال وجود آثار بمناطق الولاية المختلفة تم تسجيل عدد أثني عشر موقعاً بمناطق المقسمة و المقانص والفويل والمدردمة وشجرة الضهر والسوكي الصادقاب. وفى العام 2010م تواصلت عمليات المسح الأثري بمناطق البطانة والفاو والمفازة، حيث تم تسجيل أكثر من (10) مواقع أثرية في كلٍ من الصفية وود بشارة وجبل قيلي بمحلية البطانة، وتسجيل عدد (10) مواقع أخرى تُمثِّل معظم الفترات التاريخية، مثل موقع جبل الحمراء، و جبل ضنّبو وبنية الشيخ باسبار وود العماس بمنطقتي الفاو والمفازة)المرجع السابق :3).

بلغت عمليات المسح الآثاري قمتها في شهري ويونيو ويوليو من العام 2010 م، من خلال العمل المشترك بين الهيئة العامة للآثار والمتاحف السُّودانية وإدارة الآثار والمتاحف والإرشاد السياحي بالولاية، وذلك لإنقاذ آثار المناطق المتأثرة بقيام سدي سيتيت وأعالي نهر أتبرا، ويُعتبر هذا المسح الآثاري من أكبر المشاريع بالولاية، حيث تم فيه تسجيل أكثر من (47) موقعاً أثرياً شملت المناطق التي ستغمرها مياه السد، بالإضافة إلى منطقة المشروع الزراعي، ومن بين أهم المواقع التي تم تسجيلها موقع برناوي والرملية والهشابة وحجر قطران وميلقه. وفي العام 2011م نشط عمل المسح الآثاري، وذلك نتيجةً لظهور عمليات التعدين الأهلي للذهب بمحلية البطانة والتي أصبحت من المهدِّدات التي تُؤدي إلى دمار المواقع الأثرية والتاريخية. ومن خلال عمل المسح الآثاري بمنطقة البطانة تم تسجيل عدد (15) موقعاً أثرياً كموقع ريرة القديمة، وقلع المرع، والقليعات الخُضر، والرُوه، وموقع الهمابيب، وبهذه المواقع الأخيرة تكون قد اكتملت عمليات المسح الآثاري الأولى بالولاية بنسبة (80%)، حيث بلغت جملة المواقع الأثرية التي تم تسجيلُها نحو (132) موقعاً اثرياً منتشرة في شتى أنحاء الولاية (المرجع السابق :4).

نتائج المسح الآثاري الأولى بولاية القضارف:

من خلال عمليات المسح الآثاري الأولى الذى انتظم الولاية، اتضح وجود عددٍ كبيرٍ من المواقع الأثرية التي تُشير إلى ثراء الولاية بمخلفات إنسانِها عبر فتراتٍ تاريخيةٍ مختلفة (الشكل:7). توزّعت هذه المواقع فى الفترات التاريخية المختلفة ابتداءً من فترات ما قبل التاريخ حتى يومنا هذا. كما اتضح أنَّ معظم هذه المواقع ذات صلةٍ ببعضِها البعض من حيث الخصائص المشتركة. حيث نجد مواقع عصور ما قبل التاريخ تتميّز بظاهرة إنتشارالأدوات الحجرية، وكسّارة الفخار بصورةٍ كثيفة على سطح المواقع، فهذا دليلٌ واضحٌ لظاهرة الاستيطان البشري فى تلك الفترة خاصة فترة العصر الحجري الحديثeolithic))، الذى عرف فيه الإنسان الإستقرار والزراعة وصيد الأسماك. يُضاف إلى ذلك وجود عددٍ كبيرٍ من المواقع الأثرية التي تعود للحقب التاريخية المختلفة، فبعضُها يعود لفترات ما قبل وبعد مروي، والفترة المسيحية، والفترة الإسلامية، وفترة التاريخ الحديث، والبعض الآخر من الموقع الأثرية تعود لفتراتٍ تاريخيةٍ غير معروفة. أما من حيث نوعية المواقع الأثرية فنجد أنَّ معظمها عبارة عن جبّانات تأخذ شكل البناء الفوقي (Superstructure) الدائري والبيضاوي، وقد كان للبيئة المحيطة أثر كبير فى بقاء البُنى الفوقية التي ما يزال بعضُها محافظاً على شكله العام على الرُغم من وجود عوامل التعرية مثل: الأمطار والرياح، هذا بجانب المواقع الأثرية التي تتميّز بوجود الرسوم الصخرية، من الملاحظ كذلك أنَّ معظم هذه المواقع تتمركز بالقرب من المناطق الجبلية وسفوحها، والبعض الآخر ينتشر على ضفاف نهرى الرهد و أتبرا وبالقرب من مناطق السكن الحديثة.

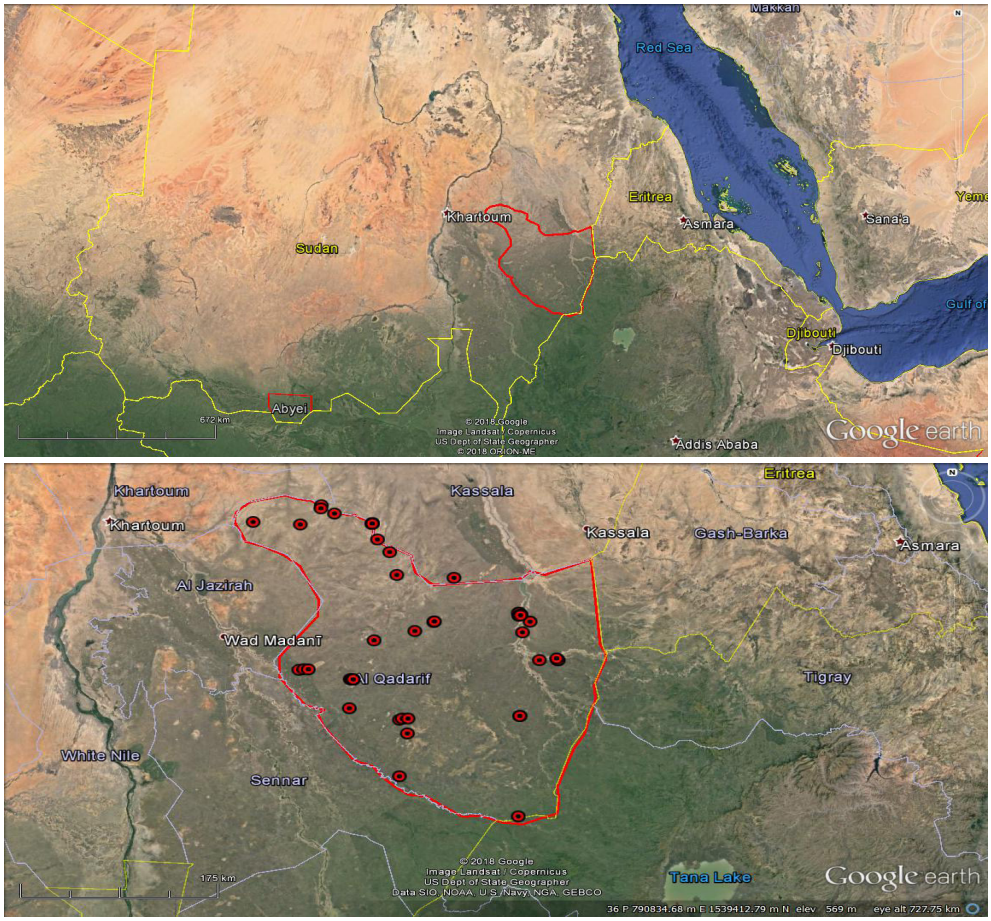

الشكل (7) خارطة تُوضح توزيع المواقع الأثرية المكتشفة بولاية القضارف خلال الأعوام 2006-2013

لا مجال لعمل تسلسل تاريخي لمنطقة القضارف دون الإستناد على المُكتشفات الأثرية في بقية أنحاء السُّودان، ولا يستبعد الباحث أن يكون لمنطقة القضارف تسلسل تاريخي خاص بها. ومن خلال ما ذكر أعلاه سنحاول بشكلٍ أولي توزيع المواقع الأثرية بالولاية اعتماداً على الفترات التاريخية الموجودة في السودان.

1 - فترات عصور ما قبل التاريخ :(Prehistory Periods)

تم تسجيل نحو أثني عشر موقعاً أثرياً من خلال عمليات المسح الآثاري تُغطي فترات ما قبل التاريخ التي تشمل (العصر الحجري القديم والعصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث)، وتبرز بينها خاصة مواقع سكن العصر الحجري الحديث التي ينتشر معظمها في المناطق القريبة جداً من ضفاف الأنهار، وبالقرب من الأماكن الجبلية وسفوح الجبال. وتتميّز هذه المواقع بوجود كمياتٍ ضخمةٍ من المواد والأدوات الحجرية، وكسّارة الفخار ذات الأشكال والأنماط الزُخرفية

المتنوعة. ومن أهم مميّزات مواقع ما قبل التاريخ في الولاية احتواء أسطح غالبيتها على الفؤوس اليدوية الحجرية (Stone Hand-Axes) (الأشكال:8،9) والأدوات الحجرية الأخرى التي صُنِعت من حصى البازلت (الشكل:10)، ومن أهم تلك المواقع موقع قلبي الأثري بمنطقة قلبي وموقعي المقطّع الأثري، وقرية ساورتا بمنطقة الفشقة، وموقع الهمايب بمنطقة البطانة، وموقع جبل كسمور بمنطقة وسط مدينة القضارف، وغيرها من المواقع (الأشكال: 11،12،13).

الشكل (8): فؤوس حجرية يدوية من موقع جبل قلبي جنوب القضارف

الشكل(9): خمسة فؤوس حجرية يدوية من سطح الموقع SA 41 بمنطقة عرب ساورتا بالفشقة

الشكل (10): أدوات حجرية من موقع كسمور

الشكل: (11): أدوات زينة من العاج وقشر بيض النعام من موقع جبل قيلي جنوب القضارف

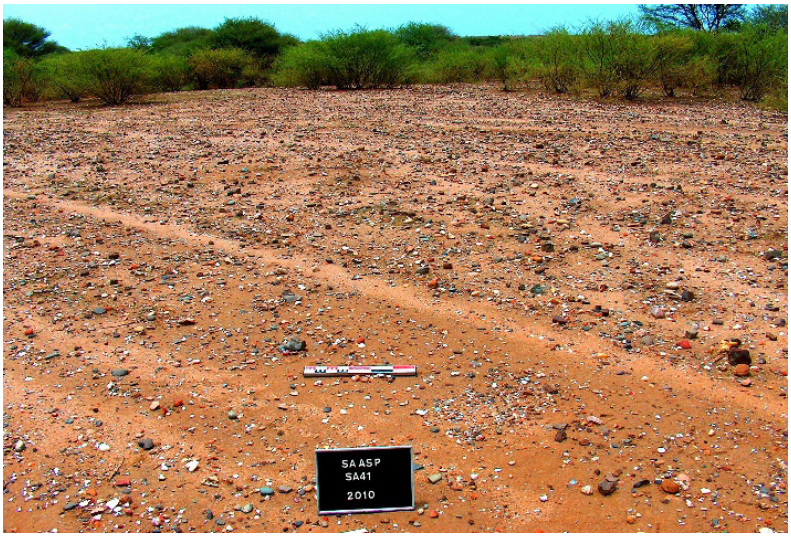

الشكل (12):منظر عام للموقع SA 41 بمنطقة عرب ساورتا بالفشقة

الشكل (13): كسّارة الفخار من موقع جبل كسمور

2 - مواقع الفترة المسيحية:(Christian period Sites):

تم تسجيل عدد (4) موقع أثري وهى عبارة عن جبّانات ومواقع استيطان بشري قديمة، حيث تم فيها العثور على كمياتٍ كبيرة من اللقى الأثرية على سطح المواقع متمثلة فى كسّارة الطوب الأحمر المحروق والفخار ذي الأنماط الزُخرفية المميّزة لهذه الفترة (الشكل:14) ومن أهم هذه المواقع موقع ود العمّاس الأثري بمنطقة المفازة، وموقع الصِفية القديمة بمنطقة البطانة (الشكل:15). وتدل الشواهد الأثرية إلي علاقة هذه المواقع بالعصر المسيحي.

الشكل (14): كسار من الفخار المزخرف من موقع ود العماس بمنطقة المفازة

الشكل (15): ام كاكالو مبنية من الحجر الأسود بالقرب من موقع الصفية بالبطانة

3 - مواقع الفترة الإسلامية (Sites of the Islamic Period):

من خلال عمليات المسح الآثاري تم تسجيل نحو أكثر من (22) موقعاً أثرياً تعود للفترة الإسلامية، وتتمثل هذه المواقع في الجبانات التي تم العثور عليها بصورةٍ كبيرة في شتى أنحاء الولاية، هذا فضلاً عن وجود قباب الأولياء الصالحين، ومواقع للاستيطان البشري

(الأشكال:16،17،18،19) ومن أهم هذه المواقع نجد موقعي جبل الحمراء وجبل ضنّبو بمنطقة المفازة، وموقع سروج منانا بمنطقة البطانة، وغيرها من المواقع التى تعود لهذه الفترة.

الشكل (16): بناية من الطوب المحروق تأخذ شكل القبة من موقع بنية الشيخ باسبار

الشكل (17): بناية من الطوب المحروق تأخذ شكل القبة من موقع بنية الشيخ باسبار

الشكل (18): بقايا من منزل الشيخ ود الطيب ود الضو بمنطقة السوكي الصادقاب

الشكل (19): مقابر إسلامية من موقع جبل الحمراء بمنطقة المفازة

4 - فترات تاريخية غير معروفه (Sites of Uncertain Date):

أظهرت نتائج المسوح الأثرية التي انتظمت الولاية أنَّ هنالك مجموعة من المواقع الأثرية التي تم تسجيلُها وتُقدَّر بنحو (51) موقعاً اثرياً لم يتم التعرُّف على فتراتِها التاريخية، ويُعزى ذلك إما لعدم وجود اللقى الأثرية الكافية، أو لطمس المواقع، بالإضافة إلى وجود المعوقات كتغطية المواقع بالحشائش والزراعة وغيرها من المعوقات. وهذه المواقع هي عبارة عن أكوام تلية تتراوح أقطارها بين (10-9) أمتار متمثلة في وجود إما بناء فوقي واحد من الحجر دائري الشكل، أو بيضاوي الشكل، أو مجموعة بُنى فوقية تمثل في الغالب مقابر (الأشكال:20،21) كانت في حالات

حفظٍ جيدة في أغلب الأحيان، على الرُغم من عدم معرفتنا لانتمائها لفترةٍ تاريخيةٍ محددة. هذا فضلاً عن وجود رسوم صخرية بموقع السوكي الصادقاب، ووجود كهوف في بعض المواقع ربما تم استخدامُها في أكثر من فترة تاريخية (الأشكال:22،23) (فخرى وآخرون،2012:3).

الشكل (20): مدفن دائرى الشكل من موقع قرية برناوى بمنطقة الفشقة

لشكل (21): المقابر الكومية من موقع المقطع الأثري بالفشقة

الشكلان (22،23): بعض من الرسوم الصخرية من موقع جبل السوكي الصادقاب

نتيجة للمسح الآثارى الأولى وجمع الروايات الشفهية المتداولة بولاية القضارف فقد اتضح أن هنالك العديد من المواقع الأثرية التي يعتقد الأهالي بأنَّها تعود لفتراتٍ قديمة، وفى الغالب الأعم يعتقدون أنَّها مدافن ومساكن لإحدى المجموعات الإثنية التي يُطلق عليها العنج، وذلك من خلال مقابر ذات الأكوام دائرية الشكل، وكذلك يعتقد آخرون أنَّ مجموعة العنج ما هي إلا مجموعاتٍ التى شكلت وأسست دولة الفونج (فخري وآخرون،2012،5). يُعتبر ظهور الفونج فيه شيء من الغموض ، فإنَّ أصله ما زال مشكلةً رئيسيةً في تاريخ السُّودان، وقد شغل هذا الأمر بال الباحثين في فتراتٍ طوال وبحث خلال كثير من المؤلفات، وطُرحت فيها كثيرٌ من النظريات. ولكن دون الوصول إلي رأيٍ قاطع، وربما ظل الحال هكذا إلي أن أتت المنطقة الواقعة جنوب سنار والتي يرجّح كثيرٌ من الباحثين أنَّها مهد مملكة الفونج، قدراً أكبر من اهتمام علماء اللغات المقارنة والآثار (حسن،2012 :53). أما من الناحية الأثرية فلم تثبت حقيقة العنج بعد، كما لا تُشير أي مخطوطاتٍ قديمةٍ إلى أصول هذه المجموعات، ولكن تُمثل هذه الروايات إحدى دلالات وجود آثار بالمناطق المختلفة. فلابد من التحقق من جميع المواقع التى تُنسب لهذه المجموعات ومعرفة أصولها وفى أي فترةٍ زمنية عاشت، لأنَّ فترة العنج ليست من الفترات الموجودة في أدبيات الآثاريين والمؤرخين. ومن أهم هذه المواقع نجد موقع جبل أبوقلوت، وموقع جبل حلة قجة، وموقع جبل الكبيشاب (قلع البقر)، وغيرها من المواقع التي تُنسب لهذه المجموعات.

5 - مواقع الفترات التاريخية المتعددة (Multi-Period Sites) :

نقصد بها المواقع الأثرية التي تُوجد بها أكثر من فترةٍ تاريخيةٍ وُجِدت جنباً إلى جنب، وذلك من خلال اللقى الأثرية التي تم العثور عليها على سطح المواقع والتي تّقدّر بنحو (6) مواقع أثرية تم تسجيلُها، ربما تعود لفترات ما قبل وبعد مروي، أما الفترة المروية فقد تم العثور على العديد من المواقع التي ربما تعود إليها، ويظهر ذلك جلياً من خلال وجود الفخّار المميز لهذه الفترة والذي عُثِر عليه على أسطح المواقع، إلاّ أنّ هذه المواقع أيضاً وُجِدت جنباً إلى جنب مع فتراتٍ تاريخيةٍ أخرى غير معروفة. هذا فضلاً عن وجود مواقع أخرى، ربما تعود إلى فترة ما قبل العصور الوسطى وذلك اعتماداً على اللقى الأثرية، وأهم هذه المواقع

موقع وادي أبوقرع بمنطقة الفشقة، حيث تم العثور فيه على مدافن تتكون بنيتها الفوقية أما من الشكل الدائري أو البيضاوي أو المستطيل واستخدمت فيها الصخور المحلية الرسوبية والحصى الأبيض والأسود اللون (الأشكال:24،25). وظاهرة زخرفة المقابر هي إحدى عادات الدفن المتوارثة في السُّودان منذ فترة حضارة كرمة (1500-2500) ق. م وهي دلالة على استمرار المؤثرات الثقافية وربما التواصل الثقافي بين مناطق السُّودان (عبد الرحمن،2006:3).

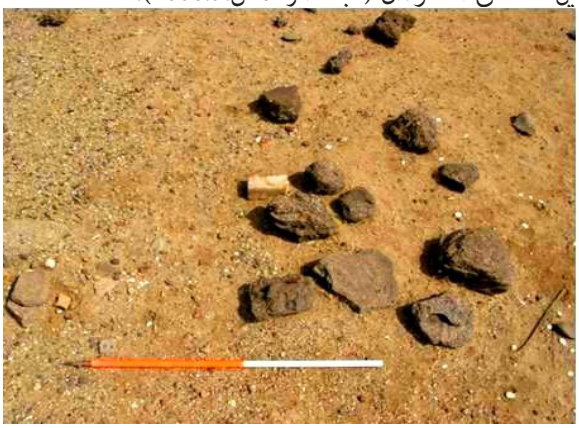

الشكل (24): قبر مستطيل الشكل من موقع خور أبوقرع بالفشقة (عن: عبد الرحمن، محمد فاروق :2006)

الشكل (25): الأكوام الدائرية من موقع خور أبو قرع (عن: عبد الرحمن، محمد فاروق :2006).

تم التعرُّف أيضاً على مقابر بموقع شنقريره بمنطقة الفشقة، وهي ذات بنية فوقية دائرية من الحصى الأبيض أو الأسود. وهي ربما تعود لفترةٍ تاريخيةٍ أقدم من الفترة الإسلامية (الشكل:26)، وقد أُجريت حفريةٌ أختباريةٌ لأحد هذه القبور، وأشارت النتائج إلى أنَّ هذه النوعية تعود لفترات ما قبل المسيحية (الشكل:27)، بدليل طريقة البنية التحتية (Substructure) للمقبرة التى تكوّنت من حفرةٍ دائرية الشكل (ربما كان بها تجويف جانبي) بعمق نحو 140سم وقطر داخلي نحو 170سم، وُضِع فيها المتوفى فى شكلٍ قرفصائ ((Contracted position على جانبه الأيمن من الشرق

للغـرب، والـرأس في الناحيـة الشرقيـة ناظـراً إلى الشـمال. هـدا النـوع مـن طـرق الدفـن كان منتـشراً في السُّـودان قبـل المسـيحية. ولم يُعـثر عـلى أثـاثٍ جنائـزيٍ داخـل المقـبرة. ربمـا يُعـزى ذلـك إلى احتـمال تعرُّضِهـا للسرقـة، وأخـذ محتوياتهـا، أو ربمـا لعـدم تزويدهـا بأثـاثٍ جنائـزيٍ. بالنسـبة للمبـاني السـكنية فقـد وُجِـدت عـلى السـطح أشـكال دائريـة لأسـاسٍ مـن الصخـور المحليـة يبـدو أنَّهـا اسـتخدِمت في بنـاء مسـاكن بالموقـع، ويُرجّـح أنَّهـا نـوع مـن المبـاني التـي اسـتخدم في بنائِهـا المـواد المحليـة مثـل: القـش والأخشـاب (قطيـه) (الشـكل:28). وقـد وُجِـدت جنبـاً إلى جنـبٍ مـع العديـد مـن حجـارة الرحـى ذات الاسـتخدام اليومـي وكسّـارة الفخّار(المرجـع السـابق:4).

الشكل(26): منظر عام للمقابر الدائرية المغطاة بالحصى بمنطقة شنقريره بالفشقة (عن: عبد الرحمن، محمد فاروق :2006)

الشـكل (27): حفـرة أختباريـة تظهـر طريقـة الدفـن في احـد المدافـن بموقـع شـنقريره بالفشـقة (عن: عبدالرحمن، محمد فاروق :2006)

الشكل (28): بقايا الإستيطان البشري من موقع خور أبو قرع (عن: عبد الرحمن، محمد فاروق :2006)

-6 مواقع التاريخ الحديث (Modern History Sites):

تتميز ولاية القضارف بموقعٍ اسراتيجيٍ مهم بحكم أنَّها تقع على منطقة حدودية، حيث شهدت العديد من المعارك الحربية الضارية خلال فترات التاريخ الحديث للدفاع عن حدود الوطن ضد المستعمر، وذلك من خلال فترة الحكم التركي، وفترة المهدية، وفترة الحكم الإنجليزي إبان الحرب العالمية الثانية. فنجد من خلال عمليات المسح الآثاري الشامل الذى انتظم الولاية خلال الأعوام السابقة، تم تسجيل نحو (4) مواقع أثرية تعود لفترة التاريخ الحديث، وذلك من خلال المعالم الأثرية للمواقع، وما تبقى من دلالاتٍ أثرية، هذا بجانب الروايات الشفهية من قِبل الأهالي. ومن أهم هذه المواقع نجد موقع البرج التركي، وهو عبارة عن منطقة جبلية مرتفعة تتوسط جبال منطقة قلع النحل، وتُطِل على مناطق متفرقة تُمكن من مراقبة المنطقة. لا تُوجد مباني، أو برج للمراقبة في هذه المنطقة. لكن عُثِر فيها على طريقٍ ممهّد يمتد من السفح إلى قمة الجبل مباشرة، ويمتد من الناحية الجنوبية، وربما استخدمت المنطقة للمراقبة في فتراتٍ حديثة، ربما في فترة التركية حسب الروايات الشفهية بالمنطقة. هنالك شواهد موقع محطة السكة الحديد بقلع النحل، فمن المرجّح أنَّ الموقع يعودُ إلى فترة الحكم الثنائي.

أما بالنسبة لموقع محطة السكة حديد الذي يُوجد بمنطقة قلع النحل فهو عبارة عن مباني دائرية الشكل بُنيت كاستراحةٍ من الصخور والأسمنت خلال فترة الحكم الثنائي 1898م ويُطل المبنى على محطة السكة الحديد مباشرة (الشكل:29)، وربما اختير الموقع ليس فقط للمراقبة، ولكن لموقعه الذي يُطل على مسافاتٍ بعيدةٍ وواسعة من المنطقة، وربما كانت هناك أغراض أخرى أمنية للمفتش الإنجليزى بالمنطقة. وكذلك نجد موقع (بان) السيد علي بن الخليفة عبد

اللـه التعايـشي بمنطقـة بـان، حيـث تُوجـد عـلى سـفح الجبـل مـن الناحيـة الغربيـة جبّانـة إسـلامية كبـيرة يرجـع تاريخُهـا إلى فـترة المهديـة، ومـا بعـد المهديـة (الأشـكال:30،31)، فقـد عُـثِر في هـذه الجبّانـة عـلى قـبر الأمـير/ عبـد القيـوم الحسـن الـذى سُـميت عليـه بوابـة الأمـير عبـد القيـوم في أمدرمـان، ويرجـع لفـترة المهديـة. وقـبر الأمـير/ خاطـر حميـدان عـلى بطـل أم دبيكـرت، وقـبر السـيدة نضيفـة إحـدى زوجـات المهـدي، بجانـب ذلـك هنـاك موقـع طابيـة أبـو قلـوت (الشـكل:32) وهـي عبـارة عـن طابيـة مبنيـة مـن الصخـور المحليـة والطـين، وبُنيـت في فـترة الحـرب العالميـة الثانيـة. وموقـع القلابـات وهـو عبـارة عـن موقـع حـربي يضـم مقابـر الجعليـين (الشـكل:33) أحفـاد الملـك نمـر، وضريـح الشـيخ الأربـاب بمنطقـة المتمـة الحبشـية الـذي يرجـع لفـترة التركيـة في السُّـودان، ومقابـر شـهداء المهديـة ، وقبـة الشـيخ أحمـد البـدوي الـذي يرجـع لفـترة الحكـم الثنـائي. كـما تـم توثيـق عـددٍ مـن المعـدات الحربيـة المدمـرة التـي اسـتخدمت خـلال الحـرب العالميـة الثانيـة بالمنطقـة خـلال الحـرب مـع القـوات الإيطاليـة.

الشكل (29): منظر عام للمقابر الإسلامية بموقع جبل بان

الشكل(30): استراحة دائرية الشكل من الصخور والأسمنت بمنطقة قلع النحل (عن: عبدالرحمن، محمد فاروق :2006)

الشكل (31): منظر عام للقلعة من الناحية الجنوبية بجبل قلع النحل (عن: عبدالرحمن، محمد فاروق :2006)

الشكل (32): بقايا مباني طابية أبوقلوت شرق القضارف

الشكل(33): مقابر الجعليين بمنطقة المتمة الحبشية

المهددات البشرية والطبيعة للمواقع الأثرية بالولاية:

من خلال الزيارات التفتيشية الدورية للمواقع الأثرية بالولاية اتضح أنَّ هنالك بعض المواقع تعرضت للدمار بفعل العوامل البشرية والطبيعية، وهي تتمثل فى الآتي:

1. عمليات التعدين الأهلي للذهب من قِبل الباحثين عن الذهب (الأشكال:34، 35)، مما أدى دمار وطمس معالم الكثير من المواقع الأثرية، ويظهر ذلك جلياً من خلال الرديم المستخرج جراء حفر المدافن والذي يدل عليه وجود كسّارة الفخّار والأدوات الحجرية وأجزاء من العظام والهياكل البشرية (الشكل:36)، هذا بجانب إزالة البُنى الفوقية وشواهد القبور.
2. هنالك مواقع تأثرت بفعل العوامل البشرية الأخرى خلاف عمليات التعدين والبحث عن الذهب، مثل أخذ التربة من المواقع الأثرية لأغراض البناء، مما أدى إلى دمار أجزاء كبيرة من هذه المواقع الأثرية.
3. إنشاء السدود الترابية.
4. ممارسة الزراعة.
5. ممارسة الرعي.
6. عمل كمائن للطوب داخل المواقع الأثرية.
7. أحدث السكن أيضاً دماراً المواقع الأثرية من خلال تغوُّل السكان علي المواقع الأثرية واستخدامها للسكن غير المنظم (العشوائي) أو للسكن المنظم.
8. كما أنَّ هنالك بعض المواقع التي تعرّضت للدمار، وذلك بفعل العوامل الطبيعية من أمطارٍ وسيولٍ ومجاري الأنهار.

كل هذه العوامل أدت إلى جرف بعض من أجزاء المواقع الأثرية، أو اختفائها كلياً، مما أدى

إلى ظهور بعض العظام والهياكل العظمية البشرية. ومن الملاحظ أنَّ معظم هذه المواقع عبارة عن مقابر تعود للفترة الإسلامية، وبعضُها يرجِع للفترات التاريخية الأخرى. ومن خلال ما ذُكر يُمكننا القول بأنَّ كل العوامل التي تم ذكرُها تعمل مجتمعةً على دمار المواقع الأثرية وضياع المعلومات مما يُصعِّب عملية الدراسة والتحليل، هذا بجانب ضياع الموروث الثقافي والحضاري لإنسان الولاية.

الشكل (34): الباحثين عن الذهب بموقع أم مخيته الأثرى بمنطقة البطانة

الشكل (35): حفرة توضح آثار الدمار للباحثين عن الذهب بموقع الحجر بمنطقة البطانة

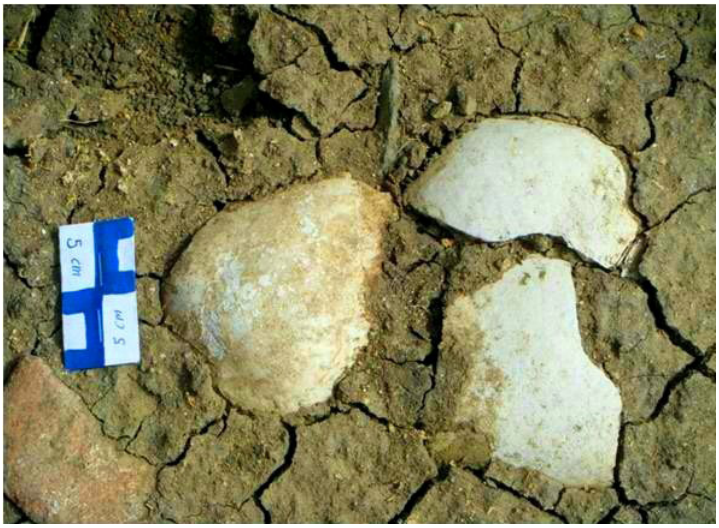

الشكل (36): بقايا جمجمة آدمية تظهر على السطح بسد أم رويشد بمنطقة البطانة

تحديات العمل الأثرى (الرؤى المستقبلية) :

مـن خـلال تجربـة العمـل الأثـري الـذي تـم بالولايـة هنالـك تحديـات تُعتـبر مـن أولويـات الإدارة في المرحلـة القادمـة تتمثـل في الآتي:

1. نـشر ثقافـة الآثـار وذلـك عـن طريـق عقـد ورش العمـل، وتقديـم المحـاضرات والنـدوات والحلقـات الإذاعيـة والتلفزيونيـة والمؤتمـرات الصحفيـة عـن الآثـار وأهميتهـا.
2. إنشـاء خارطـة بالمواقـع الأثريـة في الولايـة حتـى تكـون مرجعيـة أساسـية في عمل الدراسـات، وربـط المواقـع واسـتصحابها عنـد التخطيـط للمشروعـات التنمويـة والزراعيـة، وتخطيـط وإعـادة تخطيـط المناطـق السـكنية بالولايـة.
3. حمايـة المواقـع الأثريـة عـن طريـق تسـويرها ووضـع اللافتـات التعريفيـة عليهـا وتعيـين الخفـراء لهـا وتفعيـل قانـون حمايـة الآثـار للعـام 1999م وإشراك إدارة الآثـار والمتاحـف عنـد قيـام أي مـشروع تنمـوي لمسـح أرض المـشروع قبـل قيامـه.
4. إجـراء الحفريـات الإنقاذيـة للمواقـع الأثريـة المهـددة بفعـل العوامـل الطبيعيـة والبشريـة حتـى تكـون نـواة للعمـل الآثـاري بالولايـة، وربطهـا بمنظومـة الحضـارات السُّـودانية.
5. اسـتقطاب البعثـات الأجنبيـة للعمـل بالولايـة في مجـال الآثـار عـن طريـق نـشر نتائـج الحفريـات الإنقاذيـة في مؤتمـرات الآثـار داخـل وخـارج السُّـودان، ونـشر التقاريـر الخاصـة بتلـك المواقـع في الدوريـات المتخصصـة التـي تصـدر باللغـات الأوربيـة.
6. تكملـة إجـراءات متحـف الولايـة لاسـتيعاب الكـم الهائـل مـن اللقـى الأثريـة المسـتخرجة مـن الحفريـات الإنقاذيـة للمناطـق المتأثـرة بقيـام سـدي سـيتيت وأعـالي نهـر أتـبرا، مـع صيانـة وترميـم وحفـظ الآثـار وعرضهـا، ولتجميـع الآثـار المنتـشرة بحـوزة المواطنـين في أنحـاء الولايـة المختلفـة، لاسـيما وأنَّ المتحـف سيُسـهِم في دفـع العمليـة التعليميـة والتربويـة،

وترسيخ مفهوم الوطنية ووحدة الشعوب وارتباطها بماضيها وذلك من خلال زيارته بواسطة الطلاب والمواطنين والمسئولين علي مستوى الولاية والدولة له، فضلاً عن الجانب الترويحي للسياح ودوره في تنشيط حركة السياحة المحلية والأجنبية وعكس وجه الولاية المشرق، بالإضافة إلي العائدات المادية التي تعمل علي دعم الاقتصاد المحلي والقومي.

الخاتمة :

ختاماً من خلال تتبع مسيرة تاريخ العمل الآثاري بولاية القضارف، ونتيجةً لتعدد اكتشافات المواقع الأثرية اتضح أنَّ القضارف من الولايات الغنية بالآثار، إذ كانت تُمثل مكاناً مناسباً لسكن وحياة المجموعات البشرية القديمة. وتبقى المرحلة الثانية والتي تتمثل فى الحفريات والدراسات السطحية الأخرى، وهى مهمة جداً لأنَّها ستُمكِّن من عمل دراساتٍ مقارنة، والربط عبر محاولة الكشف عن وجود لأي عناصر ربط ثقافي وحضاري بين ولاية القضارف والمناطق الأخرى بالبلاد، من أجل الوصول لفهم ومعرفة الصورة الآثارية لولاية القضارف. ودعم فكرة التوحد الحضاري، ومدى التواصل لفهم الهُوية، إلى جانب الاستفادة من المواد الأثرية المتحصل عليها من خلال الحفريات لعرضِها فى متحف الولاية، لعكس الخصائص الأثرية للولاية وربطها بمنظومة الحضارات السُّودانية خاصة أنَّ القضارف حتى الآن غائبة لحدٍ كبير عن سِجل التسلسل الحضاري والتاريخي للسُّودان، ويتضح ذلك من خلال العرض المتحفي بمتحف السُّودان القومي الذي يعرض التراث المادي الأثري لعددٍ من الولايات، وليس من بينِها ولاية القضارف، ويرجع ذلك لعدم وجود قطع لا تُوجد لها أي قطعة أثرية مسجلة.

إنَّ تلك الولاية ما زالت بكراً في مجال الآثار، لذا لابد من النهوض بمرفق الآثار فيها في الوقت الحاضر لاستشراف مستقبلها الواعد، ولا يتأتى ذلك إلا بتوفير معينات العمل الآثاري، ونشر ثقافة الآثار عبر الوسائط الإعلامية المتاحة بالولاية من خلال المعلومات المتوفرة والاستفادة من العلاقات الخارجية، واستقطاب الدعم اللازم من الولايات الأخرى، والاستفادة من قيام سدي سيتيت وأعالي نهر أتبرا.

النتائج:

توصلت أعمال المسح الآثاري الذي إنتظم ولاية القضارف علال الاعوام 2006م6م و 2013م إلي النتائج التالية: تضم ولاية القضارف معظم الفترات الثاريخية توزّعت هذه المواقع فى الفترات التاريخية المختلفة ابتداءً من فترات ما قبل التاريخ حتى فترة التاريخ الحديث. تتمركز جل هذه المواقع بالقُرب من المناطق الجبلية وسفوحها، وينتشر البعض الآخر على ضفاف نهري الرهد و أتبرا، وبالقُرب من مناطق السكن الحديثة. كذلك تم التعرف علي ثراءِ الولاية بمخلفات إنسانِها عبر فتراتٍ تاريخيةٍ المختلفة. تميّزت مواقع عصور ما قبل التاريخ بالولاية بظاهرة انتشار الأدوات الحجرية، وكسارة الفخار بصورةٍ كثيفة على سطح المواقع. وتنوّعت مواقع العصور التاريخية ما بين فترات ما قبل مروي، وما بعدها، والفترة المسيحية، والإسلامية، وفترة التاريخ الحديث.يعود البعض الآخر من المواقع لفتراتٍ تاريخيةٍ غير معروفة.

المصادر والمراجع :

1/ المراجع العربية :

1. الحسن أحمد الحسن، 2010م : مشروع إنقاذ آثار منطقة سد نهرى سيتيت ومشروع أعالي عطبرة الزراعي- المسح الإستكشافى، «تقرير غير منشور».
2. النور، أسامة عبد الرحمن، 2000 : «شرق السُّودان فى فترات ما قبل التاريخ»، أركاماني النسخة الالكترونية، العدد2، ص ص (-1 6).
3. النور، الطاهر آدم،2010: أعمال المسح الآثارى الإستكشافى لمنطقة نهر سيتيت، «تقرير غير منشور».
4. النور، الطاهر آدم، 2013: مشروع إنقاذ آثار المناطق المتأثرة بقيام سدى أعالي عطبرة وستيت الحفريات الإنقاذية بمناطق الضفة الشرقية لنهر سيتيت، «تقرير غير منشور».
5. حسن، يوسف فضل، 2012: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السُّودان الشرقي (-1450 1821) ط5، الخرطوم، سوداتيك المحدودة.
6. عبد الرحمن، محمد فاروق،2006: الأعمال الأثرية بولاية القضارف، الهيئة العامة للآثار والمتاحف، «تقرير غير منشور».
7. عبد الحي عبد الساوي، 2013 : مشروع إنقاذ آثار المناطق المتأثرة بقيام سدي سيتيت وأعالي عطبرة – الحفريات الإنقاذية، «تقرير غير منشور».
8. فخري حسن عبد الله، آدم يعقوب آدم ، ذاكي الدين محمود، عادل نمر، موسى الطيب،2012: العمل الأثرى بولاية القضارف، الإدارة العامة للسياحة والآثار، ولاية القضارف،»تقرير غير منشور».
9. فخري حسن عبد الله، آدم يعقوب، عادل عبد الله نمر،2008: دليل القضارف السياحي، الإدارة العامة للسياحة والآثار- ولاية القضارف «غير منشور».
10. محمد على، عباس سيد أحمد،2005: «على حافة المدينة ظهور واضمحلال القرى الزراعية في سهل البطانة (شرق السُّودان)»، أبحاث ندوة المدينة في الوطن العربي في ضُوء الاكتشافات الأثرية النشأة والتطوُّر، أدوماتو، ص ص (74-65).

2 - المراجع الأجنبية :

(1) -Arkell, A. J. 1954. 'Four Occupations at Agordat', Kush 2, 33-62.

(2) -Crowfoot, J. W. 1920. 'Old Site in the Butana', Sudan Notes and Records 3 (2), 85-93.

(3) -Fattovich, R., A. E. Marks and A. M. Ali. 1984. 'The Archaeology of the Eastern Sahel, Sudan: Preliminary results', The African Archaeological Review 2, 173-188.

(4) -Fritz, H. B. 1959. 'Preliminary Reports of the Butana Expedition – 1958', Kush 7, 171-196.

(5) -Shiner, J. L. 1971. 'Pre-Ceramic Sites', in J. L. Shiner, A. E. Marks, and V. Chmieleweky (eds), The Prehistory and Geology of Northern Sudan part 1. National Science Foundation report, 306-316.

المنشآت الدينية في عصر الدولة الرسولية (626 - 858هـ/1229 - 1454م) المسجد (الدافع والدور) أنموذجاً

د. علي عبد الكريم محمد بركات
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المشارك - قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة إب - اليمن

المستخلص:

تناول هذا البحث المنشآت الدينية في اليمن في عصر الدولة الرسولية (626/858هـ_1229-1454م) المسجد (الدافع والدور) أنموذجاً، ويحاول الباحث عبر قراءة عميقة وفاحصة تتبع تلك الطفرة غير المسبوقة في بناء المسجد وملحقاتها على مدى أكثر من قرنين وثلث وانعكاسات ذلك الانتشار للمساجد على النهوض المعرفي وتغذية مدخلات النهوض الحضاري لتلك الفترة، وقد استهل الباحث دراسته بتناول الفروق المميزة للمدرسة عن المسجد وما عُرف بالمدارس المسجدية، وانشغل البحث كذلك بمظاهر الاهتمام للمجتمع الرسولي في بناء المساجد وتعميرها بمختلف شرائحه بما في ذلك القصر وسلاطينه، كما عالج البحث المحددات (الدوافع) التي دفعت السلاطين الرسوليين لإنشاء تلك المساجد، كما انشغل بقراءة تتبعية للعناصر المعمارية للمساجد والمدارس المسجدية في ذلك العصر من المئذنة إلى القباب وغيرها، ليتناول البحث بعدها أشهر المساجد الرسولية وانتشارها على الخارطة اليمنية، لينشغل البحث بعدها بقراءة تتبعية في المصادر للدور العلمي لتلك المساجد وملحقاتها كالمكتبات والكتاتيب، بما في ذلك دور الحلقات العلمية وأدوار العلماء في تلك المساجد، وقد خرج الباحث بنتائج متعددة أوردناها في خاتمة البحث وفي سياقاته، وقد اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر المعاصرة للرسوليين والمحدثة والتي أسهمت في إثراء البحث، والذي نأمل أن يكون قد حقق بعضاً من أهدافه التي وُضع من أجلها.

الكلمات المفتاحية: المسجد، المدارس المسجدية، السلاطين، الحلقات.

Religious Institutions in the Rasulid State Era (626-858 AH / 1229-1454 AD): The Mosque (Motivation and Role) as a Model

Dr. Ali Abd Alkreem Mohmed

Abstract:

This study examines religious institutions in Yemen during the Rasulid era (626–858 AH / 1229–1454 CE), focusing on mosques (motivations and roles) as a case study. Through a thorough and analytical reading, the researcher traces the unprecedented surge in mosque construction and their annexes over more than two centuries, as well as the impact of this proliferation on intellectual advancement and the

enrichment of civilizational progress during that period.The study begins by exploring the distinguishing features between madrasas (Islamic schools) and mosques, as well as the concept of "mosque-madrasas." It also highlights the manifestations of societal interest—across all segments, including the court and the sultans—in building and maintaining mosques. Additionally, the research addresses the key factors (motivations) that drove the Rasulid sultans to establish these mosques.The study further engages in a detailed architectural analysis of mosques and mosque-madrasas from that era, examining elements such as minarets, domes, and other features. It then explores the most prominent Rasulid mosques and their distribution across Yemen. Subsequently, the research conducts a critical review of historical sources to assess the scholarly role of these mosques and their annexes, such as libraries and kuttabs (Quranic schools), including the function of study circles and the contributions of scholars within these mosques.The study concludes with multiple findings, which are presented in the conclusion and throughout the discussion. The research relies on numerous contemporary and modern sources related to the Rasulids, which have enriched the study. It is hoped that this work achieves some of the objectives for which it was undertaken.

Keywords: Mosque, Mosque-Madrasas, Sultans, Study Circles.

المقدمة:

وردت «كلمة مسجد في القرآن الكريم لتعني المكان الذي يؤدي فيه المسلمون الصلاة ويمارسون في رحابه عبادة الله عز وجل»[1]، إذ يقول الله عز وجل: ((إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ))[2]، وقوله عز وجل: ((وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا))[3]. ولعله من المفيد الإشارة قبل الولوج في بنية هذا البحث إلى إشكالية المزج بين مصطلحي المدرسة والمسجد، لاسيما في التاريخ الإسلامي، حيث يذهب كثير من المؤرخين إلى المزج بين المصطلحين عند تناول الدور المتعدد للمسجد، وهو ما أيده المؤرخ اليمني إسماعيل الأكوع في تعريفه للمدارس في العصر الإسلامي بقوله: «...المراد بها المدارس المسجدية التي تجمع بين المدرسة وبين المسجد في مكان واحد ويلحق بها بعض الحُجر (جمع حُجرة وتسمى خلوة) لإقامة المدرسين والطلبة الذين لا بيوت لهم في ذلك البلد وإلا فالمدرسة بمعنى المسجد أقدم من ذلك»[4].

والذي حملني على اختيار هذا الموضوع هو إغفال الكثير من الدراسات التي تناولت

المنشآت الدينية الرسولية عن تتبع الدور التأثيري لذلك النوع من المنشآت والذي كان يمثل المحفز الأكبر لذلك النهوض المعرفي والحضاري لذلك العصر، وانعكاسات ذلك البناء المعماري للمسجد وملحقاته على المعمار اليمني بمكوناته وزخارفه، بالإضافة إلى الأدوار العلمية للمساجد والمدارس المسجدية بدءاً من المكتبات وانتهاءً بأدوار الحلقات العلمية في تغذية مدخلات ذلك النهوض، وبيان موقف المؤرخين قدامى ومحدثين من تلك الأدوار، وقد اتبعت في ذلك منهجاً وصفياً تحليلياً، كما سعيت إلى وضع مقارنات بين نصوص معاصرة لتلك الفترة ونصوص المحدثين من المؤرخين، وقد قمت بتقسيم البحث إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، انشغل الأول منها بالتعريف بالمسجد والمدارس المسجدية واهتمام الرسوليين ببناء المساجد، بينما جاء الثاني ليعالج الدوافع (المحددات) للسلاطين لبناء تلك المساجد وتعميرها ومعالجة الارتباطية بين الحاكم وبناء المساجد، وانشغل المبحث الثالث بتتبع العناصر المعمارية والهندسية لمكونات المساجد وإبداع المهندس اليمني في زخرفتها وتشييدها، بينما جاء الرابع ليتناول أشهر تلك المساجد المركزية وتوزيعها على الخارطة اليمنية، وعالج المبحث الخامس الأدوار العلمية المتعددة للمساجد بدءاً من المكتبات والحلقات والكتاتيب وانتهاءً بأدوار العلماء فيها ومساهمة تلك الأدوار في تغذية مدخلات النهوض الحضاري الذي كان يعتمل في اليمن في تلك الفترة، والذي نأمله أن يكون هذا البحث قد سد مسداً في دراسة الأدوار المتعددة للمساجد وملحقاتها من خلال التتبع الفاحص والمتأن لكتابات المؤرخين قدامى ومحدثين.

أولاً: الرسوليون واهتمامهم ببناء المساجد:

أنشأ بنو رسول «حكماً ضم إلى جانب بلاد اليمن بعض مناطق الحجاز والمناطق الشرقية»[5]، واستمرت حاكميتها ما يزيد عن قرنين وثلث وذلك في الفترة (858-626هـ/-1229 1454م) تمكن سلاطينها خلال تلك المدة من «فتح المجال لازدهار علمي وثقافي وحضاري ووحدة عامة للبلاد اليمنية ولعلاقات دولية هامة»[6]. وقد تعدى سلاطين بني رسول تشجيع الحركة العلمية والازدهار الفكري إلى ما سواها، كإنشاء الكثير من المؤسسات العلمية، كالمدارس المسجدية وغيرها من المؤسسات التي تعنى بتأهيل الفرد وتنمية قدراته الفكرية[7]. وقد «كان الاهتمام في ذلك العصر بإنشاء المساجد واضحاً من قبل ملوك الدولة ومن أفراد الشعب، فقد حرص ملوك بني رسول على بنائها لتثبيت سلطتهم والدعاء لهم فيها، باعتبار ذلك دليل الولاء لهم وشرعية حكمهم وعملوا بواسطتها على نشر الثقافة الإسلامية، سواءً في اليمن أو خارجها»[8]، فقد ذكر المؤرخون أن مؤسس دولة بني رسول الملك نورالدين عمر بن علي بن رسول بنى في كل قرية من قرى تهامة مسجداً[9]. ونفس الشيء «فعله ملوك الدولة الرسولية الذين خلفوه فساروا على هذه السياسة في بناء المساجد وحبس الأوقاف لمرتادیها»[10]، فالملك المظفر (ت694هـ/1295) «ابتنى مسجداً في مغربة تعز... ورتب فيه إماماً وخطيباً ومؤذنين وقيمين ووقف عليه ما يقوم بكفاية الجميع»[11]، وكذلك من مآثره الجامع المظفري في مدينة المهجم، وجامع آخر وسط المحالب، والجامع الكبير في مدينة حيس[12]، وكذلك فعل السلطان المؤيد (ت721هـ_1322م)[13].

ورغم كل هذا الاهتمام من قبل سلاطين الدولة الرسولية في الاهتمام بإنشاء المساجد والجوامع، إلا أن ذلك لا يعني أن هذا الاهتمام وذلك التشييد قد ظل حكراً عليهم دون سواهم، بل تعداه إلى معظم شرائح المجتمع آنذاك التي أقبلت «على المساهمة في بناء المدارس والمساجد والزوايا والكتاتيب وفتح العلماء والفقهاء منازلهم لطلبة العلم... وانتشرت المكتبات الخاصة»[14]، ولعل هذه المشاركة شدت إليها انتباه الكثير من المؤرخين القدامى والمحدثين، ومنهم المؤرخ المعاصر إسماعيل الأكوع الذي أشار إلى ذلك بقوله: «ولم يقتصر تشييد المدارس عليهم فحسب، بل سار على خططهم أولادهم وأمراؤهم ووزراؤهم ونساؤهم ومواليهم وسراة اليمن في عصرهم حتى كان بناء المدارس وتشييدها سمة من سمات ملكهم، ومظهراً بارزاً من مظاهر حكمهم»[15]. ولعله من اللافت في هذا الجانب تلك المشاركة غير المسبوقة للنساء الرسوليات بمختلف الرتب والمستويات والتي صاحبت ترجمات المؤرخين لها، ومن ذلك ما أورده الخزرجي في ترجمته لوالدة السلطان المجاهد الرسولي بقوله: «ومن مآثرها الدينية... ابتنت مسجداً في قرية التربية من وادي زبيد»[16]. وكنتيجة لتلك السياسة المدفوعة بقوة الحافز الديني امتدت خارطة المدارس المسجدية لتشمل معظم مناطق نفوذ الدولة الرسولية والتي لم تكن على وتيرة واحدة في نشأتها بقدر ما تعددت من حيث الوظيفة والحجم والفخامة.

ثانياً: المحددات - الدوافع- التي دفعت السلاطين الرسوليين لإنشاء المساجد:

يعتبر عصر الدولة الرسولية – إن جاز لنا التعبير – العصر الذهبي لإنشاء المساجد والمدارس في اليمن، حيث تجاوزت المدن الكبيرة إلى المدن الثانوية، بل والقرى الصغيرة[17].

وفي تقديري أن اتجاه سلاطين الدولة الرسولية ورجال دولتهم ذلك الاتجاه الملفت للنظر نحو تشييد المساجد والمؤسسات التعليمية المنبثقة عنه لم يكن بدافع الحافز الديني فحسب وإن كان في صدارتها، ولكنه كان يستند إلى عدة اعتبارات أو محددات أو عوامل، من أبرزها:

الحافز الديني:

فقد «كانت المساجد تشيد تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى وامتثالاً لأوامره»[18]، ففيها يتعلم الناس مبادئ الدين الإسلامي وتعاليمه، وهو ما يتضح جلياً من خلال عدم اكتفاء أولئك السلاطين باستكمال البنية المعمارية والزخرفية للمدرسة أو المسجد فحسب، بل حرصوا على ترتيب القراء والأئمة وكل مستلزمات الرسالة المسجدية وضمان استمراريتها عبر تأمين مصادر تمويل مستمرة لتلك المنشآت[19]. ولعله من نتائج هذا الالتزام الرسمي للدولة الرسولية والمشفوع بـ»قوة الحافز الديني في إقامة الشعائر والفوز برضاء الله سبحانه وتعالى... [أن] انتشرت المساجد وكثر عددها واختلفت سعتها وأحجامها»[20].

الحافز السياسي:

فالارتباط (السياسي) بين الحاكم والمسجد يعد من القواسم المشتركة للدول الناشئة على امتداد التاريخ الإسلامي في اليمن وخارجها، فقد «كانت المساجد عنوان الدولة والحاكم»[21]، وعليه فقد سعى سلاطين الدولة الرسولية إلى إنشاء المساجد والمدارس رغبة في تثبيت ملكهم،

وقد أشار إلى مثل هذا الدافع المؤرخ فاروق حيدر بقوله: «فقد حرص ملوك بني رسول على بنائها[22]، لتثبيت سلطانهم والدعاء لهم فيها، باعتبار ذلك دليل الولاء لهم وشرعية حكمهم»[23]، إذ أن المسجد شكل الوسيط السياسي والإعلامي للحكام الرسوليين الذين من خلاله تفرض وتعرض المراسيم السلطانية وتصبغ بالشرعية الدينية والبيانات السياسية، كما أن المسجد هو المكان المناسب لإجراء اللقاءات مع جماهير المسلمين لمناقشة القضايا الهامة وصبغها بالطابع الديني المستوحى من رسالة المسجد[24]، إلا أنه مما ينبغي الإشارة إليه أنه من الغُبن حصر رسالة المسجد بالرسالة السياسية دون التنويه إلى ضخامة الدور التنويري لمساجد ذلك العصر، وما أفرزته من نتاجات فكرية حملت على عاتقها الارتقاء بالمجتمع بمختلف فئاته.

رقي المستوى الثقافي والعلمي للسلاطين:

فلم «يكن سلاطين الدولة الرسولية بمنأى عن النهضة التأليفية في اليمن»[25]، بل أشار بعض المؤرخين إلى ما يزيد عن ثلاثين مصنفاً من تأليف أولئك السلاطين[26]. وكنتيجة طبيعية لذلك الرقي المعرفي، فقد «كان ملوك بني رسول - طوال فترة حكمهم - على رأس المهتمين بهذه الناحية وأغلبهم - من المتعلمين والعلماء - قد شاركوا في بناء مدرسة أو مدرستين أو أكثر واشتهروا بأنهم من بناة المدارس والمساجد وغيرها مما يساعد على التقدم العلمي»[27].

وعليه يمكن القول: بأن ذلك المستوى المعرفي المتقدم لدى أولئك السلاطين قد وفر الحامل السياسي والاقتصادي للفكر التنويري الذي كانت أساسه المدارس المسجدية والتي لاقت تشجيعاً لم تشهد اليمن على تاريخه له مثيل حتى غدا هذا الاهتمام وذلك التشييد للمساجد لازمة أساسية في ترجمات أولئك السلاطين لدى المؤرخين قدامى ومحدثين[28].

التسامح الديني والمذهبي:

في تقديري أن حكام الدولة الرسولية كانوا ينشدون من خلال توسعهم في بناء المدارس المسجدية - بالإضافة إلى ما سبق - خلق حالة من التوازن المذهبي مع الزيدية في اليمن الأعلى، والسعي لبث روح التسامح والتعايش المذهبي حتى «تميز هذا العصر بالتسامح الديني والمذهبي والتعدد الفكري»[29]، وجعل التباينات والتمايز المذهبي عبر المساجد والمدارس المسجدية وفرض مبدأ التعايش بين مختلف التيارات التي «كثيراً ما تنازعت بشكل سلمي عبر كتب النقائض والردود عبر المناظرات»[30]، والتي احتضنتها تلك المساجد، وعليه فقد نجح سلاطين الدولة الرسولية في توجيه تلك التباينات المذهبية نحو إثراء الواقع الفكري ووضع الضوابط المنظمة لذلك التعدد والتباين[31].

الحافز الوظيفي والإداري:

والمتمثل بحاجة الدولة الرسولية إلى كوادر وظيفية وإدارية مؤهلة تغذي مفاصل النهوض الحضاري والفكري المتعدد في اليمن إبان حاكمية الدولة الرسولية[32]. ولعل تلك الحاجة قد امتدت إلى المنشآت الدينية ذاتها وإدارتها علمياً ومالياً وتنظيم أوقافها وإدارتها. ولزاماً علينا ونحن نتناول جملة العوامل التي ساهمت في دفع سلاطين الدولة الرسولية لإنشاء المنشآت الدينية وفي

مقدمتها المساجد، لابد من الإشارة إلى أن هناك عوامل غير السالفة ذكرها لا تتسع طبيعة البحث لتناولها تفصيلاً، وفي مقدمتها اكتساب قلوب العامة والعلماء، ومضاهاة سلاطين اليمن لسلاطين المماليك في مصر، وإن كانت تلك العوامل - المحددات - قد أفرزت كماً كبيراً من المدارس([33]).

ثالثاً: العناصر المعمارية للمسجد والمدارس المسجدية:

قبل الولوج في المكون المعماري للمدارس اليمنية، لابد من الإشارة إلى التداخل الوظيفي بين المسجد والمدرسة، ففي الغالب تطلق تسمية المدارس على المساجد من حيث «اشتمالها على كل مكونات المدارس الإسلامية التي تؤهلها لأداء وظيفتها في إقامة الشعائر الدينية وأداء الفرائض وتوفير أماكن للدراسة والتعلم...، كما وجدت أيضاً المنارات لكثير من المدارس واشتمل بعضها على منارتين»([34])، وهذا بدوره يجعلنا نلمس تمايزاً بين المساجد ذاتها من حيث الحجم والوظيفة، إذ أن «المساجد الكبيرة الجامعة ذات الحلقات العديدة المنتشرة كانت غالباً تبنى في المدن، أما المساجد الصغيرة فانتشرت في القرى»([35]). وإن كانت المدرسة في تقديري ذات مضمون أشمل من المسجد، باعتبار المسجد في المكونات المعمارية للمنشآت الدينية في ذلك العصر يعتبر جزء من المدرسة، وهذا - بطبيعة الحال - لا يعني التقليل من شأن المسجد مقارنة بالمدرسة، بل «كان المسجد أو بيت الصلاة هو العنصر المعماري الرئيسي للمدارس اليمنية ولم يختلف في تخطيطه وشكله المعماري عن تخطيطات المساجد اليمنية الشائعة»([36]). وعليه فإنه يمكن أن نستعرض بإيجاز العناصر المعمارية لتلك المساجد والمدارس المسجدية في اليمن كالآتي:

بيت الصلاة:

وهو - كما أسلفنا - يمثل العنصر المعماري الرئيسي الذي يجمع المساجد والمدارس المسجدية ويتميز عن باقي الأقطار الإسلامية بأنه أكثر العناصر المعمارية أهمية وأوسعها مساحة([37])، ويغطى بيت الصلاة التي عادة ما تكون مربعة أو مستطيلة قباب متعددة بطريقتين، الأولى: أن تغطى بلاط المحراب قبة كبرى ويغطى الجناحين على جانبيها قبتان من كل ناحية أو أربع قباب من كل ناحية، وخير مثال على ذلك المدرسة الأشرفية الكبرى، والمدرسة الظاهرية في تعز([38]). ومما يجدر الإشارة إليه أن أسلوب عمارة القباب التي تغطي بيت الصلاة لم يكن عملاً ترفياً بقدر ما كان يستهدف بالإضافة إلى صبغ المسجد بالمكون الجمالي، فإنه كذلك يشير إلى تعدد وظائف القباب ومميزاتها، فهي تعمل على توزيع التيارات الهوائية داخل بيت الصلاة والمسجد بشكل عام، وكذلك توزيع صدى الصوت وتكبيره إلى جانب أنه يفتح نوافذ في رقبة القبة يسمح بنفاذ الضوء([39]). وفي تقديري أن هذا التعدد الوظيفي للقباب دفع بالمعماري اليمني على تجويد لمساته الإبداعية بإضافة الزخارف النباتية والهندسية بشتى أنواعها والألوان ذات الأصباغ المقاومة لعوامل الزمن، ويبدو ذلك جلياً للزائر وهو يتعجب من صمود تلك الألوان والزخارف لكل تلك المدة، وبذلك الرونق المبهر للألوان والأشكال، أما الطريقة الثانية: فهي تغطية بيت الصلاة بعدد من القباب تنسجم كل قبة منها مع تقسيمات بيت الصلاة إلى مربعات لتتناغم كل قبة مع حجم كل مربع ومساحته، وهو ما نجده مجسداً في المدرسة المظفرية في تعز([40]). ولعل ما يستدعي انتباه

المتأمل في تلك القباب أنها رغم كل التأثيرات المعمارية الوافرة في تلك الفترة، إلا أنها حافظت على خصوصيتها المحلية، فلم تحاكي القباب المملوكية في مصر التي كانت تميل إلى الشكل البصلي الوثيق الصلة بقباب فارس، وإن كانت لا تخلو من التأثيرات المملوكية في الجانب الزخرفي.

المئذنة:

وهي «المكان الذي يعلن من فوقه الآذان، ولعل المئذنة هي أهم العناصر المعمارية التي تعطي للمسجد شخصيته المميزة»[41]، ولعل فن بناء المنارات (المآذن) قد ازدهر في عصر الدولة الرسولية ولا بأس من إيراد شاهد تاريخي لما ذكرناه أورده مؤرخ الدولة الرسولية الخزرجي في ترجمته للسلطان الأفضل بقوله: «...أمر فيها بعمارة منارة لم يكن في البلاد مثلها وذلك أنها على ثلاث طبقات، فالطبقة الأولى مربعة الشكل صحيحة الأركان، والطبقة الثانية مثلثة الأركان قائمة الحروف، والطبقة الثالثة مسدسة الشكل عجيبة المنظر»[42]. ويبدو أن منارات (مآذن) ذلك العصر قد تعددت أشكالها وتباهت تبعاً لمدى أهمية المسجد وموقعه الجغرافي ومدى اهتمام الحاكم وما وفره من إمكانات بما يعكس قوة الحاكم ومتانة اقتصاده.

الفناء (الصرح):

وهو عنصر مشترك في معظم المساجد اليمنية ويختلف في تكوينه تبعاً لموقعه وتكوينه المعماري، فهو إما مربع أو مستطيل، ويتقدم بيت الصلاة[43]، وتحيط به أروقة من جهاته الأربع كل منها بائكة واحدة تفتح عليه بعقود محمولة على أعمدة أو دعامات[44].

المحاريب:

يعد «المحراب من أهم العناصر المعمارية بالنسبة للمسجد»[45]، وذلك لأنه يحدد اتجاه القبلة، كما أنه يعمل على تكبير الصوت وتفخيمه ويتوسط الصفوف وهي اعتبارات حرص المعماري الرسولي على مراعاتها أثناء تشييده للمساجد[46]، كما كانت محاريب تلك الفترة غنية بالزخارف الجصية وأشرطة الكتابة التي من المحزن والمؤلم أن بعضها قد طمست معالمها تحت الطبقات الكثيفة للدهانات المعاصرة، وتحتاج إلى خبرات آثارية وتقنيات حديثة لإزالة تلك الطبقات.

الأبواب:

حيث حرص سلاطين الدولة الرسولية، على الاهتمام بأبواب ومداخل المساجد التي قاموا بإنشائها، فهذا الخزرجي يصف أحد المساجد التي أنشأها السلطان الأشرف إسماعيل بن العباس (ت803هـ/1400م)، فيقول: «... ومن مآثره الدينية التي أنشأها في تعز وخارجها مدرسة حسنة الشكل لها باب شرقي وغربي وباب يماني»[47]، وغالباً ما كانت تلك المداخل تتكون من حجر بارز من الحجر المشهر بالأخضر والأحمر ويغطي الحجر قبة حجرية ضحلة يتوسط صدر المدخل لوحة من الحجر كتب عليها النص التأسيسي للمسجد أو المدرسة[48]. ولابد من الإشارة إلى أن المكونات المعمارية للمساجد أو المدارس المسجدية لا تقتصر فقط على ما ذكرناه فحسب، فقد اشتملت كذلك على مكونات أخرى ذات طابع معماري نفيس وقيمة جمالية عبرت عن المستويات المتطورة لجماليات ذلك العصر الزخرفية والكتابية وهندسة البناء عالية الإتقان، كالعقود، المنابر،

المقصورات، الميضاءات، الشرافات المسننة، المدافن، المكتبات، الخانقاوات، ومساكن الطلبة[49]. وفي تقديري أن مما يلاحظ على النمط المعماري لمساجد ذلك العصر أنه تعبير موضوعي عن مدى النهوض الحاصل في الصناعات المرتبطة بالبناء والعمارة[50].

رابعاً: أشهر المساجد في عصر الدولة الرسولية:

مع نشأة الدولة الرسولية في اليمن «وتطور الحياة العلمية وازدهارها في شتى المجالات المختلفة، ازداد انتشار المساجد في كل مدينة وقرية»[51]، ويشير إلى مثل ذلك فاروق حيدر بقوله: «كان الاهتمام في ذلك العصر بإنشاء المساجد واضحاً من قبل ملوك الدولة ومن أفراد الشعب»[52]، بحيث شكلت المساجد في بنيتها المعمارية وأدوارها الحضارية أحد معالم النهضة لتلك الدولة، ولعل ما يؤيد هذه المقاربة ما ذكره ابن الديبع (ت944هـ/1537م) عن صدور أوامر السلطان الأشرف اسماعيل الثاني بحصر أعداد المساجد والمدارس القائمة في مدينة زبيد وحدها فبلغ عددها مائتين وبضعاً وثلاثين وذلك في عام 795هـ/1392م[53]. وفي تقديري أن هذا العدد في حد ذاته وفي مدينة واحدة يعد مؤشراً كبيراً يدل على ما كان يعتمل من دور ريادي للمسجد كمؤسسة حضارية في ذلك العصر، ومن المساجد المشهورة في ذلك العصر والتي كانت تؤدي دوراً مركزياً في مختلف جوانب الحياة:

جامع المظفر بتعز: وقد «أنشأه المظفر الرسولي في منطقة ذي عدينة إحدى أرياض مدينة تعز»[54]، ويعتبر هذا الجامع «من أقدم المساجد الكبيرة التي بناها المظفر في القرن السابع الهجري»[55]، ويصفه ابن الديبع (ت944هـ/1537م) بالجامع الأعظم[56]، ويصفه الخزرجي (ت812هـ/1409م) بقوله: «وابتنى مسجداً في مغربة تعز يعرف في وقتنا هذا بالمسجد الجديد ورتب فيه إماماً وخطيباً ومؤذنين وقيمين ووقف عليه ما يقوم بكفايتهم الجميع»[57]. ولعل ما ينبغي قوله: أن عمارة مثل هذا المسجد الضخم بكل ما يحتويه من عناصر وتفاصيل معمارية وزخرفية بالغة الروعة سواءً في التخطيط والتنفيذ قد تمت في فترة متميزة من الاستقرار السياسي والاقتصادي الذي ساعد على البناء والتعمير[58].

جامع الأشاعر بزبيد: على أن بناء هذا الجامع يعود إلى العام الثامن للهجرة وأدى دوراً كبيراً على اختلاف الدول التي مرت على اليمن[59]، إلا أنه «قد ازدادت مكانة هذا الجامع عندما أصبح بنو رسول على رأس الحكم في اليمن حيث أولوه جُل عنايتهم وأوقفوا عليه الأوقاف الكثيرة»[60]، حيث شهد في عهد الدولة الرسولية تجديدات متعاقبة وإضافات متعددة، وأبرزها كأنموذج فقط قيام أحد الأمراء وهو أبو محمد غازي بن المعمار بتجديد الجامع وأمر بإحداث منبر يجلس عليه الخطيب يوم الجمعة[61]، وقد بلغ أهمية عالية في عهد الأشرف اسماعيل الثاني عام (799هـ/1397م) عندما «برز مرسوم السلطان إلى القاضي مجدالدين قاضي الأقضية يومئذ بأن يندب لمسجد الأشاعر بزبيد إماماً شافعياً»[62].

جامع الجند: وهو «من الجوامع المشهورة في اليمن والتي تم بناؤها في صدر الإسلام على يد الصحابي الجليل معاذ بن جبل»[63]، وقد «امتدت بمدينة الجند ومسجدها الجامع في عصر

بني رسول»[64]، لاسيما بعد أن قام السلطان الأشرف اسماعيل الثاني عام (793هـ/1390م) بتجديد ما تشعث منه[65]، ويشير الخزرجي إلى ذلك الاهتمام بقوله: «وأمر يومئذ بتسوير مدينة الجند وكان سورها قد اندرس ولم يبق له أثر فأعاده على الحالة الأولى وربما هو أحسن مما كان»[66]، ثم تتالت الترميمات للمسجد في عصر بني رسول ومن ذلك تعمير وتجديد المنارة الشرقية في عهد الظاهر يحيى بن اسماعيل الرسولي بعد سقوطها[67].

الجامع الكبير بإب: على الرغم مما تورده الروايات عن بناء هذا المسجد في عهد عمر بن الخطاب، فإن «معظم عمارة الجامع القائمة إلى الآن فإنها تنسب إلى الأمير أسدالدين محمد بن الأمير بدرالدين الحسن بن علي بن رسول... الذي قام بعملية إصلاح شاملة للمسجد أثناء عمارته للمدرسة الأسدية المنسوبة إليه»[68]، وقد قام نورالدين الرسولي المؤسس بتجديد المئذنة وقد رجح مصطفى شيحة بناءها في عهد المؤسس[69].

جامع ثعبات: وهو من إنشاءات الدولة الرسولية في عهد السلطان المجاهد وقد فرغ من بنائه عام (734هـ/1331م)[70]، وقد أوقف السلطان الأوقاف الجليلة عليه حتى قامت بكفاية المرتبين فيه والزائرين وظهر الجامع كمنشأة علمية كبيرة[71].

مسجد ابن أبي الخل: وهو مسجد بناه الفقيه أحمد بن الحسن بن أبي الخل المتوفى (690هـ/1290م) في مدينة حيس واشتهر هذا المسجد في ذلك العصر لوجود علماء متميزين فيه وقصده الطلاب من مناطق اليمن[72]، وبخلاف تلك المساجد فقد اشتهرت كثيراً من المساجد الأخرى التي لا يتسع المقام لتفصيلها، كالجامع الكبير بذي السفال وجامع تيشد، ومسجد البخاري الحضرمي بحيس ومسجد الخامري ومسجد ركيز، ومسجد فخرالدين أبي بكر بن رسول، ومسجد العلامة الشماخي، ومسجد المملاح، ومسجد الجامع الكبير بذي أشرق، ومسجد العسقلاني بعدن ومسجدٍ باعلوي بحضرموت، وجامع المنارة[73].

خامساً: الأدوار العلمية للمساجد وملحقاتها:

لم تقتصر المساجد في ذلك العصر على الجانب الديني كدور للعبادة والتعبد، فقد «كانت المساجد أهم المؤسسات التعليمية في ذلك العصر... ودراستها هو دراسة المكان الرئيس للحياة التعليمية والثقافية»[74]، وتشكلت تلك الأدوار العلمية للمسجد في ذلك العصر من خلال الآتي:

المكتبات الملحقة بالمساجد:

كانت «المساجد منذ بزوغ فجر الإسلام هي معقل التعليم الأول... وأصبحت مراكز فكرية هامة ومراكز للتعليم والتدريس، وقد كان وقف المصاحف هو النموذج الأول لوقف الكتب في المساجد ثم تعدى ذلك إلى وقف كتب التفسير والحديث والفقه واللغة وغيرها»[75]، كما كان للعلماء المشهورين في عصرهم مكاتب مخصصة في الجامع[76]، «وكانت المكتبة في الجامع تستقبل الكتب التي يتبرع بها المحسنون لإيقافها في الجامع بحكم مكانته الكبيرة لدى أهل العلم»[77]، وقد نالت تلك المكتبات آنذاك «اهتمام الملوك وأهل الثراء والعلماء وطلبة العلم فعملوا على إمدادها بالكتب والمؤلفات من جميع الأقطار فبعثوا العلماء والسفراء لجلبها»[78]، ويمكننا في هذا البحث الإشارة إلى بعض تلك المكتبات:

مكتبة جامع المظفر: وهي من المكتبات التي ألحقت بجامع المظفر واستمدت قيمتها في تقديري وحجمها من قيمة وحجم ذلك الجامع الذي وصف بالأعظم والمسجد الجديد([79])، و»تلك المكتبة التي جعلت في جامع المظفر وضمت كثير من الكتب القيمة لطلاب العلم»([80])، ومن المفيد الإشارة إلى هذه المكتبة في جامع المظفر قد لاقت اهتماماً كبيراً من قبل السلاطين وأهل العلم([81]).

مكتبة مسجد الأشاعر: وقد نال هذا المسجد عناية خاصة من قبل سلاطين بني رسول وأوقفوا عليه أوقافاً كثيرة([82])، ومن أوائل من أوقف الكتب على مكتبة جامع الأشاعرة الأمير شهاب الدين غازي بن المعمار (ت672هـ/1273م) من كبار أمراء المظفر والذي أوقف عدة كتب على هذا الجامع([83])، وكذلك فعل الأمير أبو بكر بن علي بن الرضى بن جعفر (ت بعد 724هـ/1323م) من أمراء السلطان المظفر وعين قارئاً للحديث في جامعي إب ومسجد الأشاعر وأوقف هذا الأمير عدة كتب لينتفع بها طلبة العلم في تحصيلهم([84])، ولم يقتصر الأمر على السلاطين والأمراء في رفد مكتبة جامع الأشاعر بالكتب النافعة، فقد امتد ذلك الوقف إلى وقف علماء الكتب لتلك الخزانة في جامع الأشاعرة فقد «قام العالم أبوبكر الضجاعي بوقف كتب عديدة منها ما هو من تأليفه ومنها ما استطاع جمعه، حيث قام بوقفها في جامع الأشاعر وقد تنوعت، فمنها ما هو فقهي ومنها ما هو حسابي، وكانت هذه الكتب من ذوات الثمن الغالي التي كتبت بماء الذهب»([85])، وكذلك الفقيه محمد بن عبدالرحمن الحضرمي وقف كتباً عديدة على هذا الجامع وكان من مبرزي عصره تخرج على يديه قرابة مائة مدرس من مدرسي تهامة والجبال([86])، وقد استفاد طلاب العلم كثيراً من كل الكتب التي ضمت إلى المكتبة الملحقة بهذا المسجد([87]).

مكتبة مسجد المغارب: كان به مكتبة ملحقة بها كتب متنوعة من علوم شتى كالفقه والحديث والتفسير والنحو وكانت متاحة لطلبة العلم للاستفادة منها بحسب ميولهم واهتماماتهم([88])، ولم يقتصر الاهتمام بمكتبات المساجد على النماذج التي ذكرناها فقد شملت الكثير من المساجد القائمة كمكتبة جامع الجند، ومكتبة جامع ذي أشرق، ومكتبة جامع سيف السنة بذي جبلة، ومكتبة مسجد أبي قفل([89]). ومما ينبغي الإشارة إليه عن المكتبات أنها أدت كذلك إلى ازدهار «صناعة الكتب ونسخها واشتغل بها العلماء والنساخ»([90])، والأمر الثاني «أن تلك المكتبات كانت في عمومها مقصداً لطلاب العلم... ونادراً ما كانوا يحرمون المستفيدين منها»([91])، ناهيك عن كون تلك المكتبات أسهمت في تثقيف وتعليم عدد من مشاهير الفقهاء واللغويين والمتكلمين والأطباء والمؤرخين وغيرهم من مختلف العلوم بحيث نستطيع وصف ذلك العصر بعصر النهضة المكتبية الذي أمدنا بالكم الضخم من المؤلفات والكتب المتعددة المعارف([92]).

الحلقات العلمية في المساجد:

كانت أكثر منابر المعرفة والتعليم بساطة وقُرباً من الناس ويستطيع عامة الناس الالتحاق بها وإلحاق أبنائهم دون شروط معينة أو سن معينة([93])، «فنهضت الحركة العلمية بشكل لافت النظر،

وبدأت الحلقات العلمية تنتشر في كثير من مراكز العلم في الدولة الرسولية، فعندما يبنى مسجد في مدينة أو قرية تقام فيه الحلقات الواحدة تلو الأخرى»[94]، وكانت تلك الحلقات على نوعين:

الحلقات المسجدية الدائمة: وهي تلك الحلقات التدريسية التي يعقدها العالم أو الشيخ في مسجد محدد بشكل دائم، ويذكر البريهي (ت904هـ/1498م) في سياق ترجمته للفقيه عفيف الدين ما نصه: «والتزم قاعدة العلماء بالمواظبة على التدريس والفتوى»[95]، وهذا النوع من الحلقات كان السائد في اليمن إبان الحكم الرسولي كانت تضم حلقات التدريس الدائمة الفقه لمختلف المذاهب وحلقات أخرى تعنى بحفظ القرآن الكريم وعلم الحديث والنحو والفرائض[96]، «فكان العالم أو الفقيه يتخذ من مسجد معين مقراً لنشر علمه ويكون ذلك طيلة حياته»[97]، بل تورد المصادر أن بعض الأسر كانت تتوارث التدريس في مسجد محدد[98]، «ومن أشهر الحلقات الدراسية في ذلك العصر حلقة الشيخ محمد بن أبي بكر الأصبحي صاحب كتاب المعين بلغ مجموع طلبتها نحو ثلاثمائة طالب حتى ضاقت بهم مضعة سير فرحل بهم إلى إب»[99]، وكذلك العلامة أبو الحسن علي بن قاسم العليف (ت640هـ/1243م)، ويتحدث الخزرجي نقلاً عن الجندي عن حلقة هذا الشيخ بقوله: «قال الجندي: ولقد أخبرني الثقة أنه خرج في درسه ستون مدرساً»[100]، وهذه الإشارة من الجندي تعكس حجم الدور العلمي الذي تؤديه تلك الحلقات الدائمة سواء من حيث حجم الملتحقين بها أو المتخرجين منها. ومما ينبغي الإشارة إليه عن دور تلك الحلقات كذلك مسألة التسامح المذهبي في تلك الحلقات «فعلى سبيل المثال كانت المساجد التي توجد في المراكز العلمية المشهورة وذات الاتصال الشديد بالخارج مثل مساجد مدينة زبيد وعدن تحوي العديد من الحلقات المتعددة لأتباع المذهبين الحنفي والشافعي»[101].

الحلقات المسجدية الطارئة (المؤقتة): وهي حلقات ترتبط بالوافدين من العلماء المشهورين الذين يقصدون اليمن من خارج اليمن، وحتى القادمين من مناطق بعيدة في اليمن «وكانت غالب هذه الحلقات تعقد في المساجد»[102]، و»بالنسبة للمساجد كانت تعقد في مختلف الأوقات وخاصة بعد أوقات الصلاة، وساهمت الحلقات التي كانت تعقد ليلاً وقت فراغ الناس من أعمالهم في تعليم وتثقيف من كان يحضرها»[103]، ومن أولئك من التحق في تلك الحلقات في سن متأخرة من عمره، فهذا الخزرجي يشير إلى مثل ذلك في سياق ترجمته للفقيه أبو العباس الوزيري بقوله: «نشأ نشوء البدو ولم يشتغل بشيء من العلم حتى بلغ عمره أربعين سنة... وعنه أخذ جماعة كثيرون منهم ابن النحوي وابن الحبانه من أهل تعز وحسن بن علي من أهل إب وغيرهم»[104]. وما يلاحظ على هذا النوع من الحلقات أنها كانت تعقد في المساجد الكبرى في زبيد وتعز وإب والجند وعدن، «أما القرى فكانت غالباً لا تشارك في إقامة مثل هذه الحلقات لقلة علمائها وطلابها ولأن غالبية العلماء هم من قاطني تلك المدن الكبيرة»[105].

المعلامات (الكتاتيب):

وهي الغرفة أو المكان الذي يتم فيه تعليم الصغار وتلقينهم أبجديات التعُلم الأولى ويتم فيها تحفيظهم القرآن الكريم وعلوم الحديث «وقد وُجدت الكتاتيب إما ملحقة بالمسجد

أو المدرسة»([106])، لاسيما «في القرى البعيدة القليلة السكان فكانت الكتاتيب عموماً تلحق بالمسجد»([107])، وكان الواقف يشترط تعليم مجموعة من الأيتام فيتعلمون القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وشيئاً من العقيدة وهؤلاء الأطفال لا تكون عليهم أجرة نظير تعليمهم، إنما يشملهم الوقف، بينما القسم الثاني من الأطفال فهم يلتحقون بالمسجد بمكان يسمى المعلامة»([108]). ومما سبق يتضح، أن تلك المعلامة كانت على نوعين، معلامات يعتني بها مؤسسوها ويلتزمون بتوفير متطلباتها بما فيها أجر المعلم ويكون في الغالب تلاميذها من الأيتام([109])، والنوع الثاني من هذه المعلامات وهي المعلامات العامة وروادها ليسوا من الفئات المحرومة سالفة الذكر، وإنما يتولى تكاليف وأجور المعلامات أولياء أمور الطلبة، ويعرف بمعلم الصبيان([110]). ومما يجدر الإشارة إليه أن تلك المعلامات أدت دوراً تربوياً ومعرفياً هاماً في ذلك العصر باعتبارها شكلت المحضن الأول للتعلم أو المرحلة الأولى المؤهلة للمراحل التالية، وكونها أكسبت الأطفال تعلُّم القراءة والكتابة والقرآن وبعضاً من العقيدة والمواد الشرعية، وقد أدرك الكثير من العلماء أهمية الدور المحوري لتلك المعلامات فخصصوا أجزاء كبيرة من جهدهم وأوقاتهم لنشر التعليم في تلك الحلقات في ذلك العصر([111])، واشتهرت العديد من المعلامات في العصر الرسولي لا يتسع المقام لتفصيلها([112]).

دور العلماء في بناء المساجد:

«يعد العلماء جزءاً مهماً في المجتمع اليمني في العصر الرسولي»([113])، وساهمت هذه الفئة في أطوار البناء الحضاري في تلك الحقبة الزاهرة ولم تقتصر مساهماتهم في تعمير تلك المساجد والمدارس المسجدية في عقد الحلقات والخطابة وتزويدها بمصنفاتهم، بل تعدت ذلك إلى المشاركة في بناء تلك المساجد، ومنهم الفقيه أحمد بن عمر بن عبدالصمد بن أبي الحياد الذي كان يلقب بركيز الذي ابتنى مسجد ركيز في مدينة حيس([114])، ويورد الجندي، أن الفقيه إبراهيم بن علي بن عمر بن عجيل (ت640هـ/1498م) ابتنى مسجداً ومدرسة في بيت عجيل([115])، وذكر البريهي (ت904هـ/1498م) في سياق ترجمته للفقيه عفيف الدين عبدالله بن سليمان البغش أنه «عمر مسجداً بالقرية التي يسكنها»([116])، ومنهم الفقيه أبو عبدالله محمد بن اسماعيل الحضرمي (ت803هـ/1400م) الذي ابتنى في المهجم مسجداً ونُسب إليه([117])، «ومن العلماء الذين أسهموا في بناء المساجد مسجد صغير للحسام الزاهر الخولاني بناه سنة 774هـ/1373م»([118])، ويذكر الجندي أن الفقيه محمد بن موسى بن الحسين القريظي ابتنى الجامع في قرية آبة العليا([119])، ويذكر صاحب طبقات الخواص، أن أبو عبدالله محمد بن عيسى بن أحمد الزيلعي (ت787هـ/1385م) قام ببنا مسجد لقريته ووسع فيه رغم فقره([120])، وما ذكرناه سابقاً هي نماذج فقط من أدوار العلماء في بناء المساجد في ذلك العصر، ومن العلماء من وسّع مساجد كانت قائمة وزاد فيها، ومنهم الفقيه الصالح جمال الدين محمد بن حسن البريهي (803هـ/1400م) «ولي بناية الجامع المبارك بمدينة إب سنين كثيرة فعمره عمارة جيدة وأصلح ما تشعب منه أحسن صلاح»([121])، وكذلك قاسم بن أحمد اليحوي (ت818هـ/1415م)، الذي أشرف على بنيان الزيادة في مسجد وقير وعمارة ما تخرب منه([122])، والفقيه علي بن طاهر بن علي «الذي قام ببناء الجناح الشرقي

والمؤخرة لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم في مدينة عدن وأوقف عليه مواضع في بلده»[123].

وعليه يمكننا القول: أن المسجد في عصر الدولة الرسولية كان يمثل أحد أوجه النهوض الحضاري سواءً في بنيانه الذي تفنن المعمار الرسولي في إنجازه وتشييد مرفقاته، أو في التوسع الأفقي في بناء تلك المساجد على امتداد خارطة اليمن الجغرافية بحيث غطت المدن والقرى، فضلاً عن تلك الأدوار التي أداها المسجد وملحقاته كالمكتبات المسجدية واحتوائها على نفائس المؤلفات في ذلك العهد، بالإضافة إلى تلك الحلقات العلمية بوجهيها الدائم والمؤقت والتي كانت المنبر الأوسع لنشر المعرفة في ذلك العصر بمختلف صنوفها سواءً للعلماء اليمنيين أو للعلماء الوافدين، ناهيك عن مركزية الدور للعلماء رواد تلك المساجد في تعمير تلك المساجد بالتدريس والتأليف وصولاً إلى مشاركتهم المباشرة في بناء تلك المساجد وتوسعة ما كان قائماً جنباً إلى جنب مع بقية فئات المجتمع الرسولي وفي مقدمتهم السلاطين أنفسهم.

الخاتمة:

خلُص البحث إلى جملة من النتائج، منها ما أوردناه في سياقات البحث، ومنه ما نثبته هنا كالآتي:

- بيّن البحث الفرق بين المدرسة وبين المسجد من الناحية المعمارية والوظيفية.
- بيّن البحث أن المدارس المسجدية هي التي تجمع بين المسجد والمدرسة في مكان واحد.
- كشف البحث عن حرص سلاطين بني رسول على بناء المساجد لتثبيت سلطتهم والدعاء لهم.
- يُعد العصر الرسولي عصر انتشار المساجد في غالب المدن والقرى.
- لم يكن بناء المساجد حكراً على السلاطين فقد شاركهم البناء للمساجد أولادهم ووزرائهم وأمراؤهم ونساؤهم ومواليهم وسراة اليمن وأعيانها.
- بين البحث أن بناء المساجد كان بدافع الحافز الديني كأولوية لمؤسسيها.
- شكل الحافز السياسي للمنشآت الدينية هماً رئيسياً، فقد كان المسجد عنوان الدولة والحاكم رغبة في تثبيت ملكهم وتقرباً للرعية.
- من الحوافز الهامة لنشأة تلك المساجد رقي المستوى الثقافي والعلمي للسلاطين وأبنائهم ونسائهم.
- من دوافع التوسع في خارطة بناء المساجد خلق حالة من التوازن المذهبي مع الزيدية في اليمن الأعلى لبث روح التسامح والتعايش المذهبي.
- بيّن البحث مدى تأثير معمار المساجد على المعمار اليمني بشكل عام.
- ساهم التعدد الوظيفي للقباب في دفع المهندس المعماري اليمني إلى تجويد لمساته الإبداعية بإضافة الزخارف البنائية والهندسية.
- بيّن البحث أن تعدد أشكال مآذن ذلك العصر وفخامة معمارها انبثق من المسجد وموقعه الجغرافي واهتمام الحاكم به.

- حرص سلاطين الدولة الرسولية على فخامة وجودة أبواب المساجد ومداخلها كتعبير عن ازدهار عصرهم.
- تتبع البحث أشهر المساجد في ذلك العصر التي انتشرت بحسب الموقع الجغرافي والكثافة السكانية.
- شكلت المساجد المشهورة في ذلك العصر في بنيتها المعمارية وأدوارها الحضارية أحد معالم النهوض الحضاري للدولة الرسولية.
- حرص سلاطين الدولة الرسولية ومؤسسيها على ديمومة الدور العلمي والمعرفي لتلك المساجد بتوفير أوقاف دائمة ومتجددة لتسيير أنشطة تلك المساجد وتوفير رواتب القائمين عليها.
- تعددت مرافق تلك المساجد بحسب دور المسجد وحجمه والوافدين إليه.
- شكلت المكتبات الملحقة بالمسجد أحد الصور البارزة للدور العلمي للمساجد والمدارس المسجدية.
- توافرت لتلك المكتبات المسجدية نفائس الكتب والمؤلفات المعاصرة والتي جاءت بفعل تبرعات السلاطين والوزراء والعلماء وغيرهم.
- شكلت تلك المكتبات مقصداً لطلاب العلم من كل المدن والقرى ولا يحجبهم عنها حاجب.
- بين البحث الدور العلمي البارز للحلقات العلمية للعلماء في تلك المساجد.
- انقسمت الحلقات العلمية للعلماء في تلك المساجد إلى مؤقتة ودائمة.
- ساهمت تلك الحلقات في تعزيز ثقافة التسامح المذهبي والتعايش في اليمن.
- بيّن البحث أن الحلقات المؤقتة (الطارئة) ارتبطت بدرجة أساسية بالوافدين من العلماء.
- بين البحث تعدد أدوار العلماء في المساجد ومنها مساهمتهم المباشرة في بناء المساجد ورعايتها.
- بينت الدراسة مدى ارتباط العلماء بحلقات المساجد ومنهم من أفنى عمره في تلك الحلقات.

الملاحـق:

مسقط أفقي للمدرسة الأشرفية – تعز الطابق الأول والثاني

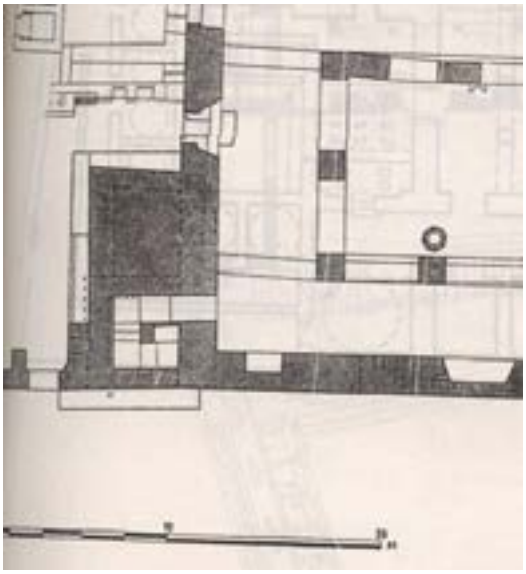

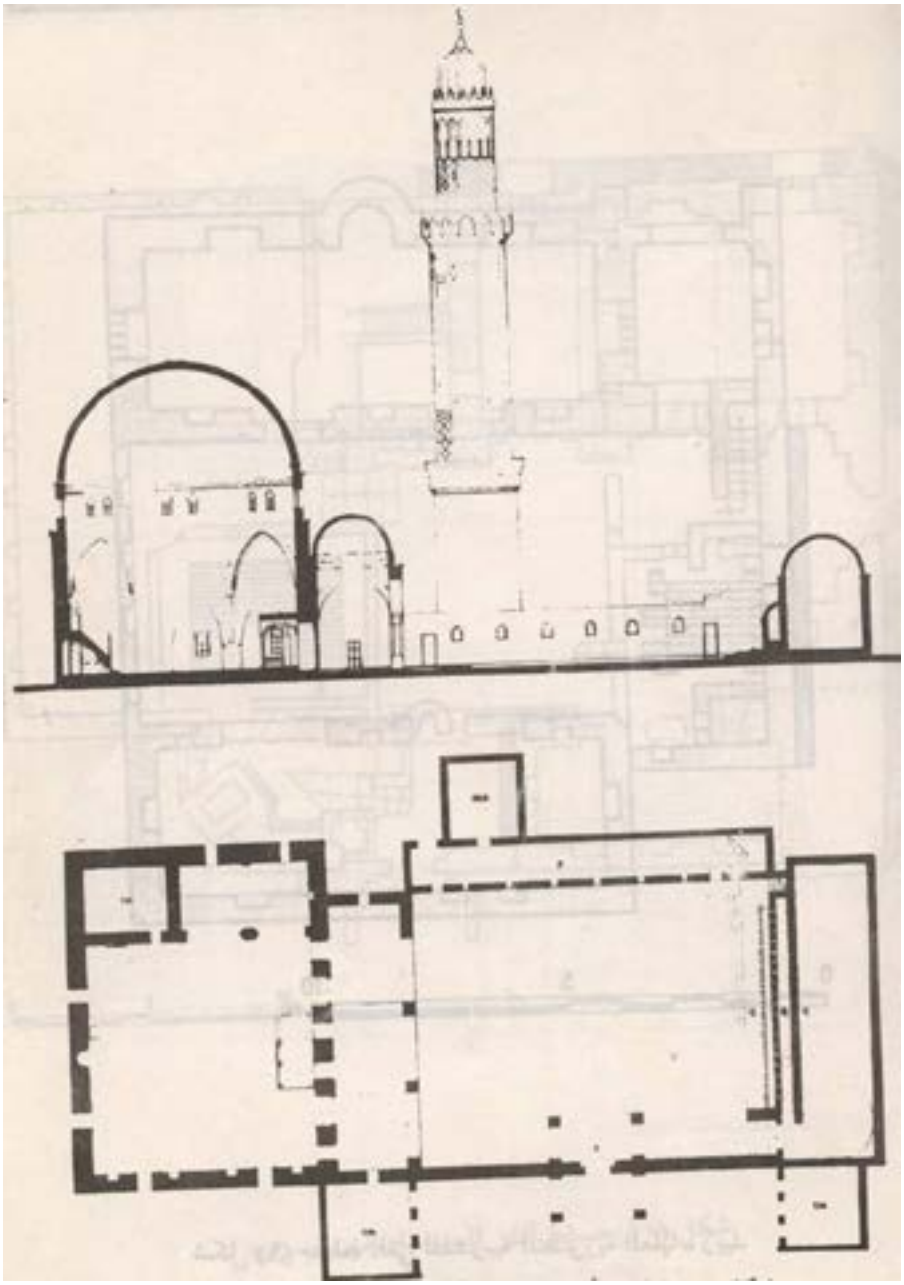

ينظر: سيف النصر: المدارس اليمنية، ص921، 431

لوحة (١) المدرسة المظفرية ـ الواجهة الشمالية ـ تعز

لوحة (٢) المدرسة الأشرفية ـ الواجهة الغربية ـ تعز

ينظر: سيف النصر: المدارس اليمنية، ص129، 134

لوحة (١٧) المدرسة الفرحانية ـ واجهة بيت الصلاة

ينظر: سيف النصر: المدارس اليمنية، ص142

الهوامش:

(1) السباعي، مكي بن نسيب، مكتبات المساجد دراسة تاريخية، ترجمة هاشم فرحات ومحمد وندور، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض 2006م، ص27.

(2) سورة التوبة، الآية 18.

(3) سورة البقرة، الآية 14.

(4) المدارس الإسلامية في اليمن، دار الفكر، دمشق 1980، ص7 (هامش المقدمة)، وينظر: السنيدي، عبدالعزيز بن راشد: المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية، د.ك، 2003م، ص ص44-43.

(5) قائد حميد عثمان، الرسوليون موطنهم... نسبهم وبواكير دولتهم، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2003م، ص15.

(6) محمد سعيد شكري، في التاريخ السياسي للدولة الرسولية، بحث منشور في كتاب الندوة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2003، ص32. وينظر: الأشرف، إسماعيل بن العباس (ت803هـ/1400م)، فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على إثر التبابعة ملوك العصر والزمن (الباب الرابع)، تحقيق: علي حسن عمر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، عمان 1997م، ص ص44-43.

(7) ينظر: الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف (ت732هـ/1231م)، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 1989، ج2، ص547، 552-551.، ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت944هـ/1537م)، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ط2، تح محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء 1989م، ص312، 348.

(8) فاروق أحمد حيدر، التعليم في اليمن في عهد بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، إصدارات جامعة صنعاء، صنعاء 2004م، ص114.

(9) ينظر: الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت812هـ/1409م)، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط2، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء 1983م، ص82؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص312، فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص114.

(10) نفس المرجع، ونفس الصفحة.

(11) الخزرجي، العقود اللؤلؤية 1/233.

(12) ينظر: ابن الديبع، قرة العيون، ص335؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية 1/233.

(13) ينظر: ابن الديبع، قرة العيون، ص348؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية 1/285.

(14) فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص119.

(15) المدارس الإسلامية، ص7 (مقدمة المؤلف).

(16) العقود اللؤلؤية 2/1001؛ وينظر نفس المصدر 1/357؛ رابضه، أحمد صالح، عن تاريخ المدرسة الياقوتية في عدن، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2003م، ص233؛ فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص118.

(17) ينظر: السنيدي، عبدالعزيز بن راشد، المدارس اليمنية، ص48.

(18) علي سيف حسن، المسجد وأثره على العمارة والفنون الإسلامية، الإكليل، ع26، وزارة الثقافة اليمنية، صيف 2002م، ص63.

(19) ينظر: الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت812هـ/1409م)، العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوطة مصورة، نشر وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء 1981م، ص404، 461؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص335.

(20) فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص114.

(21) علي سيف حسن، المسجد وأثره على العمارة، ص63.

(22) أي المساجد.

(23) التعليم في اليمن، ص114.

(24) ينظر: الخزرجي، العقود 1/2330؛ السباعي، مكتبات المساجد، ص47؛ فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص ص115-114.

(25) بركات، علي عبدالكريم محمد، الصلات الحضارية والفكرية بين اليمن والبلاد الإسلامية (626-858هـ/ 1454-1229م) مصر والحجاز أنموذجاً، دار مرايا للنشر والتوزيع، دبي 2023م، ص107

(26) ينظر: فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص ص60-59.

(27) السنيدي، المدارس اليمنية، ص48.

(28) ينظر: الخزرجي، العقود 233-1/232، 2/260؛ فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص114.

(29) عبدالكريم قاسم، الفكر التنويري الحديث في اليمن، جذوره وتأثيراته عربياً وإسلامياً، بحث مقدم لندوة الايسسكو، صنعاء 2004م، ص5.

(30) نفس المرجع ونفس الصفحة.

(31) ينظر: الجندي، السلوك 113-2/112؛ اسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية، ص7؛ عبدالكريم قاسم، الفكر التنويري، ص5.

(32) ينظر: الجندي، السلوك 2/576؛ فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص118.

(33) ينظر: الأغبري، بدر سعيد، عوامل ازدهار التعليم في عصر الدولة الرسولية، بحث مقدم لندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، جامعة عدن، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2003م، ص ص216-215.

(34) محمد سيف النصر، المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية، الإكليل، ع1، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء 1985م، ص103.

(35) فاروق حيدر، التعليم في اليمن، ص114.

(36) سيف النصر، المدارس اليمنية، ص117.
(37) نفس المرجع، ص ص104-103.
(38) ينظر: إسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية، ص219، 220؛ سيف النصر، المدارس اليمنية، ص104؛ السنيدي، المدارس اليمنية، ص373.
(39) ينظر: علي سيف حسن، المسجد وأثره على العمارة، ص67.
(40) ينظر: سيف النصر، المدارس اليمنية، ص104.
(41) علي سيف حسن، المسجد وأثره على العمارة، ص68.
(42) العقود اللؤلؤية 2/136، وينظر: ابن الديبع، قرة العيون، ص376؛ نهى صادق، المؤرخ الخزرجي وعمله في زخرفة العمائر، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء 2002م، ص209.
(43) ينظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية 2/260.
(44) للمزيد عن الفناء والعقود، ينظر: علي سيف حسن، المسجد وأثره على العمارة، ص66؛ سيف النصر، المدارس اليمنية، ص104.
(45) علي سيف حسن، المسجد وأثره على العمارة، ص67.
(46) عن وظيفة المحراب في الإسلام، ينظر: أحمد فكري، المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة 1961م، ص54.
(47) العقود اللؤلؤية 2/260، وينظر: نهى صادق، المؤرخ الخزرجي، ص209.
(48) ينظر: إسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية، ص28؛ سيف النصر، المدارس اليمنية، ص111.
(49) للاستزادة عن ذلك ينظر: الأفضل، العباس بن علي الرسولي (778هـ/137م)، العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد الخامري، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء 2004م، ص692؛ الخزرجي، العقود اللؤلؤية 2/260؛ سيف النصر، المدارس اليمنية، ص110.
(50) ينظر: الأشرف، يوسف بن عمر الرسولي (ت694هـ/1294م)، المخترع في فنون من الصنع، تح: محمد عيسى صالحية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت 1989م، ص18.
(51) المطيري، محمد بن نوح بن ثامر، أثر المساجد في الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، 2008م، ص73.
(52) التعليم في اليمن في عهد بني رسول، ص114.
(53) ينظر: ابن الديبع، قرة العيون، ص382.، نفسه، الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق: يوسف شلحد، دار العودة، بيروت 1983م، ص104.
(54) حماد، أسامة أحمد، مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبني رسول)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 2004م، ص831.
(55) المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية في اليمن، ص73.
(56) ينظر: الفضل المزيد، ص91.، أسامة حماد، مظاهر الحضارة، ص831.

(57) العقود اللؤلؤية 1/232.

(58) ينظر: أسامة حماد، مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن، ص831.

(59) ينظر: نفس المرجع، ص 825.

(60) المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية في اليمن، ص75.

(61) ينظر: بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت947هـ/1450م)، تاريخ ثغر عدن، ط2، تحقيق: اوسكار لوفجرين، منشورات المدينة، بيروت 1986م، ص218.

(62) الخزرجي، العقود اللؤلؤية 2/238.

(63) المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية في اليمن، ص77.

(64) أسامة حماد، مظاهر الحضارة في اليمن، ص823.

(65) ينظر: شيحة، مصطفى، المدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية، وكالة اسكرين للدعاية والتجهيز الفني، ط1، 1987م، ص38.

(66) العقود اللؤلؤية 2/187.

(67) ينظر: ابن الديبع، قرة العيون، ص398.

(68) أسامة حماد، مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن، ص829.، وينظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية 1/179.، مصطفى شيحة، مدخل إلى العمارة والفنون، ص58.

(69) عن ذلك الترجيح ينظر: نفس المرجع، ص60.، أسامة حماد، مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن، ص831-830.

(70) ينظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية 2/59، 107-106.، المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية، ص79.

(71) ينظر: علي بن علي حسين أحمد، الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر بني رسول، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1994م، ص233.

(72) ينظر: المطيري، أثر المساجد على الحياة العلمية، ص80.

(73) عن تلك المساجد ينظر: أسامة حماد، مظاهر الحضارة الإسلامية، ص ص839-812.، المطيري، أثر المساجد على الحياة العلمية، ص74.

(74) فاروق حيدر، التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول، ص112.

(75) القحطاني، سعيد منصور مرعي، اسهامات الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 2004م، ص164.

(76) ينظر: الحضرمي، عبدالرحمن بن عبدالله، زبيد ومساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، المركز الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، د.ط، 2000م، ص52.

(77) المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية، ص204.

(78) فاروق حيدر، التعليم في عهد بني رسول، ص129.

(79) ينظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية 1/232.، ابن الديبع، الفضل المزيد، ص91.

(80) المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية، ص203.

(81) ينظر: زكريا، محمد، مساجد اليمن نشأتها – تطورها- خصائصها، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء 1998م، ص44.

(82) ينظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية 1/163، 2/290.، بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص ص219-218.

(83) ينظر: الجندي، السلوك 2/571.، بامخرمة، تاريخ ثغر عدن، ص218.، الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت812هـ/1409م)، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، دراسة وتحقيق جميل أحمد سعد الأشول، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، صنعاء2006م، ص ص99-98.

(84) ينظر: الجندي، السلوك 2/165.

(85) المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية، ص205.، وينظر: السخاوي، محمد بن عبدالرحمن (ت902هـ/1497م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت 1992م، مجلد 6، 11/28.

(86) ينظر: الجندي، السلوك 2/366-367.

(87) ينظر: نفس المصدر 2/571.

(88) ينظر: المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية، ص205.

(89) عنها ينظر: الجندي، السلوك 1/275.، بامخرمة، تاريخ ثغر عدن 58-54.

(90) فاروق حيدر، التعليم في عهد بني رسول، ص129.

(91) الحبشي، حياة الأدب في عصر بني رسول، ص70.

(92) ينظر: فاروق حيدر، التعليم في عهد بني رسول، ص129.

(93) ينظر: الخزرجي، العقود اللؤلؤية 2/131.، فاروق حيدر، التعليم في عصر بني رسول،ص ص135-134.

(94) المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية، ص144.

(95) طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء 1994م، ص54.

(96) ينظر: اسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية، ص97.، فاروق حيدر، التعليم في عهد بني رسول، ص135.

(97) المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية، ص147.

(98) ينظر: الجندي، السلوك 2/169، 175، 181.، الخزرجي، العقود اللؤلؤية 1/135.

(99) الحبشي، حياة الأدب، ص83.

(100) العقود اللؤلؤية 1/71.

(101) فاروق حيدر، التعليم في عهد بني رسول، ص115.

(102) المطيري، أثر المساجد على الحياة العلمية، ص151.

(103) فاروق حيدر، التعليم في عهد بني رسول، ص135.

(104) العقود اللؤلؤية 1/131.

(105) المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية، ص153.

(106) فاروق حيدر، التعليم في عهد بني رسول، ص111.، وينظر: الجندي، السلوك 1/550.، الأكوع، المدارس الإسلامية، ص76.

(107) فاروق حيدر، التعليم في عهد بني رسول، ص111.

(108) المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية، ص136.

(109) ينظر: الجندي، السلوك 2/408.، علي بن علي، الحياة العلمية في تعز، ص299.

(110) ينظر: المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية، ص ص137-136.، فاروق حيدر، التعليم في عهد بني رسول، ص117.

(111) ينظر: الجندي، السلوك 2/327.

(112) عن تلك المعلامات ينظر: اسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية، ص94.، المطيري، أثر المساجد في الحياة العلمية، ص139.

(113) المعلمي، محمد عبدالله محمد، دور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الدولة الرسولية (858-626هـ/1454-1228م)، أطروحة دكتوراه، جامعة صنعاء، صنعاء 2009م، ص164.

(114) ينظر: الحداد، حيس اليمنية آثارها وتاريخها، ص184.

(115) ينظر: السلوك 415-1/414.

(116) طبقات صلحاء اليمن، ص130.

(117) ينظر: الجندي، السلوك 115-2/42، 137.، المعلمي، دور العلماء في الحياة السياسية، ص183.

(118) نفس المرجع، ونفس الصفحة.

(119) ينظر: السلوك 2/440.

(120) ينظر: الشرجي، ص ص192-191.

(121) البريهي، طبقات صلحاء اليمن، ص88.

(122) ينظر: إسماعيل الأكوع، المدارس الإسلامية، ص159.، المعلمي، دور العلماء في الحياة السياسية، ص184.

(123) نفس المرجع، ص185.

المصادر والمراجع:

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: المصادر:

الأشرف، إسماعيل بن العباس (ت583هـ/1400م):

(1) فاكهة الزمن ومفاكهة الآداب والفنن في أخبار من ملك اليمن على إثر التبابعة ملوك العصر والزمن (الباب الرابع)، تحقيق: علي حسن عمر، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، عمان 1997م.

(2) الأشرف، يوسف بن عُمر (ت694هـ/1294م):

(3) المخترع في فنون من الصنع، تح: محمد عيسى صالحية، مؤسسة الشراع العربي، الكويت 1989م.

(4) الأفضل، العباس بن علي بن داوود (ت778هـ/1377م):

(5) العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية، تح: عبدالواحد الخامري، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء 2004م

(6) بامخرمة، أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت947هـ/1450م):

(7) تاريخ ثغر عدن، ط2، تحقيق اوسكار لوفجرين، منشورات المدينة، بيروت 1986م.

(8) البريهي، عبدالوهاب بن عبدالرحمن (ت904هـ/1498م):

(9) طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء 1994م.

(10) الجندي، أبو عبدالله بهاء الدين محمد بن يوسف (ت732هـ/1231م):

(11) السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء 1983م، الجزء الأول.

(12) السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت 1989م، الجزء الثاني.

(13) الخزرجي، موفق الدين أبو الحسن علي بن الحسن (ت812هـ/1409م):

(14) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، ط2، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء 1983م.

(15) العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك، مخطوطة مصورة، نشر وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء 1981م.

(16) العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن، دراسة وتحقيق جميل أحمد مسعد الأشول، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة صنعاء، صنعاء 2006م.

(17) ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني (ت944هـ/1537م):

(18) قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ط2، تح محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث، صنعاء 1989م.

(19) الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد، تحقيق: يوسف شلحد، دار العودة، بيروت 1983م.
(20) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت902هـ/1496م):
(21) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج11، دار الجيل، بيروت 1992م.
(22) ثالثاً: المراجع:
(23) الأغبري، بدر سعيد:
(24) عوامل ازدهار التعليم في عصر الدولة الرسولية، بحث مقدم لندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، جامعة عدن، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2003م.
(25) الأكوع، إسماعيل بن علي:
(26) المدارس الإسلامية في اليمن، دار الفكر، دمشق 1980م.
(27) بركات، علي عبدالكريم محمد:
(28) الصلات الحضارية والفكرية بين اليمن والبلاد الإسلامية (858-626هـ/ 1454-1229م) مصر والحجاز أنموذجاً، دار مرايا للنشر والتوزيع، دبي 2023م.
(29) الحبشي، عبدالله محمد:
(30) حياة الأدب في عصر بني رسول، ط2، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء 1980م.
(31) الحضرمي، عبدالرحمن عبدالله:
(32) زبيد ومساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ، المركز الفرنسي للدراسات العربية، دمشق 2000م.
(33) حماد، أسامة:
(34) مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبني رسول)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية 2004م.
(35) حسن، علي سيف:
(36) المسجد وأثره على العمارة والفنون الإسلامية، الإكليل، ع26، وزارة الثقافة اليمنية، صيف 2002م.
(37) حيدر، فاروق أحمد:
(38) التعليم في اليمن في عهد بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين، إصدارات جامعة صنعاء، صنعاء 2004م.
(39) رابضة، أحمد صالح:
(40) عن تاريخ المدرسة الياقوتية في عدن، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2003م.
(41) زكريا، محمد:

(42) مساجد اليمن نشأتها – تطورها– خصائصها، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء 1998م.
(43) السباعي، مكي بن نسيب:
(44) مكتبات المساجد دراسة تاريخية، ترجمة هاشم فرحات ومحمد وندور، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض 2006م.
(45) السنيدي، عبدالعزيز بن راشد:
(46) المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية، د.ك، 2003م.
(47) شكري، محمد سعيد:
(48) في التاريخ السياسي للدولة الرسولية، بحث منشور في كتاب الندوة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2003م.
(49) شيحة، مصطفى:
(50) المدخل إلى العمارة والفنون الإسلامية في الجمهورية العربية اليمنية، وكالة اسكرين للدعاية والتجهيز الفني، ط1، د.ك، 1987م.
(51) علي بن علي حسين:
(52) الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر بني رسول، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 1994م.
(53) عثمان، قائد حميد:
(54) الرسوليون موطنهم... نسبهم وبواكير دولتهم، بحث منشور في كتاب ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، عدن 2003م.
(55) فكري، أحمد:
(56) المدخل إلى مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف، القاهرة 1961م.
(57) قاسم، عبدالكريم:
(58) الفكر التنويري الحديث في اليمن، جذوره وتأثيراته عربياً وإسلامياً، بحث مقدم لندوة الايسسكو، صنعاء 2004م.
(59) القحطاني، سعيد منصور مرعي:
(60) إسهامات الوقف في دعم الحركة العلمية في القرن السابع الهجري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة 2004م.
(61) المطيري، محمد بن نوح بن ثامر:
(62) أثر المساجد في الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض 2008م.
(63) المعلمي، محمد عبدالله محمد:
(64) دور العلماء في الحياة السياسية والاجتماعية في عصر الدولة الرسولية (858-626هـ/-1229 1454م)، أطروحة دكتوراه، جامعة صنعاء، صنعاء 2009م.

(65) النصر، محمد سيف:

(66) المدارس اليمنية تخطيطاتها وعناصرها المعمارية، الإكليل، ع1، وزارة الإعلام والثقافة، صنعاء 1985م.

(67) نهى صادق:

(68) المؤرخ الخزرجي وعمله في زخرفة العمائر، بحث منشور في كتاب دراسات في تاريخ اليمن الإسلامي، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، صنعاء 2002م.

مقاربة أولية لمعضلة زارح الكوشي

د. خالد محمد فرح

سفير السودان بفرنسا - وزارة الخارجية السودانية

مستخلص:

يسعى هذا المقال إلى اجتراح مقاربة اولية لشخصية سودانية قديمة (كوشية) غامضة جدا، هي شخصية " زارح الكوشي "، الذي ورد ذكره في سفر أخبار الايام الثاني في العهد القديم من الكتاب المقدس. يحاول الباحث من خلال هذا المقال، التعرف على هوية زارح الكوشي، كما يحاول مناقشة تاريخيّة وجوده، عبر جملة من المعطيات والقرائن المتاحة، فضلاً عن محاولة وضعه في السياق التاريخي المناسب، من خلال الاحداث التي يسردها ذلك السفر المعني من الكتاب المقدس مرتبطة بهذه الشخصية بالتحديد، بالإضافة إلى بعض البينات الظرفية التي توفرها سجلات التاريخ الوضعي العام، المتعلق ببلاد كوش، او مصر، او مملكة العبرانيين بارض كنعان، في حوالي القرن التاسع قبل الميلاد.ينطلق المقال من فرضية او قناعة لدى الباحث مفادها هو أن أسفار الكتاب المقدس، ينبغي ان تعتمد بجدية كاحد مصادر تاريخ السودان القديم، ذلك بانها قد اشتملت بالفعل على بعض المعلومات التاريخية النادرة ذات الصلة ببلاد. " كوش "، مثل اشارة سفر اخبار الملوك الثاني على سبيل المثال إلى " ترهاقا ملك كوش " الذي قاد جيشا حارب به الآشوريين دفاعا عن العبرانيين منذ ان كان اميرا في اواخر القرن الثامن قبل الميلاد، واستمر نشاطه العسكري هناك بعد ان صار ملكا على وادي النيل كله، إلى ان تم دحر قواته بواسطة الآشوريين وانسحابه من مصر نفسها، مما اضطرّه إلى الانسحاب ،فقفل عائداً إلى عاصمته نبته بشمال السودان، وهي المعلومة التي عضدتها مصادر التاريخ الوضعي في آشور ومصر الفرعونية، في عهد الاسرة الخامسة والعشرين التي تعرف باسم الاسرة الكوشية. وتأسيسا على ذلك، يحاجج المقال في ذات السياق، ان " زارح الكوشي "، ربما كان اميرا او ملكاً كوشياً سابقاً في الظهور والحكم والنشاط العسكري في بلاد الشام، من قبل الملك تهارقا بنحو قرنين من الزمان. يتبع المقال المنهج التاريخيّ الاستقرائي والاستنباطي والتحليلي للمعلومات والإشارات المتوفرة حول زارح الكوشي وزمانه، كما يعتمد على قرائن الاحوال والحس السليم والبينات الظرفية.

الكلمات مفتاحية: زارح الكوشي، العهد القديم، سفر اخبار الأيام الثاني، الفرعون اوسركون، الاسر الليبية الفرعونية، الاسرة الكوشية في مصر، التراث الكوشي في سجلات البلاط الحبشي.

A preliminary approach to the problematic of Zarih the Kushite

Dr.Khalid Mohamed Farah

Abstract:

This article seeks to propose an initial approach to a very mysterious ancient Sudanese (Kushite) character, the character of "Zareh the Kushite ", mentioned in the Book of Chronicles 2, in the Old Testament of the Bible. Through this article, the researcher tries to scrutinise the identity of Zareh the Kushite , and also tries to discuss the historicity of his existence, through a number of relevant available data and evidence, as well as trying to put this character in its appropriate historical context, through the events narrated in that book of the Old Testament of the Holy Bible related to this particular character, in addition to some circumstantial evidence provided by the records of the general secular history, related to the countries of Kush, Egypt, or the Kingdom of the Hebrews in the country of Kanaan, around the ninth century BC. The article departs from the researcher's hypothesis or conviction that the books of the Bible should be adopted in earnest, as one of the sources of the ancient history of Sudan, as they have already included some quite unique and remarkable historical information related to the country of "Kush", such as the reference in the book of Kings 2, for example, to "Tirhaqa the King of Kush", who led an army with which he faught in defence of the Hebrews against the Assyrians, since he was a prince in the late eighth century BC, and his military activity continued there after he became king over the entire Nile Valley, until his forces were finally defeated by the Assyrians, and was therefore, forced to withdraw from Egypt itself, so as to retreat back to Napata his capital in Northern Sudan. This information is indeed confirmed and corroborated by the contemporary sources of the secular history of Assyria and Pharaonic Egypt, during the era of the twenty-fifth dynasty, known as the Kushite dynasty. Based on this, the article argues within the same context that, "Zareh the Kushite" might have been a former Kushite prince or probably a king, who might have appeared and conducted some military activities in the Levant, some two centuries before the advent of the adventure of king Taharqa in the same region. The article

follows the historical, inductive and analytical approach of the information and references available about Zareh the Kushite and his time, and also relies on the evidence of general indications, common sense and circumstantial evidence.

Keywords: Zareh the Kushite, the Old Testament, 2 Chronicles, Pharaoh Osorkon, the Libyan dynasties, the Kushite dynasty, the Abyssinian chronicles.

مقدمة:

ينبغي أن تكون أسفار العهد القديم من الكتاب المقدس، من المصادر المعتمدة لتاريخ السودان القديم ، أو ما تطلق عليه تلك الأسفار نفسها في نصوصها الأصلية باللغة العبرانية، اسم: « كوش « ، وهو الاسم الذي ترجمه الإغريق لاحقا بكلمة « إثيوبيا " ، وتبناه الكتاب الكلاسيكيون في مؤلفاتهم للدلالة على البلاد الواقعة إلى الجنوب من مصر: أي كوش أو مروي أو بلاد النوبة أو السودان الحالي. وقد ثبتت صحة الإشارات إلى بعض الشخصيات والوقائع التاريخية المرتبطة بتاريخ السودان القديم ، وخصوصاً في طوره المتعلق بقيام وسيادة مملكة (نبتة/ مروي 900 ق. م – 350 ميلادية تقريبا) ، والتي ورثت بدورها مملكة " كرمة " السابقة لها (2500 – 1500 ق.م) ، ثبتت صحتها بمضاهاة تلك الإشارات الكتابية التوراتية ، مع ما قد كشفت عنه المصادر الخطية واللقى الأثرية العائدة إلى تلك الفترة ، والتي عُثر عليها في كل من مصر وبلاد الشام والعراق وشمال السودان ، وذلك بعد مضي عدة قرون من تاريخ تدوين تلك الإشارات في الكتاب المقدس.. فمن بين تلك الإشارات التي تتظاهر على صحة تاريخيتها مصادر كلا التاريخين الديني والوضعي على حدٍ سواء ، الإشارة التي وردت في سفر أخبار الملوك الثاني (17/4) للملك الكوشي « سوا « الذي يعتقد العلماء أنه هو نفسه الملك النبتي " شبكا " 716 – 701 ق.م الذي كان ملكا على مصر وشمال السودان معا ضمن سلسلة ملوك الأسرة الخامسة والعشرين التي عرفت ب " الأسرة الكوشية « أو " الإثيوبية « ، وإرساله لابن أخيه الملك الشهير فيما بعد " ترهاقا 690 – 664 ق.م " إلى فلسطين لمحاربة الآشوريين الغزاة في عهد الملك سرجون في حوالي سنة 713 ق. م ، فضلاً عن إشارة سفر أخبار الملوك الثاني ، الإصحاح التاسع عشر ، وكذلك إشارة سفر أشعياء الإصحاح 37 الصريحتين ل " ترهاقا ملك كوش "، وحملته العسكرية في فلسطين متضامنا مع ملوكها العبرانيين أيضا ، ضد الملك الأشوري " سنحاريب " ، والتي أدت في نهاية الأمر إلى هزيمة ترهاقا ، واضطراره إلى التقهقر و الجلاء عن مصر نفسها ، والانسحاب إلى السودان ، لكي يموت في عاصمته " نبتة " ، ويدفن داخل هرمه بجبانة " نوري " الشهيرة بالقرب من جبل البركل بشمال السودان. وقد ذهب نفر من الباحثين المعاصرين في معرض تبريرهم لتلك الهزيمة ، إلى حقيقة استخدام الآشوريين أسلحة مصنوعة من الحديد في تلك الحرب ، في الوقت الذي لم يكن جنود ترهاقا يعرفون حينئذٍ سوى أسلحة البرونز الأضعف نسبيا. وقد ذاع تنويه الكتاب المقدس بذكر العاهل السوداني " ترهاقا " بصفة خاصة انتشاراً لا بأس به بين أوساط بعض المتعلمين والباحثين السودانيين، فضلاً عن بعض الكتاب والباحثين المنضوين

تحت تيارات القومية السوداء ،والزنوجة، ، ومنظري حركة الجامعة الإفريقية، ، وطوائف من مثقفي الأمريكيين السود ومن إليهم ، بل صارت هذه الحقيقة إحدى ترنيماتهم المفضلة التي يحرصون على تدوينها في غير قليل من الزهو والتباهي بنبل ذلك المحتد (السوداني/ الإفريقي/ الزنجي الخ) ، وعراقة حضوره في سياق أحداث العالم القديم وتاريخ حضاراته ، وذلك في إطار ما يسمى بمنظور المركزية الأفريقانية لقراءة تاريخ إفريقيا والشعوب السوداء عموماً ، في مقابل منظور المركزية الأوروبية.

أما شخصية " زارح الكوشي " أو " الإثيوبي " أو إن شئت " السوداني " ، فإنها كما نلاحظ لم تجد حظها من الاهتمام الذي هي قمينة به من قبل الكتاب والباحثين بصفة عامة ، وهي شخصية يكتنفها الكثير مما يغري بالتنقيب والبحث والتقصي باعتبار انها شخصية غامضة ومثيرة للاهتمام لدرجة كبيرة. ولعل السبب في انصراف الباحثين بصفة عامة عن الخوض في سبر كنه هذه الشخصية الغامضة ، هو عدم العثور- حتى الآن – داخل المصادر التاريخية الوضعية سواء النصية منها او الأثرية على إشارة واضحة وصريحة تدل عليها وعلى وجودها التاريخي خارج سياق الكتاب المقدس ، بخلاف شخصيتي " شبكا " و " ترهاقا " اللتين ثبت وجودهما التاريخي في غير النصوص التوراتية ، فضلاً عن ورود اسم ترهاقا على الأقل في الكتاب المقدس كما أسلفنا. هذا ، ومن مثالب عصر التنوير في أوروبا الذي هو أبو الحداثة المعاصرة بامتياز- مع محاسنه الكثيرة وغير المنكورة بالطبع – أنه قد تمخض في تقديرنا عن حالة ذهنية اعتُبرت معها كافة المعارف والمعلومات الواردة في المصادر الدينية الكتابية ، أو الآداب الأسطورية (الميثولوجيا) ، ذات حجية تاريخية أو علمية واهية وضعيفة على أحسن تقدير ، أو باطلة ومن قبيل الخرافات قولاً واحداً ، عند الغلاة والمتطرفين. وما درى معظم هؤلاء على سبيل المثال أنه لو لا أن شامبليون قد عثر على اسم مدينة " بي رعمسيس أو برعمسيس " مدونا في " سفر الخروج " في معرض ذكر أسماء المدن التي أمر فرعون العبرانيين من قوم موسى عليه السلام ببنائها له سخرةً واستعبادا ، لما تسنى له مطلقاً فك شفرة اللغة المصرية القديمة في عام 1822 م ، معتمداً في ذلك على عبقرية ذكائه المتوقد رغم صغر سنه آنئذٍ ، إلى جانب معرفته الحسنة باللغات القبطية والعربية والإغريقية ، ولما تمكن بالتالي من تقديم خدمته الجليلة التي قدمها للعلم وللإنسانية قاطبة. ذلك بأنّ كتاب التوراة وحده ، هو الذي قد حافظ على اللفظ المصري القديم لاسم تلك المدينة ، والذي يتضمن أيضا اسم أشهر فراعنة مصر على الإطلاق ألا وهو " رمسيس الثاني " الذي يعتقد على نطاق واسع أنه ربما كان " فرعون موسى " نفسه ، على اختلاف بن العلماء والمؤرخين في ذلك.(1) ولعل مما يمكن ذكره في هذا السياق أيضا ، أن الاعتقاد الذي قد كان سائداً بين أوساط السواد الأعظم من أولئك المؤرخين والدارسين المتأثرين بالتيار (التنويري) ، هو أن أشعار هوميروس الواردة في ملحمة الإلياذة التي تشير إلى الملوك الآخيين وقصورهم في موكيني وغيرها ، وكذلك حروبهم في طروادة، هي من الأساطير الخرافية التي لا يمكن تصديقها على أنها حقيقة واقعة. ولقد استمر هذا الاعتقاد سادراً في غروره الواهم حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، عندما تمكن هاينريخ

شـليمان مـن الكشـف عـن بقايـا مـدن طـروادة وموكينـي وتيرينـث في جـزر بحـر إيجـه ، وكان لهـذه الاكتشـافات دوي عظيـم في شـتى أرجـاء العـالم.(2) ورد اسـم " زارح الكـوشي " في سـفر " أخبـار الأيـام الثـاني " مـن كتـاب العهـد القديـم ، حيـث جـاء في خـبره أنـه قـاد جيشـاً جـراراً غـزا بـه مملكـة " يهـوذا " في فلسـطين في عهـد " آسـا 912 – 871 ق.م " ملـك العبرانيـين ، الـذي هـزم جيـش زارح هزيمـة منكـرة في المعركـة التـي دارت بـين جيشـيهما في " مريشـة " بـأرض فلسـطين. وقـد جـاء في الإصحـاح الرابـع عـشر مـن سـفر أخبـار الملـوك الثـاني في هـذا الشـأن مـا نصـه:

" فخـرج إليهـم زارح الكـوشي بجيـش ألـف ألـف وبمركبـات ثـلاث مائـة وأتى إلى مريشـة. وخـرج آسـا للقائـه واصطفـوا للقتـال في واد صفاتـة عنـد مريشـة. ودعـا آسـا الـرب إلهـه وقـال أيهـا الـرب ليـس فرقـاً عنـدك أن تسـاعد الكثيريـن ومـن ليـس لهـم قـوة. فسـاعدنا أيهـا الـرب إلهنـا لأننـا عليـك اتكلنـا وباسـمك قدمنـا عـلى هـذا الجيـش. أيهـا الـرب انـت إلهنـا. لا يقـو عليـك إنسـان. فـضرب الـرب الكوشـيين أمـام آسـا وأمـام يهـوذا فهـرب الكوشـيون. وطردهـم آسـا والشـعب الـذي معـه إلى جـرار وسـقط مـن الكوشـيين حتـى لم يكـن لهـم حـي، لإنهـم انكـسروا أمـام الـرب وامـام جيشـه الـخ". وقـد جـاء في دائـرة معـارف الكتـاب المقـدس The Bible Encyclopedia المنشـورة عـلى الشـابكة العالميـة للمعلومـات ، أنـه يعتقـد أن يكـون " زارح " هـو نفسـه الفرعـون " أوسـوركون الثـاني " Osorkon II أحـد فراعنـة الأسرة الثانيـة والعشريـن الفرعونيـة الليبيـة الأصـل كـما هـو شـائع حـول أصـل هـذه الأسرة عنـد العلـماء والباحثـين. أي أنـه أحـد أحفـاد الفرعـون " شيشـانق " وخليفتـه عـلى العـرش ، والمعـروف – بهـذه المناسـبة – هـو أن الفرعـون شيشـانق هـذا مذكـور باسـمه في التـوراة التـي أشـارت أيضـا إلى أنـه كان معـاصراً للنبـي سـليمان بـن داؤود عليهـما السـلام. وزعـم الكاتـب الفرنـسي ل. ج. موريـيه L. J. Morié أن اللغـوي والعـالم الفرنـسي الشـهير شـامبليون ، الـذي ينسـب إليـه فـك رمـوز الخـط الهيروغليفـي ، مـما اتـاح للبشريـة معرفـة مدلـولات ألفـاظ اللغـة المصريـة القديمـة ، كان هـو أول مـن افـترض أن يكـون " زارح الكـوشي " هـو أوسـوركون الثـاني ، وذلـك اسـتناداً إلى التشـابه اللفظـي بـين الاسـمين ، وتقـارب التواريـخ المقـدَّرة لكليهـما. (3) ومـن الملاحـظ أن هـذا الافـتراض الـذي قـال بـه شـامبليون فيـما يتعلـق بهويـة " زارح الكـوشي " قـد شـاع بـين سـائر المؤرخـين والباحثـين اللاحقـين ،عـلى الرغـم مـن وجـود بعـض الاضطـراب الملاحـظ حـول تحديـد عـما إذا كان المعنـي هـو أوسـوركون الأول ، أم أوسـوركون الثـاني. فهاهـو عـالم الآثـار السـودانية الأمريـكي تيمـوثي كينـدال ، عـن يلمـح في مقـال لـه بعنـوان: " ذكريـات الجبـل المقـدس ، أي (جبـل البركل) .. نباتـا والأسرة الكوشـية " ، يلمـح إلى احتـمال أن " زارح " ، ربـما كان ضابطـاً أو مقاتـلاً مرتزقـاً في قـوات أوسـوركون الأول عـلى حـد زعمـه ، وذلـك دون إشـارة صريحـة منـه للروايـة التوراتيـة التـي هـي أصـل خـبر زارح في الأسـاس. وقـد جـاء نـص البروفيسـور كينـدال كـما يـلي: " الملـك شيشـانق الأول (حـوالي 945 – 924 ق.م) وخليفتـه أوسـوركون الأول (حـوالي 945 – 924 ق. م) ضـما أيضـاً بعـض المرتزقـة والضبـاط إلى جيشـيهما مـن أجـل شـن حمـلات عسـكرية داخـل مملكـة يهوذا. " أ. هــ(4) وقـد طُـرح موضـوع للنقـاش في موقـع جمعيـة الأدب والـتراث التـوراتي عـلى الإنترنـت ، خـلال

شهر يوليو 2007م ، فحواه جدال علمي يرجِّح أن يكون زارح الكوشي هو الفرعون أوسوركون الأول. ومما جاء في هذا الموقع أن أوسوركون الأول هو ابن شيشانق الأول مؤسس الأسرة 22 الفرعونية ، وأنه – أي أوسوركون الأول – هو الملك الثاني في سلسلة ملوك تلك الأسرة ، وانه قد حكم خلال الفترة من 922 – 887 ق. م. ويضيف الموقع أن هجوم زارح على مملكة يهوذا قد تم خلال العام الخامس عشر من حكم الملك العبراني " آسا " ، وهو ما حدد له بحوالي سنة 896 ق. م. غير أن من بين أكثر التصانيف المعاصرة إثارة للاهتمام ، و التي أفردت بشكل كامل لبحث " إشكال زارح الكوشي " ، مقال لعالم الآثار الروسي س. ي. بيرزينا ، منشور بمجلة "أركماني" الإلكترونية للآثار والأنثروبولوجيا السودانية لمؤسسها عالم الآثار السوداني الراحل بروفيسور أسامة عبد الرحمن النور ، جاء تحت عنوان: " حملة زارح الكوشي". ولتمام الفائدة ، رأينا أن نقتبس فيما يلي نص ملخص باللغة العربية للمقال المذكور ، على الرغم من طوله النسبي ، وذلك نسبة لما اشتمل عليه المقال من إضاءات مهمة لإشكال زارح الكوشي من عدة زوايا:

" تشير معطيات آثارية جديدة ، بخاصة اللقى المكتشفة في العاصمة المروية نتيجة أعمال التنقيب المنتظمة التي أجريت قبل سنوات إلى أن مروي ظهرت إلى مسرح الأحداث في وقت مبكر أقدم من القرن الثامن قبل الميلاد. لهذا السبب يمكننا الرجوع إلى المصادر التي تتحدث عن تاريخ الشرق الأوسط وشمال شرق إفريقيا في وقت مبكر من الألفية الأولى السابقة للميلاد ، بخاصة إلى الإجراءات التي ظلت خارج مدى ملاحظة الدراسات المروية لتلك التواريخ عن حملة زارح الكوشي إلى مملكة يهوذا. عادة ما جذبت القصة الباحثين وعُدَّ الغزو حقيقة تاريخية. تؤرخ الحملة بالعام 879 ق. م ، وقُيِّمت تقليدياً في محتوى التاريخ المصري. لفترة طويلة تمت مطابقة زارح بأساركون الأول ، لكنه يُطرح حالياً أنَّ زارح كان قائداً من قواد أساركون.

التواريخ ، وهي تؤلف المصدر الموثوق الأساسي ، ضُمِّنت في النسخة المعتمدة الموثوقة للكتاب المقدس بعد العديد من المراجعات والكثير من الحذف. لا يتضمن الكتاب المقدس معلومة عن وضعية زارح. يعتمد التحليل على نسخ غير موثوقة من يهوذا ، ومصر ، والجزيرة العربية إلى جانب تلك التي احتفظ بها فيما يسمى بملاحظات لوسيان في السيتواجينت ، أي التاريخ اليهودي الذي وضعه يوسف فلافيوس ، وفي أعمال المؤرخين القروسطيين: أوتيخوس والطبري. ادعى أولئك المؤلفون أن زارح (زاراح – زاراي) كان ملكاً لكوش. تتحدث رواياتهم عن ظروف الحملة ونتائجها ، تتوافق معطياتهم كلياً مع التواريخ. إضافة يقولون بأنَّ السبب الدافع للحملة هو الاستغاثة التي تقدم بها نبلاء يهوذا إلى زارح ، لضيقهم من إصلاحات آسا. الطريق الذي سلطته الحملة موضح بما في ذلك الأسماء الدقيقة للأماكن ، وقد وجد واحد منها في النص القانوني. لا تتناقض الرواية في الكتاب المقدس مع المصادر الأخرى ، وتشير إلى أن زارح سار عبر مناطق معادية حتى وصل إلى جرار. وجد زارح دعماً من السكان الحضر والقبائل البدوية في جنوب دولة يهوذا. يبدو أن زارح وجد حلفاء في تلك الأراضي ضد آسا الذي أخافهم بنفوذه المتزايد وسياسته الخارجية العدوانية. فكرة الحملة في اعتقادي ، حفزها غزو الكوشيين الناجح لدولتي يهوذا وإسرائيل ،

والـذي كان قـد قـاده شيشـانق الأول في العـام 925 ق. م. يجـب النظـر إلى حملـة زارح في إطـار التوسـع الكـوشي في القـرن التاسـع ق. م عندمـا تقـدم الكوشـيون إلى حـدود الأراضي العربيـة (التواريـخ 2 ، 21 ، 16) ، واحتـمالاً ثبتـوا سـيطرتهم عليهـا " انتهـى الاقتبـاس مـن موقـع مـن الواضـح أنـه رغـم بعـض الهنـات الملاحظـة عـلى الترجمـة ، والتـي لم تؤثـر عـلى المعنـى العـام لنـص المقـال المختـصر ، مثـل ترجمـة Chronicles ب " التواريـخ " ، وإنمـا الصحيـح هـو ترجمتهـا ب " سـفر أخبـار الأيـام " ، إذ أن هـذه هـي الترجمـة العربيـة الشـائعة والمعتمـدة لاسـم هـذا السـفر مـن الكتـاب المقـدس ، فضـلا عـن اتسـام النـص بـشيء مـن عـدم الترابـط في الصياغـة ، إلا أنـه يبـدو أن كاتـب هـذا المقـال يميـل إلى ترجيـح فرضيـة أن يكـون " زارح " إمـا هـو " أوسـاركون الأول " نفسـه ، أو أنـه قائـد مـن قـواد جيشـه ، عـلى الفرضيـة التـي نسـبها إلى بعـض المصـادر الأخـرى التـي تشـير إلى أنَّ " زراح " كان ملـكاً لكـوش. أمـا إشـارته للطـبري بوصفـه أحـد المؤلفـين الذيـن عرضـوا لمسـألة زارح الكـوشي هـذه ، فـلا نـدري مـن أيـن مصـدر اسـتقاها مـن مؤلفـات الإمـام الطـبري ؟. عـلى أننـا وقفنـا في النسـخة التـي رجعنـا إليهـا مـن كتـاب الطـبري الكبـير في التاريـخ: " تاريـخ الرسـل والملـوك " عـلى مـا دعـاه الإمـام محمـد بـن جريـر ب " ذكـر خـبر آسـا بـن أبَّيـا وزرج الهنـدي " بالجيـم المنقوطـة عوضـاً عـن الحـاء. ومـا مـن شـك في أن زرج " الهنـدي " المذكـور في تلـك النسـخة مـن كتـاب الطـبري ، هـو نفسـه زارح الكـوشي المذكـور في التـوراة ، واللـه أعلـم كيـف صـار " هنديـاً " ههنـا وليـس كوشـيا كـما هـو مثبـت في التـوراة ؟. ومضمـون عـرض الطـبري لخـبر زرج المذكـور ، هـو أنَّ أبيـا والـد آسـا المذكـور كان مخالفـاً لشريعـة بنـي إسرائيـل ، بـل كان عابـد أصنـام ، فلـما مـات خلفـه ابنـه " آسـا " الـذي كان رجـلاً صالحـاً ، فـأراد حمـل رعيتـه عـلى التقـى والتمسـك بعقيـدة التوحيـد ، فكرهـوا ذلـك منـه ، فاسـتنجدوا " بـزرج الهنـدي " لـكي يخلصهـم منـه. (5) وهكـذا بـدأت فرضيـة أن يكـون زارح الكـوشي هـو الفرعـون " أوسـاركون الأول " ثـاني ملـوك الأسرة الثانيـة والعشريـن المصريـة ، أو أن يكـون أحـد قـادة جيشـه ، بـدأت تلقـى قبـولا متزايـدا في الأوسـاط العلميـة واللاهوتيـة عـلى حـد سـواء ، عـلى الرغـم مـن بعـض المآخـذ الواضحـة عـلى منطقهـا وصدقيتهـا. ولعـل أول هـذه المآخـذ يتعلـق بأصـل ملـوك الأسرة الثانيـة والعشريـن المصريـة نفسـها، التـي يتأرجـح الـرأي فيـه بـين العلـماء مـا بـين نسـبتهم إلى ليبيـا والواحـات المصريـة الغربيـة ، وبـين الأصـل السـامي المشرقـي ، وذلـك نسـبة لـورود بعـض الأسـماء التـي تـدل دلالـة خاصـة وحصريـة عـلى الأصـل السـامي بين أفرادهـا مثـل اسـم: " نمـرود " ، في الوقـت الـذي لم يشـأ فيـه أي عـالم أن يشـير إلى احتـمال أن تكـون هـذه الأسرة مـن أصـل كـوشي ، وهـو الأمـر الـذي كان قمينـاً – في حالـة ثبوتـه – أن يحـل إشـكال زارح الكـوشي مـن أول وهلـه. عـلى أن عـالم الآثـار الأمريـكي " رايزنـر " كان قـد طـرح فرضيـة ثبـت بطلانهـا فيـما بعـد، مفادهـا أن ملـوك الأسرة الخامسـة والعشريـن " الكوشـية أو الإثيوبيـة " هـم مـن أصـل ليبـي يعـود إلى فراعنـة الأسرة الثانيـة والعشريـن. والـرأي الراجـح في اعتقادنـا أنّ هـذه الأسرة الثانيـة والعشريـن – كائنـاً مـا كان أصلهـا – إمـا أن تكـون قـد اختلطـت وأصهـرت إلى أسرة ملكيـة أو بيـت مُلـك في بـلاد كـوش، نرجـح أن يكـون قـد ظهـر خـلال بضعـة مـن القـرون سـبقت بـروز المملكـة النبتيـة/ المرويـة المعروفـة التـي يـؤرخ لهـا العلـماء بقـدر كبـير مـن اليقـين ابتـداءً مـن أول ملوكهـا " كاشـتا 806 – 751 ق. م " ،

حيث أنّ من الأدلة على ذلك التداخل بين الأسرة 22 و المملكة الكوشية المفترضة التي تضم أسلاف كاشتا وبعانخي فيما نرجح ، هو وجود كاهنة عظمى للإله أمون بطيبة تسمى " شبتنوبيت الثانية " منسوبة للأسرة الخامسة والعشرين الكوشية ، بينما كانت هنالك " شبيتنونبيت أولى " منسوبة لفراعنة الأسرة 22 ، هذا بالإضافة إلى وقوع حملة زارح الكوشي في نفس فترة حكم هذه الأسرة ، مما يرجح إمكانية التواطؤ والتنسيق بين ملك مصر وملك كوش بالنسبة للرواية الأخرى التي تقول إن زراح كان ملكا لكوش. وهذا الافتراض يقتضي بالطبع أن يكون ملك مصر قد سمح لحليفه زارح الكوشي بعبور بلاده في طريقه إلى يهوذا. وإما أن يكون قد نشأ نوع من الحلف والتعاون بين ملوك كوش بمن فيهم زارح المذكور ، وملوك الأسرة الثانية والعشرين التي لا تنتمي لسلالة الفراعنة الأقدمين كما هو ثابت عند العلماء. هذا ، ولا ينبغي أن يكون قيام تضامن وتحالف بين سلطة مركزية مستقلة في كوش مع أسرة ملكية مغتصبة للعرش في مصر أمراً مستغرباً ، ذلك بأن المصادر التاريخية تخبرنا أن حلفاً مثل ذلك كان قد وقع بالفعل منذ أيام الدولة الوسطى بين حكام كوش في طور دولة " كرمة " ، وبين أسرة الملوك الرعاة أو " الهكسوس". ويعرف الدارسون والباحثون المختصون خبر الرسالة التي ضبطها بعض أمراء الصعيد ، والتي كانت موجهة إلى ملك كوش من أحد الملوك الهكسوس يطلب منه فيها التحالف معه ضد سلالة الفراعنة المصريين بالوجه القبلي ، الذين كانوا يتأهبون لاستعادة سيادتهم على بلادهم ، وهو الأمر الذي تم لهم على يدي " أحمس " الذي دحر الهكسوس وأجلاهم عن مصر في القرن السادس عشر قبل الميلاد ، ثم اجتاحوا شمال السودان (مملكة كرمة) نفسه بعد ذلك مباشرة ، وفرضوا سيطرتهم عليه لبضعة قرون. والمأخذ الآخر على فرضية (زارح = أوساركون)، إذا ما اعتبرنا رواية التوراة أصلاً للخبر-وهي بالفعل كذلك ، هي أن رواية التوراة صريحة في أن الجيش الذي هاجم مملكة يهوذا على عهد آسا كان جيشا كوشيا وليس مصريا. على أنَّ هنالك فرضية مثيرة للاهتمام للغاية ، فضلاً عن أنها جديرة بالتأمل والوقوف عندها مليًّا ، وهي تتعلق بمحاولة التعرف على هوية " زارح الكوشي " ، وقد قال بها المؤلف الفرنسي ج. ل. موريه منذ مطلع القرن العشرين ، غير أننا لم نجد لها صدى في أي مؤلف معاصر آخر. يقول موريه في كتابه: " تاريخ إثيوبيا " الصادر في باريس في عام 1904 إن فرضيته تقوم استناداً على محاولة قام بها العالم برقش ، برهن من خلالها على وجود ملك كوشي يسمى " أتزيرك – أمن " غير أن تاريخ هذا الملك المكتشف متأخر عن التاريخ المعتمد لخبر زارح الكوشي ، أي القرن العاشر قبل الميلاد. وعلى هذا الأساس فقد قال موريه انه يتبنى فرضية وجود " أتزيرك أمن " سابق لهذا ، بمعنى " أتزيرك – أمن (الأول)". فكأن موريه قد لاحظ أيضا التشابه اللفظي بين " أتزيرك – زيرك – زارك – زارح".(6) ومن الملاحظ أن صوت الكاف الوارد في آخر المقطع الأول من الاسم الذي اقترحه موريه مطابقة " زارح " بحسب رأيه ، ألا وهو " أتزيرك " ، لا يبعد كثيرا عن صوت الجيم في اسم " زرج " الذي أثبته الطبري نقلاً عن سلسلة من الأخباريين السابقين له ، جاء على رأسها وهب بن منبه. وهكذا يضع موريه بكل ثقة في كتابه المذكور قائمة لملوك كوشيين يرجع بها إلى القرن الحادي

عشر قبل الميلاد ، جاعلاً مؤسسها هو " حريحور " كاهن أمون الأكبر بمدينة " طيبة " بمصر ، مروراً بجملة من الملوك من بينهم ملك يدعى " رو- كي - أمن " Ro – Ke – Amen قدَّر تاريخ حكمه ما بين 983 – 958 ق. م ، وزعم أنه هونفسه " لقمان الحكيم " المذكور في القرآن الكريم ، والذي يذكر المفسرون بصورة مدهشة أنه كان معاصراً لداؤود عليه السلام ، أي في القرن العاشر قبل الميلاد نفسه. ثم إنه جعل من ضمن قائمته من أسماه ب " أتزيرك أمن الأول " 958 – 943 ق. م ، زاعماً أنه ابن لقمان الحكيم وخليفته على حكم إثيوبيا " كوش " ومؤكداً أنه هو نفسه " زارح الكوشي"[7] ولكي نتعرف على السياق التاريخي الذي وقعت في إطاره الملابسات التي اكتنفت خبر زارح الكوشي أياً كانت هويته ووضعه ، فلنقرأ معا الفقرة التالية المقتبسة من كتاب: " مملكة مروي التاريخ والحضارة " لمؤلفه البروفيسور عمر حاج الزاكي ، أستاذ تاريخ السودان القديم بالجامعات السودانية:

" خضع السودان الشمالي لحكم فراعنة الإمبراطورية المصرية لخمسة قرون متصلة (1580 – 1080 ق. م) ... وحينما أصاب الوهن الإمبراطورية المصرية ، وورث النفوذ السياسي فيها كهنة آمون ثم الجنود المرتزقة الليبيون ، تُرك السودان الشمالي لأهله ، ومر قرنان من الزمان لا نعرف فيهما الكثير عما كان يجري فيه. ولكن آثار مقبرة الكرو الملكية التي دفن فيها بعانخي بعد ستة من أسلافه العظام ، تنبيء بأن سلطة محلة منظمة ورثت النفوذ المصري في السودان وظلت تنمو بعيداً عن أعين العالم الخارجي .. "[8]

ثم إننا نظرنا مليّاً في سلسلة نسب ما يسمى ب " الأسرة السليمانية " ، التي كان يدعي الانتماء إليها أباطرة الحبشة ابتداء من منليك الأول وانتهاء بهيلاسلاسي الأول الذي انتهى حكمه في عام 1974 ، فوجدنا أنهم كانوا يعتقدون أن لهم جدا اسمه " زيرا Zera " ، هو الجد الثالث نزولا بعد منليك ، وهم يعتقدون أيضا أنه هو نفسه " زارح " المذكور في التوراة. ثم إننا قد اكتشفنا العجب العجاب في شجرة النسب السليمانية تلك. إذ أن أسماء جميع ملوك مملكتي نبتة / مروي تقريباً ، مذكورة في ذلك النسب: (كاشتا وبعانخي وشباكا وشبتاكا وتونتاماني الخ) ، وأعجب من ذلك كله أننا وجدنا اسم " أتزرك أمن " مكرراً ، ومرتباً بالأرقام ، من أتزرك أمن الأول ، وحتى السادس ، بوصفها أسماء أسلاف سابقين لتلك الأسرة الحبشية الأكسومية. وقد قر عندنا من خلال هذه البينة الظرفية ، أن زارح الكوشي ينبغي التماسه على الأرجح في اسم " أتزرك أمن " هذا ، وليس في اسم " أوسوركون " الليبي/ السامي. وعليه ، عسى أن تكون فرضية المسيو موريه القائلة بان زارح قد كان ملكاً على كوش ، فرضية راجحة. وختاماً ، فإننا نعتقد أنَّ جل التركة الثقافية والتاريخية ، والإرث السلطوي للمملكة الكوشية / المروية ، بالعديد من رموزه وشاراته ووقائعه ، قد انتقل إلى بلاد الحبشة/ أكسوم من بلاد سودان وادي النيل ، التي يبدو أنها قد زهدت فيه إثر تحولها بالكلية إلى الإسلام كما نرجح ، في الوقت الذي بقيت فيه السلطة الحاكمة في الحبشة والنواة الصلبة للمجتمع في تلك البلاد على المسيحية ، فآثرت أن ترث سائر تراث السودان الكتابي والتوحيدي السابق للإسلام كله إن أمكن ذلك ، وكأنَّ لسان حال السودانيين المعاصرين يقول لها: "

مـبروك عليـك". ولكـن هـذا لا يغـير في الحقائـق شـيئا. فهـذا الـتراث تـراث سـوداني أصيـل ، نشـأ في هـذه البـلاد ، ومنهـا انطلـق إشـعاعه الباهـر نحـو مناطـق أخـرى مـن العـالم ، فينبغـي عـلي الباحثـين والعلـماء السـودانيين أن يهتمـوا بـه ، وأن يسـهموا في الجهـود الراميـة إلى كشـف غوامضـه ، باعتبـار انـه يمثـل تراثـا إنسـانيا جامعـا ، كان لأسـلافهم الأماجـد شرف صنعـه ووضعـه في سـجل التاريـخ الإنسـاني والحضـارة البشريـة. هـذا ، ومـا يـزال البـاب مفتوحـاً للبحـث والنقـاش في مسـألة زارح الكـوشي بـن لقـمان الحكيـم عليـه السـلام !!.

إحالات مرجعية:

.Bucaille, Maurice, Moise et Pharaon, Segher, Paris, 1995, pp.75 – 76

بـدوي ، فتحـي عفيفـي ، علـم الآثـار ، الجـزء الأول: في مفهومـه ومهامـه ومراحـل تطـوره التاريخيـة ، الطبعـة الأولى ، مطبعـة حسـان ، القاهـرة ، 1984 م.

Morie`, L. J. Histoire de L`Ethiopie (Nubie et Abyssinie), Paris. Augustin Chal-lamel, 1904, p 308.

Kendall, Timothy, Les Souvenirs de la montagne sacre`, Napata et la Dynastie des Koushites, in Soudan: Royaumes sur le Nil, Institut du Monde Arabe, Flammarion, Paris, 1997, p. 162.

الطـبري ، محمـد بـن جريـر ، تاريـخ الأمـم والملـوك ، المجلـد الأول ، دار صـادر ، بـيروت ، الطبعـة الثانيـة ، 2005 م ، الصفحتـان 175 و176.

Morie`, L. J., Histoire de L`Ethiopie, op.cit, p. 309

.Morie`, L. J., Histoire de L`Ethiopie, op.cie, p.308

حـاج الـزاكي ، عمـر ، مملكـة مـروي التاريـخ والحضـارة ، سلسـلة إصـدارات وحـدة تنفيـذ السـدود ، إصـدارة رقـم (7) ، الخرطـوم ، 2006 م ، الصفحتـان 34 و35.

منهجيات الحفاظ على الموارد الثقافية في مدينة الخرطوم

أ. آمنه عبد الرحيم النور محمد
كلية الدراسات العليا – جامعة الخرطوم

المستخلص:

من المسلم به في كافة الاوساط العلمية والثقافية أن الممتلكات الثقافية في السودان بمختلف انواعها من اهم الرموز الحضارية التي تؤكد الهوية الثقافية للامة السودانية فهي الرباط التاريخي والوعاء الحضاري الذي تستند عليه الاجيال في التعرف على ماضيهم وبلوره حاضرها واستشراف مستقبلها ومن هذا المنطلق بات الحفاظ علي الموارد الثقافية وصونها واستدامها واجب انساني , وعلمي يتطلب المزيد من الجهود العلمية والاكاديمية خاصة في حالات النزاع المسلح ود في الاقاليم الثقافية على راسها اقليم الخرطوم وما يشهده من تدمير كامل وشامل للعديد من المعالم الاثارية والتاريخية من بينها لقصر الجمهوري - المتحف القومي - متحف بيت الخليفة الكنائس القديمة وغيرها من المواقع التي تمكت الباحثة من توثيق المهددات والمخاطر الناجمة عن كارثة النزاع المسلح المتبع في ذلك عدد من المناهج البحثية من ضمنها المنهج التحليلي للمعلومات المستقاة من عدد المصادر العلمية ونتائج العمل الميداني ا كما عكفت الباحثة على خطة علمية متكاملة المحاور والاستراتيجيات كآليه مثلى لضمان حماية وادارة التراث الثقافي ومجابهة كافة التحديات والاشكاليات الحالية دون الحفاظ عليه واستدامه كمور ثقافي واجتماعي واقتصادي متجدد.

الكلمات المفتاحية: منهجيات، الموارد الثقافية، الخرطوم، التراث، الحرب.

Methodologies for preserving cultural heritage in Khartoum

Amna Abd Elreheem Alnour

Abstract:

It is recognized in all scientific and cultural circles that cultural properties in Sudan, in all their forms, are among the most important symbols of civilization that confirm the cultural identity of the Sudanese nation. They are the historical bond and the civilizational vessel on which generations rely in order to learn about their past, crystallize their present, and anticipate their future. From this standpoint, preserving, protecting, and sustaining cultural resources has become a human and scientific duty that requires more scientific and academic efforts, especially in cases of armed conflict, especially in the cultural regions,

headed by the Khartoum region, and what it is witnessing in terms of complete and comprehensive destruction of many archaeological and historical landmarks, including the Republican Palace - the National Museum - the Khalifa House Museum, ancient churches, and other sites that enabled the researcher to document the threats and risks resulting from the disaster of the armed conflict, using a number of research methods, including the analytical method of information derived from a number of scientific sources and the results of field work. The researcher also worked on a scientific plan with integrated axes and strategies as an ideal mechanism to ensure the protection and management of cultural heritage and confront all current challenges and problems without preserving it. And its sustainability as a renewable cultural, social and economic resource.
Keywords: Methodology, cultural, enlightening , Khartoum, heritage, war

المقدمة:

يرى علماء الاثار ان المدن التراثية القديمة في السودان كمدينة الخرطوم خلفت لنا العديد من المورثات الثقافية المتنوعة الباقية التي تمثلت في عدد المباني الاثارية والتاريخية المرتبطة بفترات تاريخية متعاقبة مما اكسبها هوية معمارية متفردة تعددت حولها الدراسات الأكاديمية في مختلف التخصصات ولكن قلما تناولت تلك الدراسة منهجيات حفظ وصون التراث الثقافي في الخرطوم الذي اصبح اليوم بين سندان تأثير العوامل الطبيعية والبشرية بمختلف انواعها وبين سندان كارثة النزاع المسلح وما اسفر عنها تدمير شامل وكامل لعدد من الموارد الاثارية والمرافق السياحية المهمة منها على سبيل المثال وليس الحصر المتاحف بأنواعها المباني السياحية المختلفة مثل برج الفاتح وغيرها من الموارد التراثية المهمة .

مشكلة الدراسة:

تراءت مشكلة الدراسة الحالية في عدد من المحاور البحثية:

خطر التشوية والاهمال الناتج عن العوامل الطبيعة البشرية المحبطة بالتراث العمراني داخل المدينة .

عدم وجود منهجية ادارية متكاملة قوامها خطط واستراتيجيات تحقيق التنمية المستدامة داخل الاقليم

أهمية الدراسة:

تمثل اهمية الدراسة في مناقشتها لقضية اثارية في غايه الاهمية وهي قضية حفظ وصون الموارد الثقافية في الخرطوم عبر تقديم عد من المناهج المقترحة الهادفة الى اعادة تأهيل واحياء مدينة الخرطوم كمدينة تراثية - سياحية تساهم بشكل كبير في دفع عجلة الاقتصاد الوطني بعد انجلاء الكارثة الحالية. (النزاع المسلح)

تساؤلات الدراسة:

ماهـي التحديـات التـي تواجـه البحـوث والدراسـات ذات الصلـة بحفـظ واسـتدامة المـوارد التراثيـة في الخرطـوم؟

هـل يمكـن تقديـم رؤي وأفـكار نموذجيـة لمشـاريع بحثيـة غـي مجـال الـتراث الثقـافي في الخرطـوم وتقديمـه في قوالـب يسـتفاد اقتصاديـا واجتماعيـا وماهـي سـبل تطويـره واسـتدامته:

أهداف الدراسة:

التعريف بأشكال وأنماط المهددات والمخاطر المحيطة بالتراث الثقافي في الإقليم؟

التعـرف عـلى كافـة عـلى التحديـات التـي تواجـه البحـوث والدراسـات في مجـال حفـظ واسـتدامة الـتراث الثقـافي في الخرطـوم.

طـرح العديـد مـن النـماذج والـرؤى والمشـاريع البحثيـة في مجـال الـتراث الثقـافي وتقديمـه فيـما بعـد كقيمـة اقتصاديـة وبحـث سـبل تطويـره واسـتدامته.

منهجية الدراسة:

مـن اجـل الوصـول للأهـداف المتوخـاة مـن الدراسـة اتبعـت الباحثـة عـدد مـن المناهـج البحثيـة منهـا المنهـج التحليـلي الوصفـي والمنهـج الاسـتقرائي لاسـيما ان المـادة العلميـة مسـتقاة مـن عـدة مصـادر علميـة منهـا العمـل الميـداني فضـلا غـن الانتـاج البحثـي المرتبـط بتقاريـر الصـادرة مـن المؤسسـات الحكوميـة ومنظـمات المجتمـع المـدني ذات الصلـة بقطـاع الـتراث الثقـافي في الخرطـوم. وقـي ضـوء عنـوان هـذه الدراسـة نحـن أمـام مجموعـة مـن المقاربـات المفاهيميـة الاخـرى الـتراث - المـوارد الثقافيـة- ادارة الـتراث الثقـافي وغيرهـا مـن المقاربـات النظريـة ولـكي نكـون أكـثر دقـة في توضيـح العلاقـة بـين تلـك المفاهيـم سـنبدأ بالإطـار النظـري نوضـح مـن خلالـه المعنـى العـام المرتبـط بالأذهـان عـن تلـك المفاهيـم، سـواء عـلى صعيـد المفهـوم والاصطلاحـي نعرضهـا عـلى النحـو الاتي: -

الإطار النظري:

تعريف التراث لغوياً:

الـتراث في معاجـم اللغـة العربيـة وفي الأدب العلمـي العـربي هـو (مـا ورثنـاه عـن الاجـداد وأصلهـا مـن ورث يقـول ابـن منظـور في لسـان العـرب المحيـط، ورثـه مالـه ومجـده)، وقـال اللـه تعـالى أخبـاراً عـن زكريـا ودعـاءه إيـاه يرثنـي ويـرث مـن) هـب لي مـن لدنـك وليـا يرثنـي ويـث آل يعقـوب أي يبقـى بعـدي فيصـير لـه ميراثي ويقـال (اورثـه الـشيء ابوهـو (ورثـه بعضـا عـن بعـض قدمـا) أو اورثـه (كابـرا عـن كابـر) وروي عـن النبـي (صـل اللـه عليـه وسـلم) أنـه قـال) اثبتـوا عـلى مشـاعركم هـذه، فأنكـم عـلى أرث مـن إرث ابراهيـم ((ابـن منظـور: ج 2 :1987:201)

مفهوم التراث الثقافي:

وجـدت الباحثـة في مفهـوم الـتراث الثقـافي العديـد مـن الصيـغ مختلفـة لكـن مضمونهـا يـكاد أن يكـون واحـد وهـذا مـرده كـما يـري عليـان (تطـور تعريـف الـتراث الثقـافي عـبر المواثيـق والاتفاقيـات تبعـا لتطـور الأحـداث التاريخيـة مـن سياسـية واجتماعيـة وثقافيـة وضعيـة الـتراث الثقـافي نفسـه (عليـان:

2005: 36). واعتماد على التريف الذي اعتمدته اليونسكو فإنه الى جانب المعالم التاريخية والقطع الفنية والاثارية يشمل التراث التقاليد واشكال التعبير الثقافي الموروثة من الاسلاف وتناقلها الاجيال بعد ذلك وتطورت استجابة لبيئاتهم وظروفهم حتى وصلت للأجيال الحالية كالتقاليد الشفهية والفنون الاستعراضية والممارسات الاجتماعية في مختلف الأحداث وما يشملها من احتفالات وطقوس وبحسب ماورد في ميثاق اثينا 1931م التراث الثقافي المادي يشمل الممتلكات المنقولة أو الثابتة ذات الاهمية الكبرى للشعوب كالمباني العمرانية والاماكن الاثارية أو المباني التي تكسب بتجمعها قيمة تاريخية أو قنية أو التحف الفنية والمخطوطات والكتب والاشياء الاخرى ذات القيمة الفنية والتاريخية والآثارية وكذلك المجموعات العلمية ومجموعات الكتب المهمة والمخطوطات ذات المنسوخات السابق ذكرها (عليان : مصدر سابق :60).

حسب ما جاء في اتفاقية حماية التراث العالمي الثقافي والطبيعي التي أقرها المؤتمر العام في دورته السابعة عشر، باريس نوفمبر 1972م فإن مفهوم التراث الثقافي حسب ما جاء في المادة الأولي ،يشمل العديد من العناصر المكونة للتراث والتي تتضمن)الأعمال المعمارية ، وأعمال النحت والتصوير علي المباني ، والنقوش ، والكهوف ومجموعات المعالم التي لها جميعاً قيمة عالمية استثنائية من وجهه نظر التاريخ أو الفن أو العلم) كما أن المفهوم بالإضافة إلي الآثار يتضمن أيضاً المجتمعات التي تتضمن (مجموعات المباني المنعزلة أو المتصلة، التي لها بسبب عمارتها أو تناسقها أو اندماجها في منظر طبيعي قيمة عالمية من وجهه نظر التاريخ أو الفن أو العلم) (UNESCO:1972وفي العام 1999 عرفت منظمة الأيكوموس ICOMOS)) المجلس الدولي للمعالم والمواقع) وهي منظمة دولية غير حكومية منبثقة عن منظمة اليونسكو تعني بالحفاظ علي التراث في العالم ،عرفت هذه المنظمة التراث الثقافي علي أنه (مفهوم واسع يتضمن البيئة الثقافية والطبيعية معاً ، ويتضمن مجموعة المعالم التي لها قيمة استثنائية من وجهة نظر التاريخ أو الفن أو العلم أو المجتمعات. (قسيمة :2008: 13)

ويتضمن التراث الثقافي ما يلي:

— المعالم الخاصة بمظاهر البيئة الطبيعية.

— الفعاليات الخاصة، كالاحتفالات والممارسات الفولكلورية والصناعات اليدوية.

— المواقع المرتبطة بأحداث قديمة كالمعارك.

— أساليب الحياة التقليدية بما فيها الطعام والشراب والرياضة.

ووفقاً للمعاهدة الدولية التي حددتها منظمة اليونسكو فان التراث الثقافي يشمل ثلاث عناصر رئيسية للتراث لكل منها خصائصه المتفردة وهذه العناصر تتمثل في التراث الثابت والتراث المنقول والتراث غير المادي.

التراث الثقافي المادي :

يشمل التراث الثقافي المادي ، القطع الأثرية ، والمعالم ، ويمكن تقسيمه إلي :

التراث الثابت:

يتضمن التراث الثابت ثلاث عناصر رئيسية هي :

المعالم الأثرية : وهي الأعمال المعمارية وأعمال النحت والتصوير علي المباني والنقوش .

المجتمعات الحضرية : وتشمل المباني المنعزلة أو المتصلة والتي تمثل عمارتها ، أو تناسقها أو اندماجها في منظر طبيعي له قيمة استثنائية .

المواقع : ويقصد بها الأماكن التي توجد فيها أعمال الإنسان أو أعمال مشتركة بين الإنسان والطبيعة .

التراث المنقول :

ويشمل القطع الأثرية، والمواد التاريخية، والأعمال الفنية والكتب والمخطوطات، والمواد ذات القيمة التقليدية وغيرها من المنتجات التي صنعها البشر والتي تعد ذات قيمة مهمة للتراث الثقافي الخاص بكل شعب وأمة. إلي جانب العناصر السكانية التي تعكس الثقافات التقليدية ومنها الحرف التقليدية (صناعة المراكب، صناعة الفخار) التي توضح التراث الحي الذي لا يزال قيد الممارسة.

التراث غير المادي:

كثيراً ما يطلق عليه التراث غير المحسوس، ويضم هذا التراث اللغة، العادات ، التعبيرات الفنية والعروض الأدائية والسماعية ، والمسرح والاحتفالات وأنماط السلوك المختلفة. (قسيمة :مصدرسابق: 14).

مفهوم المورد الثقافي :

المورد الثقافي والتراث الثقافي وهي كلمات مترادفة تعني الشيء نفسه وهناك تبلور وتقدم واضح علي مستوى عالمي في معالجة موضوع التراث الثقافي في كل من أوربا والولايات المتحدة الأمريكية ولقد استخدمت مصطلحات جديدة هما المدرسة الأمريكية والمدرسة الأوربية وهاتان المدرستان الأوربية والأمريكية) لهما الاهتمام نفسه في التراث والحفاظ عليه وإدارته لكن تنظيم هاتين المدرستين وتطورهما واختيار كل مدرسة لمصطلحاتها جعل هناك بعض اللبس وبعض الاختلاف.إن لكل من المدرستين (الأوروبية والأمريكية)الاهتمام نفسه في إدارة التراث والحفاظ عليه لكن هناك بعض الاختلاف بينهما من حيث المصطلحات، ويكاد يكون الاتفاق على ما لا يجوز فعله أكثر من مايجب فعله، فنجد أن المدرسة الأوروبية تركز على مصطلحين هما الحفاظ والترميم، مثل الحفاظ على التراث الثقافي أو ترميم المعالم وفي مراكز التخصص يكون الحفاظ فيها هو الأساس أما إدارة المصادرالتراثية فهي فرع ومكملة لعملية الحفاظ،أما المدرسة الأمريكية فتجعل إدارة المصادر التراثية هي الأصل والحفاظ ولقد كان السبق التاريخي لوضع الأسس الحديثة لهذا التخصص في أوروبا " إيطاليا وفرنسا وبريطانيا"، وأوروبا هي الأكثر تناغماً مع ماجاءفي المواثيق التي أصدرتها المؤسسات العالمية التي تعني بالتراث منها الايكوموس والأيكروم وغيرهما،لكن التطور التنظيمي المؤسساتي في الولايات المتحددة جعل مدرستها أكثر ظهوراً افي معظم أنحاء العالم

حيث تشمل على علميات دعم للاستخدام المتوافق عليه ضمن إدارة المصادر التراثية تفاصيل لعدة مهارات وأعمال مثل تفسيرالمصادر التراثية وتطويرها، ولذا فإن تعريف إدارة المصادر التراثية في المدرسة الأوروبية نجده كجزء مكمل لعملية الحفاظ.

أما المدرسة الأمريكية فتجعل عنوانها الأساسي إدارة المصادر التراثية وتجعل الحفاظ والترميم جزءا العام هناك اتفاق بين المدرستين،وقد اتفقت المدرستين منها فمن حيث المضمون الأوربية على دلالات بعض المصطلحات كالحفاظ إعادة البناء، إدارة المصادر التراثية، الحفاظ على المدن التاريخية، بينما اختلفوا في المفهوم في بعض المصطلحات والتي ما زال فيها خلط وعدم وضوح مثل مصطلحات الترميم والتأهيل (عليان، 35،2005).

اما مفهوم الإدارة (management) في أبسط صورها تعني تنظيم وتنسيق الجهود بصورة علمية من أجل تحقيق أهداف معينة ، فهي علم وفن يسعي إلي تحقيق أهداف تنظيمية محددة من خلال توظيف الموارد البشرية والموارد المادية . والإدارة لا تنتهي بوضع وتحديد الأهداف ، وإنما هي عملية مستمرة ومتواصلة تشمل العديد من الوظائف الإدارية الأساسية التي تتكامل وتتداخل وتتضافر من أجل الوصول إلي الغاية المنشودة . أما الإدارة التراثية والتي هي محور اهتمام هذه الدراسة ، فتتمثل في فرعين أساسيين الأول يعرف بالفرع الإداري ، والذي يهتم بموظفي الإدارة في الجوانب المالية وشؤون الأفراد . الفرع الثاني يسمي بالفرع الفني والذي يعني بالفنيين القائمين علي الجوانب الفنية من توثيق وتسجيل وتصميم ورسوم وصيانة وترميم . والإدارة تقوم بإدارة وانجاز العديد من الوظائف التي تتمثل فيما يلي :

التخطيط ، التنظيم ، التوظيف والتدريب التأهيل ،التوجيه ،المراقبة ،التقييم والذي يعد أحدث الأهداف الرئيسية لقواعد وأسس الإدارة الحديثة. (قسيمة : 2008م : 34) ولقد تعددت المصطلحات في تعريف إدارة الموارد الثقافية ومهامها فعرفت بإدارة الموارد الأثرية Archaeologi-calResourceManagement وادارة التراث الآثاري Archaeological Heritage Managemen وإدارة الموارد الثقافية Cultural Resoure Management وجميعها نتصب في في مجالات حماية صون الاثار والترات ويمكن تعريفها على انها العديد من السياسيات والمناهج التي تخاطب وتتعامل مع الاثار علي المستوى الاقليمي والعالمي وظهرت هذه التوجهات وتبلورت رؤيتها وتوحدت مقاصدها نتيجة للتطورات الفكرية العالمية نحو قضايا الاثار والتراث والتعامل معها كإرث عالمي يخص البشرية برمتها كما ساعدت العوامل التي تهدد الموارد التراثية (المواقع الآثارية والتراثية بجميع أشكالها ومكوناتها دور كبيرا في تفعيل هذا الحراك العالمي (الماحي ، 2017 ، 89).

تعريف إدارة الموارد الثقافية Cultural Resoure Management I:

تعددت المصطلحات في تعريف إدارة الموارد الثقافية ومهامها فعرفت بإدارة الموارد الأثرية ArchaeologicalResourceManagementوادارةالتراث الاثاري Archaeological Heritage Man-agemen وإدارة الموارد الثقافية Cultural Resoure Management وجميعها نتصب في في مجالات حماية صون الاثار والترات ويمكن تعريفها على انها العديد من السياسيات والمناهج التي تخاطب

وتتعامل مع الاثار علي المستوى الاقليمي والعالمي وظهرت هذه التوجهات وتبلورت رؤيتها وتوحدت مقاصدها نتيجة للتطورات الفكرية العالمية نحو قضايا الاثار والتراث والتعامل معاها كإرث عالمي يخص البشرية برمتها كما ساعادت العوامل التي تهدد الموارد التراثية (المواقع الأثارية والتراثية بجميع أشكالها ومكوناتها دور كبيرا في تفعيل هذا الحراك العالمي (الماحي ، 2017 ، 89). ويعرف بعض علماء الاثار ان إدارة المواقع التراثية هي علم إدارة المصارد الاثارية وهو علم حديث من ناحية التكوين والنشأة ، ظهر أول مرة في الولايات المتحددة الأمريكية في مطلع السبعينات من القرن الماضي حيث تم وضع الاسس والمناهج والنظريات التي لاقت رواجاً وقبولاً واسعا بين الاوساط العلمية والبحثية والمؤسسات الاكاديمية(سعيد،2019، 7). ويعرف الآثاري بلتر(Butler) ان مفهوم إدارة التراث الثقافي مفهوم واسع يتضمن حصر ومعرفة وتوثيق وتقييم موارد ومعالم التراث الثقافي ووضع الخطط لإدارة مواقع غير قابلة للتجديد وتشمل الموارد الثقافية المباني التراثية والمعالم والصروح التاريخية والمواقع كما يرى أن مفهوم إدارة الموارد الثقافية يتضمن كل الموارد الثقافية التي هي من صنع البشرية مثل المعالم ومظاهر البيئة الطبيعية المادية المرتبطة ارتباط وثيق بالنشاط البشري ويتسع المفهوم ليشمل المواقع الاثارية ويقدم لنا الآثاري فوقان تعريف آخر لإدارة الموارد الثقافية (هو ادارة الموارد الثقافية التي هي من صنع البشر وكذلك نعالم وظاهر البيئة الطبيعية المادية التي لها ارتباط وثيق بالنشاط البشري ويميز هذه الموارد الثقافية بانها غير قابلة للتجديد واعادة الانتاج ويشمل هذ المفهوم المواقع الاثارية المباني التاريخية ، التراث العمراني ومنظر البيئة الثقافية ذو الابعاد المرتبطة بدائر الانشطة البشرية(Fagan:1998: p544)

أما علمياً يشير الآثاري كيفي (kefee) بأن مفهوم ادارة الموارد الثقافية مفهوم واسع يعني تعريف وتجديد الموارد الثقافية او نشر البحوث العلمية ذات الصلة بها كل ذات الصلة بها كل الفترات التاريخية حتى يستفيد منها المجتمع الانساني (kefee:1988: 47).

-أما في الولايات المتحددة الأمريكية ركز مفهوم إدارة الموارد الثقافية على حماية وحفظ مواقع ومعالم الموارد الثقافية وضرورة الحفاظ عليها ووضع خطة إستراتيجية لإدارتها على النحو الصحيح وقد حدد المفهوم المجالات والموارد الثقافية التي يجب الحفاظ عليها كما اهتم المفهوم بدور الوعي الجماهيري في حماية وصون الموارد الثقافية ويمكن اعتبار أن نشأة علم إدارة الموارد الثقافية في الولايات المتحددة الأمريكية ارتبط بظهور الثورة الاقتصادية وما أعقبها من نهوض تدريجي في المشاريع التنموية ومشاريع البنية في نطاقات جغرافية واسعة احتوت على العديد من المواقع والمعالم الاثارية والتراثية (قسيمة :2008: ص73).

أما في أوربا وبعد عقدين من الزمان من ظهور المصطلح الأمريكي (CAM) عملت الأوساط العلمية على تبني مصطلح جديد لإدارة التراث الثقافي أطلق عليه (إدارة التراث الاثري) ويرى كثير من علماء الاثار أن المصطلح الأمريكي هو الأشمل والاكثر تطور في مجال حماية وصون التراث الثقافي مقارنه بالمصطلح الاوروبي (AHM)(سعيد ، مصدر سابق ، ص 12).

أهداف إدارة الموارد الثقافية:

وتهدف إدارة التراث الثقافي لتحقيق عدد من الغايات والأهداف يمكن تخليصها في الاتي :-

1. يعد التراث الآثاري ملكاً عاماً لجميع المجتمعات الإنسانية وعلية تكون حمايته وصيانته مسؤولية تضامنية بين كل دول العالم وفقا للقوانين المعمول بها في كل قطر ودولة.
2. سن مجموعة من القوانين وتشريعات لحماية التراث الآثاري على النطاق المحلي والاقليمي.
3. إجراء المسوحات الآثاري للكشف عن المواقع الاثارية وأوضاعها وهو يمثل ذلك في إن كل دولة لها الحق في أجراء المسوحات اللازمة لمعرفة ما يوجد فيها من شواهد ومواقع اثرية داخل الحدود السياسية والجغرافية، فلايمكن التخطيط والحماية لما هو مجهول.
4. تفعيل دور علم الآثار الأنقاذي والعمليات الوقائية لحماية وحفظ المواقع الاثارية من كافة المهددات سواء كانت العوامل الطبيعية وتأثيرها السلبي علي المواقع الاثارية اومن ناحية العوامل البشرية مثل التأثيرات الناتجة عن المشاريع الاقتصادية والتنموية.
5. المتابعة والحصر الدقيق لمعرفة المستجدات العلمية والتطبيقية في مجالات حفظ وصون التراث الثقافي (الماحي، مصدرسابق ،ص91).

منهجية إدارة مواقع التراث الاثاري Archaeological Heritage Management:

تعامل أحدث التوجيهات العالمية في سياسيات حفظ الموارد التراثي بأنه جزء من الحاضر ومستقبل الحاضر والمستقبل حيث تهتم بوضع سياسية للارتقاء بالموارد بما يتلاءم مع المستجدات والتطورات في مجال العمران مع تأكيد ضرورة المحافظة عليه وتطوير بيئتهُ لتتلاءم مع الاحتياجات المعاصرة وتشمل تلك السياسة على عدة إستراتيجيات أهمها المحافظة على الموارد وتتضمن كافة الجوانب التي توفر له البقاء لأطول فترة ممكنه لتأدية دوره في المجتمع وإعادة توظيفه كمحور رئيسي مدخل مباشر للارتقاء به (المحاري:2017 ص33). وتتمحور خطة إدارة المواقع التراثية حول التخطيط ، التنظيم ' التوظيف ، التدريب ، التأهيل ، المراقبة ' التقييم (قسيمه ، مصدر سابق 43) حيث يتعمد التخطيط على التصدي للمشاكل التي تواجه المواقع التراثية بأفضل الطرق ووضع خطط إستراتيجية لحفظه وتطوير بنيته لتوافق مع الاحتياجات المعاصرة للمجتمع المحلي لما يمكن أن يقدمه هذه المورد في إطار الخطط السياحية الأوسع للدولة يتضمن ذلك وضع خطة لإدارة الموقع تقوم على توظيف المقومات والامكانيات التي يتمتع بها الموقع بغرض تسويقها سياحيا ووضع خطط لمشروعات سياحية جديدة يتم فيها استغلال المساحات غير المستغلة حيث تعمل هذه المشروعات المقترحة على تحسين الوضع الاقتصادي والاجتماعي للسكان المحليين المرتبطين بالمواقع وذلك استثمار جديد للمواقع التراثية واحياء المهن والحرف التقليدية و وتوظيف الموارد التاريخية والثقافية وتحويلها الى قيم ومنافع اقتصادية وثقافية يستفيد منها الوطن بشكل

عام والمجتمع المحلي بشكل خاص ويتم ذلك عبر تنفيذ المشروعات الجديدة في المواقع وتطوير المشروعات القائمة أصلاً وترقيتها وتأهيل الإدارة وتدريب الكوادر البشرية وتوجهها ثم أخيراً ينبغي عرض مخططات زمنية يمكن من خلالها رصد التقدم وتقييم الخطة(رحمة :2020: 12)وتشمل منهجيات إدارة الموارد الثقافية على أسس وقواعد محددة تتخذ سياسية إدارية متكاملة تسند على اربعة محاور أساسية وهي:

المحور الأول : تحديد المورد التراثي:

يقصد به علمية التفتيش المنهجي على المورد ومحيطه التاريخي وبيئته المادية ومسحها وتوثيقها متضمنه جميع مراحل المسح العام لموارد التراثية في كل دولة ووضع قاعدة بينات معلوماتية توضح معالم هذه الموارد وحدودها وأنواعها وأنماطها وطبيعتها وتضمين كل هذه المعلومات في السياسات التخطيطية للدولة على المستوى المحلي والاقليمي وذلك من أجل حمايته او وضع الخطط لإدارتها والاستفادة منها اقتصاديا.

التعريف بأهمية الموارد الثقافية:

تعني هذه الخطوة التعريف التاريخي للمعلم وحيطه وتقييمه ومن ثم إعطاء الاهمية الخاصة به وتعتم أهمية هذه الموارد على طبيعتها وعلى بعض السمات والميزات التي تجعلها كمورد ثقافي وقفاً لاعتبارات تاريخية، ثقافية ، فنية ، علمية إضافة لكونه مسرحاً للأفكار والمعتقدات والأحداث التاريخية والعلاقات الانسانية المتداخلة ، كذلك لابد أن يكون المورد مرتبطاً بتاريخ ثقافي معين أو بمجموعة حضارية معينة الشيء الذي يكسبه القيمة الرمزية التي لها معانيها وقيمها لدى الشعوب المنتمية لهذه الحضارة او الثقافة أخيراً لابد أن يكون المورد ذو طبيعية تكاملية في شكل توزيع المظاهر الثقافية للمورد بشكل يعكس وظيفتها والدور الذي كانت تؤديهُ وكل هذه السمات والمظاهر لا تفهم الا من خلال طبيعة تكاملية تشكل في نهاية الأمر مظاهر الانشطة والافكار التي كانت سائدة في الحقبة الزمنية التي يعود اليها المورد الثقافي(قسيمة :مصدر سابق:23).

الحفاظ على المورد التراثي وحمايته:

يشمل ذلك على التحليل والتشخيص وما يرتبط به من نظام هيكلي وذلك بغرض صيانتها ويتمحور منهج حماية التراث حول حماية القيمة الاستثنائية التاريخية والثقافية والفنية والفكرية لهذه الموارد وذلك بالحماية والتحكم في الحيز الجغرافي لهذه الموارد والعمل على توثيقها وترميها وصيانتها وتقليل حجم الأذي الذي تتعرض له (رحمة : مصدر سابق :ص4).

الخطط والبرامج والإستراتيجيات لصون وإدارة الموارد التراثية:

يعني ذلك وضع البرامج والاستراتيجيات والخطط الطويلة وقصيرة الاجل بما في ذلك عمليات التفيش المنتظمة والصيانة الدورية والرقابة البيئية وتعتمد الإدارة المثلى لموارد التراث على مبدأ التخطيط السليم لهذ العمل وتهدف إلى الاستفادة القصوى منها وكلما كانت الموارد معرضة للإهمال والتلف كلما كانت الحاجه الى التخطيط أكبر وأشمل كذلك تعني إدارة الموارد بتطوير

قدرات العاملين ومهاراتهم ووضع الخطط والاستراتيجيات لإدارة الموارد واستغلالها اقتصاديا بمعنى تحويل الفعل الحضاري الى قيمة اقتصادية عن طريق صناعة السياحة وصولاً إلى مراحل التنمية المستدامة وتبني أساليب التوعية المجتمعية بقيمة التراث وأهميته كما تبني برامج أخر للتعريف بالقيمة الاجمالية والاهمية التاريخية لهذه الموارد (الزهراني :2008 :ص32)

مهددات الموارد الثقافية في الخرطوم:

هدفت الباحثة في هذا المبحث لتحديد مهددات التراث الثقافي في ولاية الخرطوم، نظراً للدور الذي تؤديه في تدمير هذا التراث وتقديم نماذج متأثرة بصورة مباشرة او غير مباشرة من تلك المهددات ل وذلك اعتمادا على المعلومات المتوفرة من الدراسة الميدانية وتم تحديد المهددات على النحو التالي:

اولا : العوامل الطبيعية:

وتشمل عوامل التلف الفيزيائي وعوامل التلف الميكانيكي وعوامل التلف البيولوجي (النباتات – الحشرات)

1 -الأمطار:

يمكن لمياه الأمطار أن تدخل لمسام مواد البناء في المباني االتراثية إما عن تساقطها بشكل مباشر عل أسطح الجدران، أو بشكل غير مباشر عن طريق تسربها من خلال السقف أو الشروخ. ويعتبر الطريق غير المباشر لدخول الامطار لمواد البناء أكثر خطورة من التساقط والاتصال المباشر؛ نتيجة لما تقوم به مياه الامطار المتسربة من إذابة وحمل الاملاح وبعض التسريبات معها لداخل مسام المواد وشروخ الجدار وبالتالي تبخرها وتبلور الأملاح وتبلغ معدلات الامطار قمتها في الفترة من شهر يوليو إلى سبتمبر ووقفاً لبيانات هيئة الارصاد الجوي وتؤثر الامطار في المواقع التراثية المبنية من الجالوص والطين اللبن بصورة كبيرة جدا كما تؤدي إلى إحداث تلف في المباني التاريخية مثل تسربها بين الفراغات الموجودة بين طبقات الملاط والجدار والتي تؤدي إلى إحداث ضغوط داخلية على طبقات الملاط وبالتالي تؤدي إلى انفصالها وتساقطها، وهذا ما حدث في الواجهات الخارجية لاحد المساجد حيث تسربت مياه الامطار إلى الفراغ الموجود بين طبقات الملاط وأدى إلى احداث ضغط على الطبقة الخارجية وبالتالي انفصالها وتساقطها ولابد لنا من الاشارة إلى أن اتجاه الرياح في بلد ما يعلب دورا يستهان به في تلف بعض واجهات المباني المعرضة لهذه الرياح والتي تتحكم في اتجاه حبيبات المطر المتساقطة، حيث الواجهات الأكثر عرضة لمياه الامطار تصبح أكثر عرضة إذابة الاملاح وتسرب المياه أيضا إلى الفراغات ما بين طبقات الملاط وسطح الجدار. والجدير بالذكر أن لمياه الامطار دور في عدم استقرار المبنى التاريخي إذا كانت التربة طينية أو تحتوي على نسبة من المركبات الطينية، والتي عند امتصاصها للمياه تنتفش وتشكل ضغطا على أساسات المبنى، وأيضا عند جفافها أو انخفاض منسوب المياه االارضيةيحدث لها انكماش، وتكرار عملية التمدد والانكماش للتربة يؤدي إلى عدم استقرار المبنى وحدوث هبوط وتشرخات في الجدرانن.

السيول والفيضانات:

هناك ثلاثة انواع مختلفة من الفيضانات المختلفة تؤثر على المواقع التراثية في ولاية الخرطوم

فيضان النيل:

يحدث هذا النوع كل عام حيث يصل النيل الأزرق قمة تدفقاته خلال الفترة من شهر يوليو إلى سبتمبر أما النيل الأبيض نجد قمة تدفقاته خلال فترة أغسطس -سبتمبر عندما تنحجز كنا سيب النيل الازرق مما يؤثر على مناطق كثيرة داخل الإقليم لذك نجد ان النيل الأزرق هو النيل المسئول عن فيضانات النيل الابيض والنيل الرئيسي إضافة فيضانه وأوضحت الدراسات من تسعينيات القرن الماضي وجود مجموعة من العوامل التي جعلت مجرى النهر أكثر عرضة لإضرار الفيضانات كالدراسة التي قام بها أبوبكر عثمان 1994م وضح فيها ضيق قاع نهر النيل وبالتالي قلت طاقة قناته مما جعله عرضة لمناسيب مياه مرتفعة وفيضانات أيضاً سلسلة الجفاف الطويلة لتدفقات النهر فقد غيرت من اعتقاد الناس فيما يتعلق بحزام فيضان الميل مما أدي إحتلال متزايد للمناطق التي كانت تعرف سابقاً بالمناطق العرضة للفيضانات مما أدى الى زيادة في كمية المياه فوق منابع النيل بالهضبة الأثيوبية نتيجة للزيادة في كمية الأمطار وإزالة الغطاء الشجري

2 -الفيضانات بواسطة الأنهار:

يعتبر هذا النوع من الفيضانات أحد المشاكل الكبرى التي تواجه المواقع في الخرطوم بصورة عامة والمواقع الاثارية بصورة خاصة فهو يفوق مشكلة فيضان النيل فهو مستقل عن فيضانات النيل على الرغم من أنه يزيد في حدته بالقرب من المناطق السفلى للوديان حتى يضم إلى النيل ان هذا النوع من الفيضانات جسمية يصعب تقيمها وتحاشيها او السيطرة عليها نسبة للتضاريس الشديدة الانخفاض ومجاريه غير الواضحة ذات التحول السريع إضافة الى ان نشاط الرياح الذي يحدد ما بين فترات الفيضان كثيرا مما يؤثر على أنماط الصرف المائي في اراضي القيزان شمال النيل الأزرق مما يؤدي إلى حدوث نمط من الفيضان المكاني العشوائي المتوقع .

3 - فيضان الحضر:

يحدث عندما تسقط أمطار غزيرة في مدينة الخرطوم تتحول العاصمة إلى شوارع عائمة نتيجة لصعف أنظمة التصريف إضافة إلى تضاريس المنطقة شديدة الإنخفاض فهذان العاملان يجعل بطئياً مما يؤدي إلى

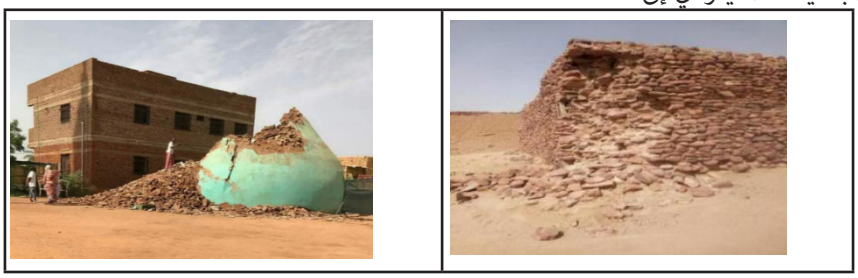

لوحة رقم (1) توضح تأثير الامطار والسيول على موقعي الغار وقبة عبد الدافع الجموعية (الباحثة 2022م)

ظاهرة الهدام :

هي كارثة بيئية تهدد مديتين تراثية على شاطي النيل هما توتي والجبلي ويعرف علماء البيئة الهدام أو عملية تأكل الضفة بسبب اصطدام المياه الجارية بتأثير مرتفع مما يسبب تأكل في جزئيات التربة المكونة للمباني وتم اكتشاف مشكلة الهدام في الجيلي منذ عام 2005م وتم معالجتها بطريقة تقليدية ونجد ان موقع قصر الزبير باشا هو اكثر منطقة متعرضة للزوال بسبب قربه من الضفة الغربية من نهر النيل اما هدام توتي شكل خطراًعلى موقع طابية توتي الواقعة في محاذة نهر النيل .

لوحة رقم (2) توضح ظاهرة لهدام في مناطق توتي والجيلي الباحثة 2022م

التذبذب في درجات الرطوبة:

مما لا شك فيه إن ذلك التذبذب في معدلات الرطوبة ونتج عن ذلك التذبذب في الدرجات حيث تصل نسبة الرطوبة في بعض المباني الى 100% مثل مباني الفترة التركية في وسط الخرطوم واثر ذلك التذبذب على المباني الطينية خاصة الطوابي وقصر الزبير باشا وبيت الخليفة عبد الله التعايشي ونتج عن ذلك التذبذب في درجات الرطوبة العديد من المهددات والمخاطر التي تعمل تلف المواد العضوية والغير العضوية في المبني فعند حدوث ارتفاع الرطوبة النسبية حدث التالي

إذابة المواد الربطة والمدونات.

إذابة الأملاح القابلة للذوبان في الماء وتحركها في الأحجار المسامية.

إذابة جميع المكونات الجبسية وتخلخل استقرار الطبقة الصخرية لأرض البناء بسبب صعود المياه الجوفية من التربة إلى الأرضيات والجدران بواسطة الخاصية الشعرية او بسبب ضغط المياه تحت كما في السراديب تحتها مياه جوفية

مسببات الرطوبة :

الأمطار:

ان معدل هطول الامطار يؤثر على المباني بشكل ملحوظ ففي حالة الامطار الغزيرة نجد جدران المباني مبللة الي فتره زمنية كبيرة وكمية المياه الموجودة على السطح تكون كبيرة وبالتالي

زيادة المياه الجوفية وتسود المبني حاله من الرطوبة لوجود المياه بالقرب من المبني وعلى جدرانه وتحته.

المياه الجوفية:

تعتبر من انواع المياه التي تؤثر على المباني تأثير كبير حيث تحمل معها املاح ذائبه تؤثر على جميع اجزاء المبني حتي المواد المستخدمة في اعمال البناء لذلك فهي من مسببات الرطوبه الخطير جدا.

يحدث نتيجة لتسريبات للمياه من الأماكن المرتفعة للمنخفضة وعدم الاستخدام الجيد للمياه والاسراف في استخدامها مما ينشئ الرطوبة وهي كمية من بخار الماء تزداد بارتفاع درجة حرارة الهواء مما تسبب رطوبة تتكاثف على الحوائط والأسقف والأرضيات الباردة عندما يلامسها الهواء الساخن.كما تظهر في صور نموذج لتأثير الرطوبة على المباني.

لوحة رقم (3)توضح لتأثير الرطوبة على بوابة عبد القيوم ومسجد الشيخ مدثر الحجاز)

تأثير الاملاح:

تحتوي التربة على كمية كبيرة من الاملاح المختلفة سواء كانت املاح ذائبة او غير ذائبة مثل الكلوريدات والكبريتات والفوسفات والنترات والكربونات والكبريتات تعتبر من أهم العوامل المساعدة في تلف الابنية غالباً ما تكون الاملاح على جدران المبنى ولهذا تكون عملية معالجتها تشمل الجدران الحجرية المتعرضة للتلف المصاحب للأملاح كما موضح في اللوحة.

لوحة رقم (5) توضح تأثير الاملاح على جدران مسجد الحجاز مدثر الباحثة 2022م

التذبذب في درجات الحرارة:

تعتبر مدينة الخرطوم من المدن ذات درجات الحرارة العالية في السودان حيث تتبلغ متوسط درجة الحرارة وفقاً لمعدلات الحرارة الصادرة من هيئة الارصاد الجوي إلى 38درجة مئوية في فصل الصيف وتقل تدريجياً في فصل لشتاء حيث تصل إلى16درجة مئوية في شهر فبراير واثر ذلك التذبذب في درجات على المواقع والمباني التراثية في مدينة الخرطوم مما أدى الى حدوث تشققات وانفصال في مواد البناء خاصة في طبقات الملاط والزخارف الجصية في عدد من المباني كما عمل الاختلاف في معدلات الحرارة بين التمدد في الحرارة المرتفعة والانخفاض في حالة الحرارة تعرف هذه العملية بالتحرك الحراري.(Thermal Movement)

وينتج عن تلك العلمية حدوث شروخ في المباني وبالأخص في الاجزاء العلوية منه والمعرضة بشكل كبير لأشعة الشمس. كما يوثر التذبذب على العناصر المعمارية الاخرى مثل الأبواب والسقف والنوافذ فعند تعرضها لذلك التذبذب في درجات الحرارة فإنهاتفقد محتواها المائي وتحلل مع مرور الوقت وهو ما يعرف بعملية التحلل الحرارى(Thermal)(Degrdation of wood).

لوحة رقم (6)توضح انفصال طبقات الملاط على موقع قبة عبد القادر المنصور الكلاكلة(الباحثة :2022)

العوامل البيولوجية:

تمثل عوامل التلف البيولوجية والبشرية في تأثير الطيور والحشرات والكائنات الحية الدقيقة والنشاط البشري على مواد البناء في المباني التراثية بمدينة الخرطوم

أولاً تأثير النباتات والأشجار:

من الملاحظ وجود عدد من الأشجار حول عدد من المواقع مما يؤدي لحدوث تلف فيزيائي او كيميائي نطراً لطبيعة التربة الطينية المكونة للمباني مثل الطوابي وغيرها من المباني وتؤثر تلك الاشجار على استقرار المبني لما تقوم به من إضعاف وخلخلة في التربة واختلال اتزان المبنى الأثري وتعمل بعض الاشجار على جفاف التربة مما يؤثر على اساسات الجدران المجاورة كما نجد أن النباتات الصغيرة تعمل على احدث ضعف بين المادة الرابطة بين كتل الحجارة مما يؤدي الى تفتيتها وتساقطها بصورة متدرجة عبر الزمن .كما يؤدي إلى انكماشها وتأثيرها على أساسات الجدران المجاورة. كما أن نمو وتغلغل جذورالاشجار العالية في داخل التربة ممكن أن يؤدي إلى الضغط على الحوائط المدفونة بها نتيجة ما تبذله هذه الجذور من قوى لمقاومة الرياح في الخارج.

التلف الكيميائي:

جذور النباتات بأنها حمضية حيث تحتوي أسطحها على نسبة عالية من ذرات الهيدروجين +H كما أنها تفرز بعض المواد التي تنفذ إلى داخل التربة مسافة 2-1 مم، ونتيجة لحمضية الجذور والإفرازات العضوية وغير العضوية لها؛ تحدث عملية التجوية للأحجار ومواد البناء المدفونة في التربة بفعل التفاعلات الكيميائية.وتؤثر النباتات على أسطح الحجارة أيضا عن طريق رفعها للرطوبة على السطح والتي تساعد على نمو بعض الكائنات الحية الدقيقة، وكذلك تساعد غازات التلوث الجوي على مهاجمة سطح االاثر ويظهر ذلك بوضوح في قباب الاتراك في الخرطوم بسببها قربها من مكب نفايات ورقية في البنك العقاري يقع في جهة الشرقية الشمالية من مبنى القباب. كما أن وجود النباتات الكبيرة (الاشجار (في الموقع يزيد من نسبة الرطوبة في التربة في حال الري الزائد، وبالتالي إذابتها ونقلها الاملاح للأثر. ومن جانب آخر تعمل بعض أنواع الأشجارعلى خفض مستوى الرطوبة في التربة المحيطة مما يؤدي إلى انكماشها كما في حالة التربة الطينية وبالتالي االختلال تربة المبنى

لوحة رقم (7) توضح تأثير النباتات والحشائش على طابية الملازمين - تصوير الباحثة (2022م)؟

تأثير الحشرات:

ولعل من ابزرها النمل الابيض ويتمثل دور النمل الابيضفي عمليات تلف المباني فيما يقوم به من حفر النفاق تتخذهاما مأوى داخل التربة مما يؤدي إلى خلخلة لتربة تصدعها هذا بالاضافة إلى تأثير على المونة وطبقات الملاط والاخشاب في المبنى ويظهر تأثرها في عدة أشكال منها وجود سراديب طينية على جدران المباني كما موضح في اللوحة

(لوحة رقم (8) توضح تأثير الحشرات على قبة دفع الله الغرقان - تصوير الباحثة)

العوامل البشرية

مما لا شك فيه ان التأثيرات الناجمة عن العوامل البشرية على التراثالثقافيأكبر بكثير من تأثير العوامل الطبيعية، فالتطور التكنولوجي أسهم في التسريع من وتيرة التطور

العمراني في الكثير من المدن السودانية التي كانت في بدايتها تريد أن تسرع في عملية التنمية، ومن ثم لم تكترث كثيرا بقضية الحفاظ على التراث الانساني في ظل غياب وعي أهميته آنذاك. إلى جانب التطور الصناعي المؤدي إلى زيادة التلوث البيئي، وأدى أيضا إلى التأثير في التراث الآثاري. وإن التطورر التقني أسهم في صناعة أسلحة ذات قوة فتاكة أبادت البشر والاثر واسفرت عن وجود كارثة حتمية ادت الى تدمير عد من المواقع التاريخية والثقافية وتشير نتائج الاعمال الميدانية التي قدمتها الباحثة إلى أن العوامل البشرية بكافة أنواعها هي من أهم عوامل تهديد المواقعا التراثية وتدميرها كلياً. وتم تقسيمها على النحو التالي:

التوسعات العمرانية:

- شهدت ولاية الخرطوم كسائر الولايات في تسعينات القرن الماضي العديد من التطورات العمرانية في مدنها الثلاثة (الخرطوم - بحري -أمدرمان) مما اثر بصورة مباشرة على المباني والتراثية وادي الى اختفاء معالمها بصورة كبيرة مثل االتوسع العمراني الخاطئ في مسجد الفاروق والمسجد الكبير وقباب الاتراك جعل التوسع العمراني تلك المباني في حيز جغرافي ضيقا دي الى خروج تلك المباني من التوافق البانورامي الصحيح كما خلق نوع من التشوية البصري للمباني واذا ما عقدت مقارنة بين الخرائط الحديثة لمنطقة الخرطوم ومبانيها التراثية نجد ان ذلك التشويه البصري واضح في مدنها الثلاثة كما نجد ان جميع الحكومات لم تعمل جاهدة لمقاومة التوسع العمرانية الخاطئة بل فتحت ذراعيها للمزيد من المشاريع العمرانية مع قصور في كافة إجراءات الحماية اللازمة للمباني التراثية خاصة الاسلامية في ولاية الخرطوم.

مشاريع التنمية والبنية التحتية:

ما ينطبق على التوسعات العمرانية في ولاية الخرطوم ومدى تأثيرها على المباني التاريخية و التراثية ينطبق على مشاريع التنمية والبنية التحتية خصوصاً فيما يتعلق بمشاريع انشاء المدراس والمستشفيات والطرق وغيرها من مشاريع البنية التحتية ودورها الكبير في ازالة الكثير من المعالم التراثية في ولاية الخرطوم التي حل محلها مشاريع تنموية مختلفة كانت مطلبا في ذلك الوقت للنهوض بمدينة الخرطوم تنموياً واقتصاديا وخير مثال ضريح السيدة زينب والدة الامام المهدي في مستشفى الخرطوم التعليمي حيث تحول المبنى لمركز للفحص وتم نقل الرفاة لجزيرة ابا حمد النيل كما نجد ضريح البتول بت البر في المجلس التشريعي تم فقله ونقله إلى مدافن حمد النيل, كما نجد أن بعض المشاريع ساهمت في ظاهرة حجب الرؤية والتلوث البصري لبعض المواقع مثل مشروع موفق السيارات الذي استطاع حجب الرؤية عن المواقع التراثية خاصة في ميدان أبو جنزير وقباب الشهداء في مدينة أمدرمان.

هجرة المباني:

تأثير هجرة المباني التاريخية على تلفها في حالات عديدة منها هي ترك الملاك والسكانالاصلين للبيت وانتقالهم إلى قبل السكان أماكن سكن أخرى، حيث يحل مكانهم سكان ومستأجرين آخرين.

وهذه الحالة ينتج عنها دمار وتدهور للمبنى نتيجة إستخدامه بطريقة غير لاقئة السكان الجدد الذين في الغالب الا يقدرون قيمة هذا المبنى الفنية والتاريخية. وهذا بالفعل ما حدث في سرايا عبد الرحمن المهدي. وقد أدى هذا الفعل إلى تدهور المباني القديمة نتيجة استغلالها من قبل سكان آخرين يمثلون طبقة من العمالالاجانب (دولة جنوب السودان) ذوي الدخل المنخفض حيث يتشاركون قيمة الايجار ويعيشون بأعداد كبيرة داخلالمبنى، فيما تستخدم أجزاء كبيرة من المبنى لأغراض غير متلائمة مع وظيفتها القديمة مثل استخدام الغرف كمطابخ وحمامات. وإجراء إضافات وهدم أجزاء داخل البيت؛ مما يغير من طبيعة ووظيفة المبنى وتصميمه الداخلي ويقلل من قيمها التراثية والتاريخية.

لوحة رقم(9) توضح هجرة للمباني (سرايا الامام عبد الرحمن -تصوير الباحثة).

التدخلات الغير مناسبة :

وتشمل اعمال الصيانة والترميم والتحديث والتجديد الخاطئ

اعمال الصيانة والترميم الخاطئ:

من الملاحظ من خلال الدراسة الميدانية أن معظم أعمال الترميم والصيانة كانت غير مناسبة وتم نتفيذها بواسطة كوادر غير متخصصة في مجال الترميم وعدم خضوعها لاختبارات وتجارب تؤكد مدي صلاحية الخطوات العلاجية والابتعاد بصورة واضحة عن اتباع اسس الترميم والصيانة الصحيحة ومن أمثلة التدخلاتغير المناسبة في المباني التاريخية في الخرطومهي استخدام الاسمنت البو تلادي على نطاق واسع في اعمال الصيانة واذا اخد مثال مسجد الفاروق نجد ان مشروع صيانته وإعادة تأهيل شكلت مهدداً يقلل من قيمتها التاريخية والثقافية والوثائقية

وبالنظر الى تقارير عن مشاريع الصيانة والترميم التي بدأت تعيرها بعض الاخطاء مثل بعض الأجزاء المفقودة كشط دهانات الابواب وفقدان جزء من الزخاف المعدنية و تشويه الجدران بالتوصيلات الكهربائية العشوائية التوصيل , كما أن لتوصيلات الداخلية للكهرباء أدت لتلف الزخاف الداخلية علماً يان الزخاف لا يمكن اعادتها بسهولة مرة أخرى كما موضح في الصورة

لوحةرقم (10) توضح أعمال الصيانة والترميم الخاطئة في مسجد الفاروق الباحثة 2022م

أعمال التجديد والتحديث:

نجد أن الكثير من المباني في منطقة الدراسة تعرضت لعوامل التحديث والتجديد بصورة خاطئة ما أدى الى تقليل القيم الثقافية والتاريخية للمباني مثل مسجد قدح الدم الذي جدد بطريقة عمرانية حديثة محت كل اثرالتراث المعماري المشابهة للمساجد في بداية عهد الدولة المهدية كما نجد بعض التحديثات العمرانية في قبة حمد ودأم مريوم وبناء على طراز عمراني جديد مما قلل القيمة التراثية للمبنى كما نجد أن مشروع تأهيل القصر عمل على تقليل قيم الأصالة والتاريخ مثل استبدالالأبواب والشبابيك المصنوعة من الخشب المنقوش والمزخرف إلي أبواب وشبابيك من الألمونيوم، وقد قامت شركة الدار الاستشارية بهذا المشروع، كما عملت الإدارة الهندسية بالقصر على طلاء المباني من الخارج (بالبوماستيك)علي مراحل مختلفة دون أن يتم ترميم وصيانة البياض الخارجي، وتكونت طبقه كبيرة من مواد الطلاء علي البياض وقد أحدث ذلك تقشر في طبقة البياض ونتيجة لذلك التقشر حدثت تشوهات كبيرة في مظهر المبني من الخارج. وكذلك تمت بعض التعديلات التي أدخلت على المباني القديمة وإضافة مباني جديدة مختلفة عن نمط المباني القديمة، وتحديث وتغيير في شبكات المجاري وإضافة أحمال جديدة على المبني الأثري، وقطع وإزالة بعض الأشجار من حدائق القصر مما أدي لتغيير كبير في مظهر القصر التاريخي والأثري، بالإضافة إلى ذلك تم هدم برج (كنيسة القصرفي العهد الوطني.) وإضافة بعض العناصر المعمارية الحديثة دون المشاركة العلمية والتطبيقية مع اصحاب المهنة مثل الآثاريين والمعمارين.

لوحة رقم (11) توضح لأعمال التحديث والتجديد في القصر الجمهوري - الباحثة 2022م

قلة الوعي المجتمعي بأهمية المباني التراثية:

لاتزال شرائح كبيرة من المتجمع السوداني قليلة الوعي تجاه مواقع الدراسة وما تحمله من قيم حضارية وسياسية ودينية وربما يعزى ذلك لغياب برامج التوعية الجماهيري بأهمية التراث عبر الوسائل الاعلامية المختلفة ونجد ان قلة الوعي المجتمعي بأهمية التراث شكلت واقعا ملموساً يحمل في حناياه العديد من الممارسات الإجتماعية الخاطئة حول المواقع التراثية مثل ظاهر ة التسول حول المواقع التراثية خاصة المساجد أو القباب أو نشاطات تجارية في جزء من المواقع او المباني التراثية او ظاهرة الرعي في بعض المواقع كما نجد جهل من بعض مريدي الطرق الصوفية والكتابة على الحوائط والجدران ما يخلق تشويه العام للمبنى او استخدام بعض المواقع كمأوى دائم للمشردين مثل قباب الشهداء ومصدراً لفضلات الحيوانية والادمية كل تلك الممارسات وغياب دور المؤسسي في حماية الموقع يقودنا إلى فقدانها إذا لم يتدخل بصورة عاجلة لحمايتها وانقاذها .

لوحة رقم (12) توضح لكتابة الحائطية على مبنى بينية الشيخ ود سرور- الباحثة 2022م

السياحة وتأثير الزوار:

الانشطة والزيارات السياحية العشوائية تمثل خطراً كبيراً على المواقع والشواهد التراثية والسياحة العشوائية هي زيارة المواقع التراثية دون رفقه المرشد السياحي أو الموظف المختص بدائرة الاثار والسياحة المتواجد بالموقع . ولهذه الزيادات اثر سلبي بالغ على المواقع الأثرية ويمكن ان نسمي الضرر والتلف الذي يلحق بالمواقع التراثية بتأثير الزوار يذكر (المحاري)أن بإمكان نشاط الزوار بداخل المباني الاثارية او التاريخية أن يؤثر عليها بشكل سيء بعدة طرق هي الاتصال المباشر بالأطراف او الملابس ، أو بتلوث المبنى بدخان السجائر، أو عن طريق زيادة نسبة الرطوبة والتكاثف بداخل المبنى القديمة إن تواجد إعداد كبيرة من الزوار في المباني القديمة يعتبر من الأسباب الرئيسية في تلف مكوناتها نتيجة لأنشطة سابقة الذكر. ويمكن تصنيف أنواع التلف الناتجة عن الزوار إلى:

1 - التلف الميكانيكي (Mechanical Deterioration):

تتؤدي حركة الزوار في الموقع إلى حدوث بعض التلفيات ناتجة عن:

الاحتكاك:

تؤدي عملية احتكاك أحذية الزوار بأسطح أرضيات الموقع مع وجود حبيبات الرمال إلى تآكل هذه الأسطح. كما أن احتكاك ملابس الزوار بالجدران يؤدي أيضا الى نفس الظاهرة السابقة وخاصة على أسطح الجدران الملونة والمزخرفة.

2 -الأهتزازتVibrations :

إن الحركة المستمرة لمجموعة الزوار إضافة الى الاصوات المرتفعة للمرشدين السياحيين بالخصوص في الأماكن المغلقة تؤدي إلى حدوث اهتزازات تساعد على تساقط الاجزاء الضعيفة لمكونات الموقع مثل الحجارة وطبقات الكساء(الملاط)(المحاري :مصدر سابق :76)

التلوث الصناعي:

يؤثر على المواقع التراثية من خلال الغازات الصادرة عن المصانع والمحارق والعوادم في المواقع المجاورة للمواقع التراثية مثل موقع قباب الأتراك وقباب الشهداء وضريح ابو جنزير وذلك بسب تفاعل غازات ثاني أوكسيد الكبريت مع غاز الاوكسجين وينتج عنه حمض الكبريتيك كما يتفاعل مع الأمطار والرطوبة وينتج عنه حمض الكبريتوز وما ينتج عن من تفتيت للعناصر الانشائية للمبنى.

غياب الخطط الوقائية :

غياب مثل هذه الخطط والاجراءات جانبا مهماً في امن وسلامة الاثار من النهب والسرقة والعبث ويجب الإشارة إلى هناك واقع يفرض نفسه في الدولة السودانية هو أن الأثار والتراث الإنساني وبرامجها لا تحظى بأي مكانة في أولويات الدولة , فالأثار والتراث أمر ثانوي عندما تقارن مع الصحة والتعليم وهذا الواقع الذي لا مهرب منه ينعكس في تهميش الاثار والتراث وعدم وجود آلية إنقاذيه او وقائية لحماية وصيانه التراث الانساني في السودان .

غياب الكوادر المتخصصة في مجال الاثار:

يفتقر القطاع الثقافي في السودان الى لكوادر متخصصة ذات كفاءة مهنية وعلمية عالية , وليس كوارد إدارية رؤيتها منحصرة في الإدارة العامة للآثار والتراث ومعاملات الإدارية اليومية , فالأمر أكبر من ذلك فالآثار والتراث في حاجة لرؤية وتخطيط وتنفيذ ومتابعة مستمرة تقوم بها كوارد متخصصة في الاثار ومن ناحية اخرى ، يجب التصدي لجميع العوامل التي تؤثر سلباً على الاثار لكادر من الآثاريين ، له مؤهل علمي وكفاءة عالية لتقديم حماية ميدانية ومراقبة الاثار بشكل مستمر وتطوير سياسات وإستراتيجيات لإدارة شؤون التراث والأثار.

سلبيات مشاريع الحفاظ على التراث العمراني في ولاية الخرطوم:

على الرغم من المجهودات العلمية والتطبيقية التي تبذلها الهيئة القومية للآثار للحفاظ على التراث الثقافي في السودان عامة وفي ولاية الخرطوم بصفة خاصة لاتزال هناك العديد من العناصر المفقودة التي تحول بين منهجيات حفاظ شاملة وكاملة للتراث ويمكن اجمالها في النقاط التالية:-

عدم وضع سياسيات جديدة لحفظ وصون التراث الآثاري من قبل المسئولين في الدولة

عدم تحديد السياسيات المستقبلية لتطوير طرق الحفاظ على التراث الثقافي من قبل المسئولين في الدولة.

التخطيط لتحقيق التنمية المستدامة للتراث الآثاري والتاريخي في ولاية الخرطوم.

تطوير استراتيجيات التعاون الدولي في مجال المحافظة على التراث الثقافي.

مراجعة جميع الانظمة القانونية المرتبطة ببناء حول محيط المواقع التراثية والتاريخية من اجل الخروج بميثاق قانوني يساهم بصورة فعالة في الحفاظ على التراث.

مبادرة في وضع خطة كوارث مع الحكومة المحلية للتراث المهدد بالكوارث الطبيعية والحروب ومشاريع التنمية، وغيرها من المهددات

كارثة النزاع المسلح :

نظرا لما تم به البلاد بظروف سياسية وأمنية بالغة التعقيد بسبب النزاع المسلح بين فرقاء الدعم السريع والقوات المسلحة تتعرض جميع مواقع التراث الثقافي في مدينة الخرطوم للمخاطر الجسيمة منها التدمير الكلي أو الجزئي للمواقع الاثارية منها القصر الجمهوري- المتحف القومي- دار الوثائق المركزية - الكنائس القديمة في امدرمان - القباب والاضرحة في العيلفون-القباب في حمد النيل - قصر الزبير باشا) . ويعزي تدمير تلك المواقع لوقوعها ضمن نطاق المعارك الحربية او مواقع عسكرية او اسباب سياسية تعود لاحد فرقاء النزاع المسلح (الدعم السريع) تهدف الى طمس الهوية الثقافية ومحو الذاكرة الجماعية لامة السودانية عبر انتهاج عدد من السلوكيات البربرية مثل حرق مركز محمد عمر بشير، دار الوثائق المركزية ،وسرقة المقتنيات الاثارية والفنية في المتحف القومي ومتحف القصر الجمهوري وقصر الزبير باشا وغيرها من المرافق التي تعد الوعاء الاساسي للمنتوجات الثقافية والحضارية للسودان

منهجيات الحفاظ على التراث الثقافي في مدينة الخرطوم :

ان حسن إدارة المواقع الاثارية والمعالم التاريخية في الاقليم يشكلان عنصر مهما في الحفاظ على الموارد الثقافية التي تشكل السجل الخالد لأنشطة الانسان عبر مختلف الحقب التاريخية كما تساعد في فهم انماط تلك الانشطة والوصول الى جذورها الحضارية والثقافية هذا بالاضافة لحفاظ على قيمها الثقافية والحضارية الغير قابلة للتجديد، فالضعف والقصور في حمايتها يعني فقدانها وبالتالي فقدان هويتها الثقافية وتهديد ذاتيها الحضارية وغياب الانتماء والتواصل الحضاري .

تتمحور خطة ادارة المواقع التراثية حول التخطيط والتنظيم والتدريب والتأهيل والتوجيه والمراقبة حيث يعتمد التخطيط على التصدي للمشاكل التي تواجه الموارد بأفضل الطرق ثم وضع خطة استراتيجية لحفظ وتطوير بيئته لتوافق مع الاحتياجات المعاصرة للمجتمعات المحلية ولما يكمن ان يقدمه المردود في اطار الخطط السياحية الاوسع للدولة و استشرافا لمسابق وضع الباحثة عد منهجيات المقترحة لإدارة الموارد الثقافية في الخرطوم

مجابهة العوامل الطبيعية والبشرية:

فالنسبة للعوامل الطبيعية، ظلت الجهات الحكومية المتخصصة خاصة الهيئة العامة للآثار والمتاحف باتخاذ العديد من التدابير الانقاذية والوقائية لحماية وصون التراث الآثاري ولكن بالنظر الى الطبيعية الديناميكية لتلك العوامل يصعب على اي شخص الحد من التأثيرات السلبية المباشرة لتلك العوامل وبيرز هنا التحدي في علميات التقليل منها او الحد من تأثيراتها ، فالتراث الآثاري يتأثر سلبا بتلك العوامل التي تنجم عن الامطار والسيول والفيضانات - الرطوبة - التذبذب الحراري- والهدام) وغيرها من العوامل المرتبطة بصورة مباشرة الظروف المناخية ، الا انه من الممكن التقليل منها عن طريق ادراجها ضمن خطة ادارة الكوارث المتبعة في الدولة .اما بالنسبة للعوامل البشرية والتي يعد تأثيرها أكبر بكثير من العوامل الطبيعية مواجهة تأثيرات المباشرة والغير مباشرة من المشاريع التنموية والعمرانية عن طريقة اتخاذ إجراءات ملائمة لعملية التخطيط السليم لاي مشروع تنموي او عمراني تهدف الى حماية التراث الثقافي من أي خطر جراء تلك المشاريع ,فضلاً عن ايجاد خطط مستقبلية واضحة للحفاظ على التراث الثقافي من كافة المهددات والمخاطر الناجمة عن تلك المشاريع واعتباره جزء أساسي من أولويات الخطط التنموية الى جانب تحديث وتفعيل القوانين الخاصة بالجوانب التي يمكن أن تؤثر في المواقع التراثية ،خصوصا تلك المرتبطة بالمشاريع التنموية والاسكانية ومن المهم أيضاً الاقتداء بالإجراءات الوقائية والعمل على مراقبة وتقييم المشروعات سواء كانت حكومية أو فردية منذ ظهور فكرة الإنشاء بينة منظمة وفاعلة لتحديد المعالم الاثارية وتحديد التأثيرات الناتجة من المشاريع لاتخاذ إجراءات الحماية والوقاية اللازمة المناسبة للحد من ضياع التراث الثقافي للأبد. ولابد من وجود التنسيق بين وزارة السياحة والاثار واصحاب المشاريع التنموية وذلك من اجل تبني سياسيات وخطط تهدف الى الحفاظ على المواقع الاثارية والتراثية من خطر المشاريع التنموية ومن ثم تم العمل على توظيفها بالطريقة الملائمة ثقافيا وسياحياً او بوجهة نظر اخر العمل على خلق موازنة

بين المشاريع التنموية والعمرانية التي هي المطلب الاساسي لتنمية وترقية المجتمعات وحماية التراث الآثاري او الثقافي بحيث لا تؤثر التنمية في التراث الآثاري بطريقة تفقده قيمه الثقافية والتاريخية وقيم الاصالة .

2 - تفعيل القوانين والتشريعات لحماية المواقع جراء المشاريع التنموية ومشاريع البنية التحتية عبر ثلاثة نقاط أساسية

النقطة الاولى:

هي التنسيق بين قوانين الاثار والتشريعات والعقوبات كل ما تسول له نفسه على استقطاع واستحواذ موقع تراثي سواء كان اسلامي او غيره في ولاية الخرطوم .

النقطة الثانية :

اثراء النصوص التشريعية المعنية بتسيير التراث الثقافي في الدولة بوضع مواد قانونية جديدة تؤسس لضرورة علم الآثار الإنقاذي والعلميات الوقائية كعقد تنفيذي يستوجب مالك العقار نتفيدها لحماية مكونات التراث الآثاري في ولاية الخرطوم

النقطة الثالثة: هي تعميم مسئولية حماية التراث اعلى جميع القوى المجتمعية وطرحها كقضية اساسية شأنها شأن مشاريع التعليم والصحة وغيرها من مشاريع البنية التحتية.

التوعية الجماهيرية:

من المعلوم لدينا ، أن عملية حفظ وصون التراث الانساني هي مسئولية تضامنية لا تقع على عاتق الدولة واجهزتها الحكومية فقط بل هل المجتمع برمته وافراده مسؤولين وتتضح لنا الحاجة الماسة لتوعية جميع الشرائح المجتمعية عبر إستراتيجية تقوم على أسس علمية لبسط الوعي وبناء خطط وبرامج توعوية بين جميع قطاعات المجتمع وتستهدف الاستراتيجية فئات معينه في المجتمع وتقوم كل فئة مفردة وتوظيف انجع الوسائل العلمية اليها ومخاطبتها لبسط الوعي فيها ، كما من المهم اشراك المجتمعات المحلية عبر تبني العديد البرامج الثقافية في المواقع الاثارية والثقافية وتستهدف الاستراتيجية الفئات الاتية :

- توعية المواطنة
- توعية الاجهزة الحكومية
- توعية المدراس
- التوعية السياحية

ولضمان نجاح وتنفيذ لهذه الاستراتيجية يجب نتفيذ المقترحات التالية

تكوين لجنة لها المقدرات والخبرات العلمية في وضع ومتابعة وتنفيذ إستراتيجيات التوعية الشاملة بأهمية التراث ودوه في التعبير عن الكيان الحضاري والتاريخي لامة السودانية .

ضرورة ان تكون اللجنة تابعة إدارياً للوزارة الثقافة واي قطاعات حكومية ذات صلة بالشؤون الثقافية في البلاد.

المخاطبات الجماهيرية المباشرة مع المجتمع مع مراعاة ان تكون المخاطبة باسلوب بسيط ومباشر للعمل على اشراك تلك المجتمعات في علمية الحفظ.

التواصل مع المؤسسات التعليمية الحكومية ولخاصة التعليم قبل المدرسي والمراحل التالية لها لتعزيز روح الاعتزاز بالإرث الحضاري والثقافي للبلاد .

حماية التراث في ظل النزاع السلح:

يكاد من المستحيل حماية الموارد التراثية في الوقت الحالي لكن من الممكن التقليل من تأثيرات الحرب الحالية والاضرار الناجمة عنها وذلك عبر تعفيل عدد من الاليات يمكن خلال حماية تلك المواقع حتى تضع الحرب أوزارها وهي:-

تحليل نقاط القوه والضعف :

يعد من اهم الاليات الاستراتيجية إذا على ضوءه يتم تحديد الخطوات اللاحقة وشملت النقاط التالية :-

جميع المواقع التاريخية والاثارية والتراثية في اقليم الخرطوم عرضة للتدمير الكلي أو الجزئي بالاضافة الى احتمالية فقدان جميع المقتنيات الاثارية والفنية .

النقص التام في النظم المؤسسية التي تعتني بإجراءات التخطيط والعمليات الاستباقية للتكيف مع جميع التأثيرات والتداعيات الناتجة جراء المخاطر ذات الطبيعة الفجائية مثل النزاعات المسلحة وما يصاحبها من عمليات تدمير ونهب وسرقة قد تؤدي الى فقدان المورد التراثي الى الابد.

رسم خرائط الاخطار والمخاطر:

بعد تحليل نقاط القوة والتهديدات والفرصة يأتي دور رسم الخرائط لتحديد المخاطر كأداة فعالة لعرض آثار المخاطر بشكل مكاني مع السجلات التاريخية الخاصة حيث تعمل نظم المعلومات الجغرافية على تسهيل تكامل البيانات التي الحصول عليها من مصادر مختلفة مثل (الخرائط الطبوغرافية - الخرائط المطبوعة- الاقمار الصناعية) ويمكن تحليل هذه البيانات ويتم معالجتها وتحويلها الى خرائط ذكية(smart Maps). متصلة بقواعد بيانات المركزية فترسم كل ميزة عليها وتعدل على مدار الزمن كما يساهم هذا النظام في عمليات نقل المعلومات بصورة سريعة لصانعي القرار والباحثين والسياح كما يمكن رسم خريطة واحدة توضح المخاطر للحالية او خريطة لمجموعة من المخاطر المتعددة التي تحدث في الوقت نفسه ، كما تجمع بين تأثيرات المخاطر المتعددة مثل الحرائق- الفيضانات) في خريطة واحدة لإعطاء نظرة متكاملة عن المخاطر المحيطة بمنطقة الدراسة.

التحديث الدائم لبيانات تحديد المخاطر :

نظراً للطبيعة الديناميكية لحالة الطوارئ المحيطة بالموارد الثقافية في إقليم الخرطوم يجب على صانعي القرار تحديث حجم المخاطر بصورة منتظمة عبر تعزيز الشراكة العملية بين الجهة ذات الصلة بالكوارث والجهات المعنية سواء كانت جهات حكومية او المجتمع المدني او المنظمات وذلك عن طريق الإجراءات الاتية :-

- تحديد المعايير المناسبة لإنتاج البيانات .
- تدريب الأفراد على العمل
- إنشاء أدوات برمجية لتبادل المعلومات وتشاركها في اي وقت.
-وضع السياسيات المناسبة للنفاذ اليها واستخدامها في اي وقت

المناصرة الدولية :

من المهم جدا في خطط إدارة الموارد الثقافية ان تشتمل على محاور سياسية خاصة في حالة النزاع المسلح او الحروب وما يسفر عنها من تأثيرات على المعالم التاريخية والتراثية لذا يجب وضع عدد من الاليات السياسية مثل المناصرة الدولية من اجل خلق ارضية مشتركة بين الجهات المعنية بحفظ وصون التراث الانساني في السودان والمجتمع الدولي لضمان الاستجابة الانية لتدارك المخاطر المحيطة بإقليم الدراسة . بالاضافة الى تعزيز مبدأ التعاون مع المؤسسات الحكومية وبعض الجهات المعنية بحفظ وصون التراث الانساني في الوطن العربي مثل المجلس العربي للآثار في جمهورية مصر العربية الشقيقة - هيئة المتاحف القطرية وغيرها من الهيئات الدولية التي تساهم بصورة فعالة في حفظ وصون التراث الانساني بالاضافة الى المباحثات المباشرة مع المنظمات الدولية والعربية وعلى رأسها منظمة اليونسكو التي لها خطى محسوسة في حماية الممتلكات الثقافية اثناء النزاع المسلحة عبر تلقى الامين العام للمنظمة عدد من التقارير خاصة بتطبيق أحكام الاتفاقية والمواثيق العالمية المختصة بحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح عبر ارسال لجان معنية بحفظ الممتلكات الثقافية في الدول الاطراف ويحوز للمدير العام ايفاد ممثلين لمناطق النزاع للوقوف وتقييم أي حالة من حالات التدمير أو النهب واقتراح الحلول المناسبة لإعادة الحال لما كان عليه والجدير بالذكر هنا ان في حالة فقدان القطع الفنية او الاثارية تخاطب اليونسكو بصورة قانونية المتاحف والمؤسسات الدولية المناهضة عن تجارة الاثار عن فقدان تلك الممتلكات الثقافية مع تقرير مفصل يحتوي على الخلفية التاريخية لتلك القطع مع الصور الفوتوغرافية (ودافل 2011:ص134).

المباحثات القانونية:

من المهم جداً استئناف المباحثات القانونية لتوفير الحماية القانونية اللازمة لتلك عبر إرسال التقارير من قبل صانعي القرار للمحكمة الجنائية الدولية الموقعة على اتفاقية لاهاي عام

1954م لحماية الممتلكات الثقافية في حالة النزاع المسلح ويجب ان تكون تقارير مفصلة تفصيلاً كاملاً توثق جميع الانتهاكات الجسيمة التي تتعرض لها العديد من الموارد الثقافية على رأسها الاعتداء البربري على المتحف القومي الذي يمثل النتاج الحضاري والفكري للأمة السودانية نظراً لما يحتويه من قطع اثارية فنية تعود إلى الآف السنين بالاضافة إلى الاعتداء على دار الوثائق السودانية الذي يمثل الذاكرة التراثية للوطن السوداني في العصر الحديث لما تحتويه من وثائق ومخطوطات تاريخية نادرة لا يمكن تعويضها في حالة فقدانها .

بناء القدرات :

تحث المبادئ التوجيهية لإدارة مواقع التراث الثقافي الموضوعة من قبل منظمة اليونسكو على ضرورة وجود كوارد بشرية تتسم بدرجة عالية من التأهيل المهني والقدرة على ادارة تلك المواقع في مختلف التحديات والظروف, وفي الدول النامية مثل السودان يفتقر قطاع الثقافة والاثار لوجود قدارت مؤسسية لها القدرة على مجابهة المخاطر والمهددات المحيطة بالمواقع الثقافية وأن تأرجحت أسبابها بين العوامل الطبيعية والبشرية وربما يعزى ذلك الافتقار للعديد من الاسباب منها الجمود الوظيفي في تنفيذ المهام الموكلة بسبب البير وقطية في التخطيط الاداري واتباع أساليب تقليدية لا تواكب من المستجدات العالمية في الاداء الوظيفي او الندرة النسبية في تطبيق مخرجات الابحاث العلمية المتقدمة في مجالات حفظ وصون التراث هذا بالاضافة الى عدم وجود ميزانية مخصصة لقيام الورش , الدورات التدريبية بصورة منتظمة وغيرها من اليات بناء القدرات الوظيفية وتقودنا تتلك الاسباب الى وضع رؤي إستراتيجية تهدف إلى بناء القدرات المؤسسية عن طريق تعزيز الانظمة الادارية التي تعزز قيام العديد من الورش التدريبية لتطوير الجوانب التطبيقية وغيرها من الآليات التي تدعم وتؤسس لبناء القدرات المهنية لدى العاملين في قطاع الاثار والثقافة.

النتائج:

من خلال تدارس بينة ادارة الموارد الثقافية وما تم إيراده انفاُ من المهددات والمخاطر توصلت الباحثة الى عدد من النتائج العلمية يمكن في اجمالها في النقاط التالية: -

العديد من المواقع التاريخية والاثارية غير مسجلة في الهيئة العامة للآثار والمتاحف.

عدم وجود منهجية متكاملة للحفاظ على المواقع التراثية في ولاية الخرطوم ان هناك قصور في الخطط والموضوعة ان تكون رؤية متكاملة لحماية وحفظ التراث الثقافي في ولاية الخرطوم.

اكدت الدراسة الميدانية ان قوانين الحفاظ على المواقع الاثارية والتراثية بصورة عامة في السودان وبصوره خاصة في منطقة الدراسة مجرد حبر على ورق ولا يتم تنفيذه بصورة كاملة.

.لا يوجد إلى الآن مشروع للحفاظ على مدينة الخرطوم مماثل للمشاريع العالمية والعربية مثل مشروع الحفاظ على فاس والقاهرة وغيرها من المشاريع الحفاظعلى المواقع الثقافية

محدودية دور المحليات الثلاثة (الخرطوم - بحري - أمدرمان) او بالأصح غيابها كلياً بالإضافة على عدم وجود وحدات أو اقسام إدارية تهتم بقضايا حماية وصون المواقع المعنية بالدراسة.

الانفرادية في القرارات والحلول المنفصلة وعدم وجود نظام متكامل لجهات المسئولة أدى الى تعطيل علميات الحفاظ على المواقع الى جانب تعدد الجهات المسئولة خلق نوع من التعددية في القرارات الإدارية وتعارض المصالح المختلفة.

الندرة النسبية في دراسات المتعلقة بإدارة المواقع الثقافية في حالة النزاع المسلح.

التوصيات :

من خلال ما تم ذكره وما تم التوصل اليه من نتائج بحثية تقدم الدراسة عدد من التوصيات منها:

الاسراع في تسجيل المواقع الاثارية والتاريخية الغير مسجلة لضمان حمايتها وحفظها من كافة تداعيات المخاطر الحالية والمستقبلية

تأكيد ضرورة توحيد السياسات والأراء في الجهات المسئولة عن حماية وصون التراث الثقافي في ولاية الخرطوم واستعراض كافة الحلول والرؤى المقدمة للمشاريع الحفاظ على التراث الثقافي

اعادة هيكلة المؤسسات المهتمة بالتراث الآثاري والثقافي وترشيدها وظائفياً عبر تأهيل الكوادر البشرية بالشكل المطلوب من النواحي التخصصية والفنية والاكاديمية لتأدية كافة المهام المرتبطة حفظ التراث واستدامته مثل إحصاء التراث الثقافي والآثاري والمباني التاريخية والحفاظ عليه وطرق الترميم الصحيحة لضمان المحافظة عليه من كافة المخاطر والمهددات.

تأمين مصادر تمويل مشاريع الحفاظ عبر مختلف الطرق سواء كانت حكومية عبر اعفاء المواقع التراثية من الضرائب وترشيدها في علميات الصيانة والترميم الدورية او من خارج عن طريق طرح مشاريع استثمارية خاصة بالمواقع عن طريق تنمية وسائل السياحة المستدامة في المواقع ومن عوائد تلك العمليات الاستثمارية يمكن ضمان استمرارية حماية وحفظ المواقع التراثية .

مراجعة واستحداث القوانين المتعلقة بحماية الاثار السودانية والعمل على تطوير بما يلائم ويتوافق مع المواثيق الدولية الخاصة بحماية وتثمين التراث الثقافي والتواصل المستمر مع الجهات القانونية الدولية لاسترجاع المنهوبات الاثارية عن طريق الانتربول .

العمل على تبادل الخبرات وانشاء قاعدة تواصلية مع المنظمات العربية والاسلامية المهتمة بقضايا حفظ وصون التراث والثقافي مثل منظمة الإيسيكو واليونسكو وغيرها من المؤسسات المهتمة بقضايا التراث الانساني.

العمل على وضع سجل وطني لتوثيق المواقع والمعالم التراثية وفقاً للمعايير والمقاييس الدولية.

العمل على تطبيق الاطار النظري للمقترح للتصدي لكافة المهددات في عدد من المشروعات المستقبلية وضرورة اضافة التعديلات التي ترى الجهات المسئولة عن قطاع الاثار والتراث انها مناسبة بغرض تطوير المقترح او الخطة الموضوع للمشروع الانف الذكر .

المصادر المراجع :

اولاً المراجع العربية:

(1) الزهراني وقسيمة ، عبد الناصر وكباشي ، مقدمة في إدارة التراث الثقافي ، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض 2008م.

(2) الصادق, صلاح عمر، دراسات في الآثار والفولكلور والتاريخ .دار عزة للطبع والنشر الخرطوم 2007م.

(3) الماحي ، على التجاني ،مدخل لعلم الاثار ، مركز عبد الكريم ميرغني ،امدرمان 2017م.

(4) المحاري ، سليمان احمد ، حفظ المباني التاريخية في مدينة المحرق، المركز الدولي لصون وترميم الممتلكات الثقافية ، الشارقة 2017م.

(5) رحمة، عفاف عبد الحفيظ ، التخطيط لحفظ الموارد التراثية (متحف بيت الخليفة نموذجاً). مجلة الآداب والفنون وعلوم الانسانيات والاجتماع العدد السادس والستون - أبريل . القاهرة 2020م.

(6) رمضان ، ندى محمد ، نحو منهج للحفاظ على التراث العمراني والمعماري بمدينة الخرطوم الكبرى -بحث دكتوراة منشور - قسم الهندسة المعمارية - جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - 2015م.

(7) سعيد، عبد الرحمن إبراهيم ، إدارة المصادر الثقافية في إقليم الشلال الثالث بشمال السودان مجلة كلية الآداب العدد الرابع والاربعون ،يوليو , الخرطوم 2019م.

(8) قسيمة ، كباشي حسن ، التجربة السودانية في إدارة التراث الثقافي - دار عزة للطباعة والنشر الخرطوم 2008م.

(9) ودافل، عبد الزراق، الحماية القانونية للممتلكات الثقافية أثناء النزاعات المسلحة، بحث ماجستير منشور - جامعة العربي بن مهيدي - البواقي 2010م.

ثانيا : المراجع الاجنبية :

(10) Butler, W.B. 1987 .Significance and other frustrations in theCultural Resources Management Process. Amercian Antiquities P 535-820

(11) Fagan, B.M. 1988. the Beginning. Introduction to Archaeology London.

(12) Foweler, D.D. 1986. Conserving American Archaeological Resources